

رجل المستحيل

روايات

مصرية الجيب

المواجهة الأولى

د. نبيل فاروق

سلسلة
الأحداث
الخاصة

9



www.liilas.com/vb3

^ RAYAHEEN ^

سلسلة
الأعداد
الخاصة

المواجهة الأولى

روايات
مصرية
الجيب



د. نبيل فاروق

المواجهة الأولى



- ما تلك الذكريات القديمة - التي رواها (أدهم) لصديقه (قنري) - بصفة خاصة جداً ؟
- متى كانت مواجهة (أدهم) الأولى مع (الموساد) الإسرائيلي ؟
- وأين ؟
- ترى هل يتمكن (أدهم) الشاب من الانتحسار على قنطة (الموساد) المحترفين في (المواجهة الأولى) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقابل بمفكك وكيانك مع الرجل .. (رجل الممنهول) .



الطبعة العربية الجديدة

هذا العدد

مرة أخرى نلتقى ، في أحد الأعداد للخاصة ..
الخاصة جدًا ..

والعدد في هذه المرة ، يختلف عن كل أعداد السلسلة السابقة ..
هذا لأنه يحمل ، بالنسبة لي على الأقل ، رائحة خاصة للغاية ..
رائحة الفكریات ..

وأجمل ذكريات ، يحظى بها أي كاتب في الدنيا ، هي
ذكرياته مع القلم والأوراق ..

مع خياله ..

وأحلامه ..

وتاريخه ..

فمنذ ما يقرب من عشر سنوات ، كنت أبتكر عددًا من
الشخصیات ، في بعض المجلات العربية .. ولأن عمر المجلة
محدود بفترة إصدارها ، فقد غابت تلك الشخصیات وانتشرت ،
بعد أن طواها الزمن ، وتبعد بها الوقت ، وتزوت في ظلام
النسيان ..

وليس أمرٌ عند أي كاتب ، من انتشار كتابته وتزوتها في
ركن مظلم من تاريخه ، بعد أن طالعها عدد محدود من قرائه ..

سلسلة الأعداد الخاصة

رجل العدالة



المؤسسة العربية للحبيبة
مطبعة دار النشر
بغداد - العراق
www.ahbiba.com

لذا ، فقد حلمت ، منذ فترة طويلة ، بأن تخرج تلك الأعمال
مرة أخرى إلى النور ، عبر مطبوعة أطول عمراً ، وأكثر
استقراراً ..
الكتاب ..

والكتاب ، على عكس المجلة ، غير محدود ، ما دام هناك
من يسعى لاقتنائه ، وهذا ما يصرّ عليه دائماً ناشري ومطبعي
الأستاذ / حمدي مصطفى ، وما أعترف بحكمته بشأنه ..
وفي هذا العدد ، الخاص جداً ، أقدم لكم - بالإضافة إلى
العمل الرئيسي - مجموعة منتقاة ، من بعض الأعمال
والشخصيات ، التي من المؤكد أن معظمكم بجهل الكثير عنها ..
ولنتبرها تجربة ..
مجرد تجربة ..

ومن يدري ؟! ربما خرجت في المستقبل أعمال أكثر ،
لتنضم إلى قائمة الخلود ، بين غلاطي أعداد أخرى قادمة ..
أعداد خاصة ..
جداً .

و نبيل فاروق

- لقد أسندنا إليك مهمة بالغة الحساسية والخطورة ، حتى
إنه لن يعلم بها سواك ، أنت وأنا ، بالإضافة إلى فريق أمن
خاص للغاية ، يتكون من أربعة أفراد فحسب .

لم يستطع (هاشم) كتمان فضوله هذه المرة ، فسأل :
- وما طبيعة هذه المهمة يا سيدي ؟

لجابه الممثلون على الفور :

- سنقوم على حراسة وحماية شخصية كبيرة للغاية .

شعر (هاشم) بشيء من خيبة الأمل في أصغاره ، فقد بدت
له المهمة تقليدية نوعاً ما ، على الرغم من حساسيتها ، لولا
أن أضاف الممثلون في صراحة :

- ودون أن يعلم هو نفسه بهذا .

هنا فقط شعر (هاشم) بالدهشة وسأل :

- ماذا يعني هذا يا سيدي ؟

تنهّد الممثلون ، وقال :

- اسمع جيداً يا (هاشم) .. هناك مؤتمر سيقيم في واحدٍ

من دول (لوروا) غداً ، وسيكون شخص عربي كبير هو أهم

شخصية يعتمد عليها المؤتمر ، ولقد علمنا ، بوسيلة خاصة ،

أن هناك مؤامرة أجنبية لاغتيال هذا العربي ، ولكننا لا نستطيع

إعلان هذا ، لأننا لا نملك أدلة مادية كافية ، ثم إن هذا الشخص

العربي ليس من مواطنينا .

قال (هاشم) :

اللعبة ..

شعر (هاشم همام) رجل الأمن العربي ، بقلق حقيقي ،
لأول مرة في حياته ، وهو يقف أمام تلك الممثلون الكبار الذي
استدعاه من إدارة الأمن ، لمقابلته شخصياً ..

كانت أول مرة يلتقي فيها (هاشم) بشخصية لها كل هذه
الأهمية ، من خلال عمله ، لذا فقد أصبح عصبياً بعض الشيء ،
وهو ينتظر في مكتب السكرتير ، وتحولت عصبية إلى توتر
حقيقي ، عندما تنتقل إلى حجرة الممثلون نفسه ، فوقف صامتاً
تماماً ، يستمع إلى الممثلون ، وهو يقول في حزم :

- إذن فأنت (هاشم همام) ! أعلم أن الكمبيوتر قد قتلحك
من بين ستة آلاف رجل أمن عربي ، لهذه المهمة ؟

أراد (هاشم) أن يسأله عن طبيعة هذه المهمة ، ليشرح
ذلك للفضول المشتعل في أصغاره ، إلا أنه أثار الصمت ، وكتفى
بأن يفهم في خلوت :

- هذا من حسن حظي يا سيدي .

ابتسم للممثلون ، وقال :

- لا أحد يدري ما إذا كان ذلك لحسن حظك أم لسوء حظك .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى حيث يقف (هاشم) ،

وتطلع إلى عيني هذا الأخير مباشرة ، وهو يقول في حزم أكبر :

- ولكنه عربي على أية حال .

ابتسم المسئول وقال :

- هذا صحيح ، ولهذا تسعى لحملته .

ثم عقد حاجبيه ، مستطرداً في حزم :

- هناك بالطبع طاقم حراسة تقليدي ، يصل على حماية

الشخصية العربية ، ولكننا لا نمنح ثقتنا لهذا الطاقم ، لأن

أفراده كلهم من الأجانب ، والدولة التي سيقام فيها المؤتمر

ترفض أن يقوم طاقم أمن عربي بحماية العرب ، ولهذا فستقوم

بمهمتك سرّاً .. هل فهمت ؟

أجاب (هاشم) في حزم :

- فهمت يا سيدي .

استعاد (هاشم) تفاصيل ذلك اللقاء كله ، وهو يقف فوق

سطح بناية مرتفعة ، يراقب مدخل قاعة المؤتمرات الأوروبية

بمنظاره المقرّب ، وصديقه (يحيى) يمسّاه في اهتمام :

- هل وصل للضيف العربي ؟

هزّ (هاشم) رأسه ، وغصم :

- ليس بعد .

ثم أراح منظاره عن عينيه ، والتفت إلى (يحيى) يقول :

- من يصدق هذا ؟ كنا نشكو من رتابة العمل ، فإذا بنا

نواجه خطراً غامضاً مجهولاً ، في قلب (أوروبا) .

هزّ (يحيى) كتفيه ، وقال :

- من يدري ؟ ربما كانت للمعلومات خاطئة ، أو

جذب اهتمامه تلك الانتباه الشديد ، الذي يدا في وجه

(هاشم) وملاححه ، وهو يتطّلع إلى نقطة ما ، على سطح

المبنى الملاصق لمبناهما ، والذي يغلو سطحه ذلك السطح .

الذي يقفان عليه بطابق واحد تقريباً ، فسأله في قلق :

- ماذا هناك ؟

أشار (هاشم) إلى السطح الآخر ، وهو يقول :

- لقد لمحت طريقاً سريعاً هناك ، كما لو كان انعكاساً لضوء

الشمس على جسم معنّى ، أو

بتر عبارته بغتة ، فلهبّ (يحيى) من مكانه ، وتطّلع في

قلق متزايد إلى سطح المبنى المجاور ، وهو يسأله :

- لو ماذا ؟

ترنّد (هاشم) لحظة ، ثم أجاب في حسم :

- أو على منظار بنقية بعيدة المدى .

قلّتها وهو يتجه نحو سلم معنّى صغير ، يقود إلى سطح

المبنى المجاور ، فسأله (يحيى) في حذر ، يمتزج ببعض

القلق :

- هل ستصعد إلى هناك ؟

أجاب (هاشم) في حزم ، وقد بدأ الصعود بالفعل :

- بالطبع .

همّ (يحيى) بالصعود خلفه ، ولكن (هاشم) قال في صرامة :

- ابقى أنت ، لا بد أن يواصل أحدنا مراقبة الضيف العربي .
بقى (يحيى) متوتراً ، فى حين صعد (هاشم) فى سرعة
إلى السطح الآخر ، ووقف يدير عينيه فيه فى حيرة ، فقد كان
السطح خالياً تماماً ، إلا أن عيني (هاشم) توقفت عند حجرة
صغيرة مفتوحة ، فى ركن السطح ، وغمغم :
- مكان رائع للاختباء .

اتجه إلى الحجرة فى حذر ، وأخرج مصدّمه وبلغ الحجرة .
فتوقف عند بابها المفتوح ، ورفع مصدّمه إلى جوار وجهه ، و....
وفجأة انقضّ عليه رجل ضخم من فوق الحجرة ، واسقطه
أرضاً ، وسمعه (هاشم) يقول ساخراً ، بلغته الأوروبية :
- كنت تظن نفسك نكباً أيها العربي .. أليس كذلك ؟
كانت المفاجأة كقيلة بتحطيم أصص أى رجل ، إلا أن
(هاشم) لم يكن بالرجل العادى ..
لقد كان عربياً ..
ومقاتلاً ..

وبسرعة لم يتصورها ذلك الأوروبي للضخم ، انثنى جسد
(هاشم) ثم قفز وثقاً على قدميه ، وقلّزت قدمه تركل وجه
مهاجمه ، وهو يقول فى سخرية ممثلة :
- بلى ، ومازلت أصرّ على أننى كذلك يا رجل .
تراجع الضخم من أثر الركلة ، ثم اعتدل وألقه ينزف دماً ،
وصاح فى غضب :

- حصناً أيها العربي .. أنت لربك هذا .
وأطلق النار ..

وفى هذه المرة ، أبرز (هاشم) موهبته وقدراته بالفعل ..
لقد انحنى فى سرعة مذهشة ، وسمع أزيز للرصاصة ،
وهى تمرق على بعد سنتيمتر واحد من رأسه ، قبل أن يعتدل ،
وينقض على الرجل ، هاتفا :

- لا تبع فراء الثوب قبل صيده يا رجل .

ويكلم ما تحمله قبضته من قوة وصرامة ، هوى (هاشم)
على فك الرجل بلكمة كالقنبلة ، ترنح لها الرجل فى شدة ، إلا
أنه لم يسقط ، بل صرخ ، وقد سقطت بندقيته أيضاً :

- لن تهزمنى أيها العربي .. أبداً .

وانقضّ على (هاشم) ، الذى كالم له لكمة أخرى ، لم
يسقط لها الرجل أرضاً ، وإنما أطلق زجرة مخيفة ، وخار
كنور جريح ، ثم أحاط وسط (هاشم) بمساعديه ، وصرخ :
- ستندم أيها العربي .. ستندم .

قنفع بحمله نحو حافة السطح ، و (هاشم) يكيل له اللكمة
تلو الأخرى ، والأوروبي يهتف فى جنل وحشى :
- ستعرف مصير من يجروّ على مواجهتى .. ستعرفه بعد
أن يكون لوان الإفداة من المعرفة قد فات .

حاول (هاشم) أن يتملص من نراعى خصمه ، للشميهتين
بكلابيتين من الفولاذ ، ولكنه عجز عن هذا تماماً ، حتى بلغ
الضخم حافة السطح ، وصرخ :

- اذهب إليها العربي .. فذهب .

وألقى (هاشم) من فوق السطح ..
من ارتفاع عشرة طوابق ..

★ ★ ★

كان الموقف كقبلاً بتحطيم شجاعة أقوى الرجال ، ومن
المفزع حقاً أن يجد المرء نفسه يهوى ، من ارتفاع عشرة
طوابق .

ولكن (هاشم) رجل من طراز نادر ..

من ذلك الطراز ، الذي لا يفقد سيطرته على أعصابه ،
ولا قدرته على التفكير ، حتى في أحلك المواقف .

لقد وجد (هاشم) جسده يسقط من حائق ، ولكن عينيه
اختبرت المكان كله في جزء من الثانية ، ثم اتخذ عقله رد الفعل
المناسب ، في الجزء الثاني من الثانية .

فاندفعت بداهة تشبثان بحافة إعلان ضوئي كبير ، يبرز من
السطح .

وتوقف جسده بفتة ..

وشعر بالآلام عذبة في عضلات ذراعيه وكتفيه ..

ولكن لم يتخل عن الإعلان .

ومن فوق رأسه ، سمع القاتل الضخم يقول في شراسة :

- إذن فأنت ترفض أن تلقى مصرعك بالسقوط من عل ..
مارليك برصاصة ؟

قالها وهو يصوب فوهة بندقيته إلى رأس (هاشم) ..

ولم يكن هناك مهرب هذه المرة ..

وتخطت عينا (هاشم) بلوحة البندقية ، وبسبابة القاتل ،
التي تضغط للزناد في بطنه وبرود ..

ثم سمع صوت (يحيى) يقول :

- ماذا تفعل يا رجل ؟

ورأى القاتل يستدير في سرعة ، ويصوب مسدسه إلى

ناحية من السطح ، لا يسمح موقع (هاشم) برويتها ..

وتحرك (هاشم) في سرعة ، وخفة ، ومرونة ..

وكان مدهشاً بحق ..

لقد جمع كل قوته ورشاقته ، واسترجع كل دروس الرياضة
للقديمة ، ثم دفع جسده إلى أعلى واتقنبت مساقاه في مرونة ،
ودار حول جسده كله ، وضرب ظهر القاتل بقدميه في قوة ،

قبل أن يسقط على ظهره فوق السطح ..

وانطلقت رصاصة القاتل ، ولكنها لم تصب (يحيى) بل

أصابت أرض السطح ، وانعرفت في عنف ، في نفس اللحظة

التي انتزع فيها (يحيى) مسدسه ، وهتف :

- قف يا رجل .. أو

ولكن القاتل اعتدل وهو يطلق زمجرة رهيبية ، ورفع بندقيته

مرة أخرى نحو (يحيى) ..

وفي هذه المرة قفز (هاشم) نحو الرجل ، وضم قبضتيه ،

وهو يهوى على مؤخرة عنقه بضربة كالقنبلة ، فودعها كل قوته وغضبه .

وخار القاتل كنور نبيح ، ثم سقط على وجهه فاقد الوعي ..
وليث (هاشم) من فرط الافعال ، وهو يسأل (يحيى) :
- أنت بخير ؟

نقل (يحيى) بصره بين (هاشم) ، والقاتل الفاعل للوعي .
ثم قال :

- لمفترض أن ألقى أنا هذا السؤال .

سأله (هاشم) في توتر :

- لماذا غادرت موقعك ؟

ليتسم (يحيى) وقال :

- أظن أنه ينبغي مكافئتي ، لمخالفتي الأوامر هذه المرة .

فوجئ به (هاشم) بهتف فجأة :

- يا إلهي ! انظر .

التفت (يحيى) في سرعة ، إلى حيث يشير (هاشم) ،
وأطلق شهقة دهشة وذعر ، فقد كان هناك رجل آخر .. نحيل
حاد الملامح ، يرفد على سطح مبنى آخر ، ويصوب بندقيته ذات
منظار مقرب إلى باب قاعة المؤتمرات ..

وهتف (هاشم) ، وهو يتفرع مسنسه :

- لقد خدغونا .

قبل أن يرفع مسنسه ، كان القاتل النحيل قد ضغط زناد بندقيته .

والتفت قرصاصة .

والتفت (هاشم) في ذعر إلى أسفل ، وهوى قلبه بين
قدميه ، عندما رأى تلك للشخصية العربية ، التي انتقل خصيصاً
لحمايتها ، وقد أمسك صاحبها رأسه في ألم ، وترنح ، ثم سقط
أرضاً ، في حين تتزاع رجال الحراسة للمحيطون به مسنساتهم ،
وراحوا يصوتونها إلى كل الاتجاهات في ارتباك .

واستدار (هاشم) في سرعة إلى حيث القاتل النحيل ،
ولم تأت نفسه بغيظ لا حدود له ، فقد اختفى القاتل ، وترك
خلفه بندقيته ، وكأنما لم يعد بحاجة إليها ، بعد أن أنهى مهمته ..
ويعد أن فشل (هاشم) ..
لأول مرة في حياته .

★ ★ ★

وقف (هاشم) محنقاً ، يزخر قلبه بالمرارة والضيق ، وهو
يستمع إلى طبيب ذلك المستشفى الأوروبي ، وهو يقول :
- لقد نجا بأعجوبة ، فالرصاصة أصابت طرف أنفه فحسب ،
وجرحت وجنته جرحاً سطحياً .

سأله (يحيى) :

- لماذا تحتجزونه هنا إذن ؟

هز الطبيب كتفيه ، وقال :

- مجرد إجراء روتيني .. إننا نضع كل مصاب تحت الملاحظة ،
لأربع وعشرين ساعة فحسب ، يمكنه أن ينصرف بعدها .

أوما (هاشم) برأسه متفهمًا ، دون أن يلفظ حرفًا واحدًا ،
حتى تصرف الطبيب ، فالتفت إليه (يحيى) ، وسأله :
- لماذا تبدو مكتئبًا هكذا ؟

غصم (هاشم) :

- إنها مرارة الفشل .

ربت (يحيى) على كتفه ، وقال :

- لقد نجا الرجل .

قال (هاشم) في مرارة :

- وكان من الممكن أن يلقى حتفه .

ارتفع من خلفه صوت خشن يقول :

- بدهشني أن هذا لم يحدث في الواقع .

التفت الاثنان إليه ، وسأله (هاشم) :

- هل تتحدث العربية ؟

لوح الرجل بذراعه ، وقال :

- لقد قضيت فترة كبيرة من شبابه في دولة عربية .

ثم أضاف في حلق :

- أنتم تعلمان طبعًا أنني مفتش شرطة هنا ، ولكنكم لم

تحاولوا أبدًا إبلاغني أنكم تقومون على حراسة العربى ، وكان

يمكننا تنسيق العمل معًا .. أو

قاطعته (هاشم) في حزم :

- دعك من الحديث عما مضى ، وأخبرنى هل توصلتم إلى

شخصية القاتل ؟

أخرج المفتش الأوروبى من جيب معطفه صورة مرسومة ،
وهو يقول :

- لقد استعان رجلانا بالأوصاف الدقيقة التى أدليت أنت بها

إلينا ، ووضعوا هذا الرسم :

تطلع (هاشم) إلى رسم جيد لوجه القاتل ، وقال فى حسم :

- إنه هو .

مط المفتش شفتيه ، وقال :

- عجبًا ! هذا الرجل هو أبرع قاتل محترف فى (أوروبا)

كلها ، وهو لم يخطئ إصابة هدفه أبدًا ، ولا ريب أن رجالكم

محظوظون للغاية ، لنجاته من رصاصته .

قال (يحيى) فى هدوء :

- فى عقيدتنا لا نؤمن بكلمة الحظ هذه أيها المفتش ، وإنما

نقول إنها الإرادة الإلهية .

أوما المفتش برأسه متفهمًا فى احترام ، فى حين سأله

(هاشم) فى اهتمام :

- قل لى أيها المفتش : أهذا القاتل دقيق فى تصويبه إلى

هذا الحد ؟

أجاب المفتش :

- بل أكثر من هذا .. إنه قادر على إصابة ذبابة فوق أنف

هرة ، من مسافة نصف كيلو متر ، دون أن تستيقظ الهرة من

نومها .

عقد (هاشم) حاجبيه ، وراح يحك أنية أنفه ، فبهتسم (يحيى) وقال :

- لا يوجد لقز هذه المرة .

غمغم (هاشم) :

- ربما

وفجأة تركزت عيناه على شخص يرتدى معطف الأطباء فى نهاية مر المستشفى ، وهتف .

- ها هو ذا .

ثم الدفيع بقطة نحو ذلك القتل النحيل ، الذى يتخفى فى زى الأطباء ، صلتحا :

- أمسكوا هذا الرجل .

وتراجع القاتل فى حركة حادة ، ثم اقتزع معطفه من أسفل معطفه الطبي ، ورفع فى وجه (هاشم) ، و وأطلق النار .

ليس من السهل أن يتفادى الموء رصاصة ، انطلقت من مدس محترف .

بل هذا مستحيل تقريبا ..

ولكن (هاشم) فعلها ..

لقد التحى على نحو غريزى ، عندما ارتفعت فوهة مدس القاتل نحوه ، وصال برأسه جانبا ، فى نفس اللحظة التى ضغط

فبها المجرم الزناد ، وسمع أزيز الرصاصة ، وهى تعبر فوق رأسه ، قريبا من أنه اليسرى ، ولكنه لم يتوقف ، بل واصل التدفاع نحو المجرم الذى تراجع فى سرعة ، وتطلق يذو فى ممرات المستشفى و (هاشم) خلفه ، فى حين استل (يحيى) مسدسه ، وهم بالانطلاق خلفهما ، ومفتش للشرطة الأوروبى ، بهتف :

- ما هذا بالضبط ؟

صاح به (يحيى) :

- لا تسأل الآن يا رجل .. فقط اعمل على الإيقاع بمن يطارد (هاشم) وسربح حتما .

كانت مطاردة عنيفة مثيرة ، فى لروقة المستشفى ، الذى سده للذعر والتوتر والخوف ، وانطلقت فى ممراته صرخات للعاملين والمرضى وهم يشاهدون رجلين ، يحمل كل منهما معطفه ، وتلور بينهما مطاردة حاسمة ..

وكان من الواضح أن القاتل يعلم جيدا أين يطلق ، وفى أى اتجاه يهرب ، كما لو كان قد أعد خطة قراره مسبقا ، حتى انتهت المطاردة إلى قهو المستشفى ، حيث قاعة انتظار الميبرات . وهنا استدار المجرم نحو (هاشم) وأطلق ضحكة ساخرة عالية . وهو يرفع مسدسه فى وجهه ، هتف :

- وقعت فى الفخ أيها العربى .

صوب إليه (هاشم) مسدسه بنوره ، وهو يقول :

- من أدراك أن الفخ لا يحيط بك أنت أيها للقاتل ؟

أطلق المجرم صيحة مسخرة أخرى وقال .

تسلقني من أدراكي ؟ سأجيبك يا رجل . (إنهم هؤلاء

لم يكذبتم عبرته ، حتى يبرز من أركان القاعة ثلاثة رجال
آخرون ، يحمل كل منهم مسدسه . وصوبوا جميعهم مسدستهم
نحو (هاشم) والمجرم يتلعب في مخزية وشمعة :

- والان قل لي أيها العربي : لمن هذا الفخ ؟

لم يجب (هاشم) وإنما تحرك .

تحرك في سرعة ، فمال جانباً ، وفقرز خلف إحدى السيارات
ثم أطلق رصاصة محكمة من مسدسه ، أصابت بمسدس المجرم .
الذي أطلق شهقة دعر وذهول ، ثم صرخ في غضب :

- أقتلوه يا رجال .

وهذا انهالت الرصاصات كالمنطر على (هاشم) ، من كل
جانب ، فاحتس بجسم السيارة ، التي انتشرت فيها ثقوب
الرصاصات ، وصوت المجرم يرتفع سخطاً

- أطلقوا النار على خزان السيارة . اسفوا ما يضحى به نسفا .

راح الرجال يطلقون رصاصاتهم على خزان وقود السيارة
وأدرك (هاشم) أنها لن تلبث أن تتفجر ، إن عاجلاً أو آجلاً .
وشعر بالقلق ، وهو يضخم :

- لا فائدة يا (هاشم) .. لا بد وأن تعادر مخباك .. لو تشتت

معه .

حسم أمره في سرعة ، وفقرز من خلف السيارة ، هاتفا .

- هيا .. اسع يا غبد .

لم يكذب المجرم بلمحه حتى صرخ :

- أطلقوا النار .. أطلقوا عليه النار .

رفع المجرمون قوحت مسدستهم نحو (هاشم) الذي صار
هتافاً واضحاً مكشوفاً لهم . وهتت سبلاتهم بضغط أزرادة
مسدستهم ، ولكن ..

فجأة ، انهال سيل آخر من الرصاصات ، نحو المجرمين
هذه المرة . عندما بلغ (يحيى) والمفتش الأوروبي القاعة
وأصبح تراشق النيران عنيفاً ، مخيفاً .

فصاح المجرم برجاله :

- انسحبوا .. لقد قتلنا عملاً .

قفز ورجاله داخل سيارة كبيرة .. تطلعت بهم كالصاروخ .
محطمة بولية قاعة فتظار السيارات ومنطلقة إلى المجهول
وهتف المفتش الأوروبي :

- لقد نجوت منهم بأعجوبة أيها العربي .

توقف (هاشم) يحك أذنيه أنه في توتر ، وهو يقول :

- ولكن لماذا ؟

سأله المفتش الأوروبي في دهشة :

- لماذا ؟ ألا يروق لك أنك قد نجوت ؟

أما (يحيى) فقد سأل زميله في اهتمام :

- ما الذي يفتك هذه المرة ؟

أشار (هاشم) إلى حيث اختفى المجرمون ، وغمغم :

- لماذا قتل ذلك المجرم إتهم قد قتلها من صلهم ؟

قال (يحيى) فى تردد :

- ربما نعى أن المهمة قد قتلت ، و ...

قأطعه (هاشم) فى نوتر :

- أية مهمة ؟ إته لم ينجز شيئاً ، فلقد كشفنا أمره فى ممر

المستشفى وطاردناه إلى هنا ، حيث أجبرناه على الفرار ،

و

بتر عبارته ، وهو يحك حاجبيه ، مكرراً فى عمق ، ضلله

(هاشم) فى لهلة :

- ومذا ؟

هتف (هاشم) :

- يا إلهى ! ماذا لو أن كل هذا مجرد

بتر عبارته مرة أخرى ، والتفت إلى المفتش الأوروبى ،

صالحاً :

- من يقوم على حراسة الممسول العربى الآن ؟

ارتبك المفتش الأوروبى ، وهو يقول :

- من ماذا ؟ لمست أرى .. لقد تطلعتنا كنا خلف للمجرم

و

صاح (هاشم) :

- يا إلهى .. لقد وقنا فى الفخ .

تطلق يدهو عقداً إلى حيث حجرة الممسول العربى ، وخلفه

(يحيى) يقول فى نوتر بلخ :

- أرجو أن تكون على خطباً يا (هاشم) .. كن يقرروا لك

لهذا لو

قأطعه (هاشم) :

- ادع الله (سبحانه وتعالى) أن تكون على خطا .

بلغ ثلاثة حجرة الممسول العربى ، وصاح (هاشم) وهو

يشير إلى ممرضة تدفع أمامها منضدة إسعاف استلقى فوقها

رجل ، وقد أخفت ألقعة الهواء وجهه :

- ما تفعل هذه الممرضة ؟

التفتت إليه الممرضة فى فزع ، فى حين أسرع المفتش

الأوروبى يفتح باب حجرة الممسول العربى ، وهو يقول :

- نطها تمارس عليها .. دعنا نطمئن على رجلكم أولاً .

ثم تنهد فى ارتياح ، قائلاً :

- ها هو ذا يغط فى سبات عميق .

رمى (هاشم) الممرضة بنظرة شك ، ثم تطلع داخل

الحجرة ، قائلاً :

- أنت وثق بآته حتى ؟

لوماً للمفتش برأيه إيجاباً ، وقال :

- تمام الثقة ، إته يتفهم على نحو منتقم .. إته ياتم على

الأرجح .

أسرع (هاشم) يقيس نبض المسئول العربي . الذي فتح عينيه مضجعا في ضيق :

- ماذا حدث ؟

أجلبه (هاشم) :

- لا شيء يا سيدي .. مغرة .

ترجع إلى خارج الحجرة . في حين أسرعت الممرضة تدفع مريضها إلى المصعد و (يحيى) يقول :

- من حسن الحظ أنك قد أخطأت هذه المرة .

هناك (هاشم) أربعة أنفه في عصبية ، وهو يقول :

- ولكن الأمور لا تبدو طبيعية هكذا . هناك أمر غامض ، أعجز عن فهمه أو تفسيره .

ابتسم المفتش الأوروبي في سخرية . وهو يقول .

- هل ترغب في منح نفسك مظهر الرجل للمهم إليها العربي ؟

التفت إليه (يحيى) وقال في حزم :

- لو أنك تعرف (هاشم) كما أعرفه . لأركت أنه بالفعل

رجل مهم أيها المفتش . وأنه من العسير أن تجد من يحل محله أو ...

أدهشه بريق عيني (هاشم) في هذه اللحظة . فبتر عبارته هاتفا :

- (هاشم) .. هل ؟

أمسك (هاشم) يد (يحيى) في قوة وهو يهتف في انفعال .

- أشكرك يا صديقي . أنت أوضحت لي كل شيء .. أنت كشفت لي اللعبة .

غمغم (يحيى) في دهشة .

- أنا ؟

هتف (هاشم) وهو ينتزع مسنمه :

- نعم يا صديقي . أنت أوضحت لي سر اللعبة اللعبة الرهيبة .

واندفع نحو المصعد .

والزاد الأمر غوصا .

* * *

لم تكد الممرضة تهبط إلى الطابق الأرضي من المستشفى ، حتى بدت شديدة التوتر والعجلة . وهي تدفع ملضدة الطوارئ .

بالمريض الراكذ فوقها . أمامها . وتسرع بمغادرة المصعد . ومتجهة إلى قباب الخارجى ..

وفجأة ظهر (هاشم) عند قاعدة سلم المستشفى ..

ويصوت جهورى حازم حاسم صارم ، صاح بها :

- توقفى

استدارت إليه للممرضة في حركة حادة . واستدارت معها

عيون كل من يعبرون المكان في هذه اللحظة

وتطلع إليه الجميع في حيرة . لم تلبث أن انقلبت إلى ذعر .

عندما تنتزع مسنمه وصويه إلى الممرضة . مكررا في غضب

- قلت توقفي .

وفجأة انقضت الممرضة عن نفسها إطار الرحمة والبراعة ، وزمجرت في شراسة ، وهي تخرج من طيفت ثيابها مسنماً ، وترفعه في وجه (هاشم) ..

وتطلقت رصاصة (هاشم) أولاً ..

وصرخت الممرضة ، ولكنها لم تصب بأذى ..

ليس هناك عربي يطلق النار على امرأة .

لقد أصابت رصاصة (هاشم) مبدسها فقط ، وأطلقت به بعيداً ، قبل أن يقول (هاشم) في صرامة :

- انتهت قلعة وانتشف الأمر كله .

حذقت فيه الممرضة في ذهول ، ثم لم تلبث أن ألقت ذهولها جانباً ، واستلكت خنجرًا بقة ، أصلم للعيون الذاهلة ، ووضعته على رقبة المريض ، فراند على منضدة الطوارئ .

وقالت في وحشية :

- ابتعد أو أنبحه .

اتعقد حلجها (هاشم) وهو يقول :

- لا تجبريني على إطلاق النار عليك .

صاحت به :

- لن تفعل .. إبنى أفهمكم جيداً أيها العرب .. شهلمتكم تمنعكم دائماً من إيذاء للقسام . حتى ولو .. .

قاطعها صوت بارد يقول :

- وماذا عنى لنا ؟

كان صوت المفتش الأوروبي ، الذي لحق به (هاشم) مع (يحيى) وشاهد الموقف ، وقرر الأوروبي التخل ، على الرغم من أنه لم يفهم ما يحدث تماماً ، ولكن صوته البارز ، ومسدسه المصوب إلى الممرضة جعلها ترتجف وتقول في توتر بالغ :

- هل منطلق على النار ؟

أجلبها في حزم . وهو يسحب إبرة مسدسه بالفعل :

- لديك الاقتراح آخر ؟

تردبت لحظة ، ثم ألقت خنجرها في سحط ، ورفعت ذراعها مستسلمة وتندفع (هاشم) نحو منضدة الطوارئ ، وكشف وجه المريض الرائد عليها وتنهذ في لرتياح هامساً :

- حمداً لله .

لحق به (يحيى) في هذه اللحظة ، وحسنى ذاهلاً في وجه

المريض ، قبل أن يهتف :

- ولكن هذا مستحيل !! إنه المصور العربي !! كيف هذا ؟

وقد ترعنا في حجرته منذ لحظات !!

ليسم (هاشم) وهو يقول :

- هذه هي اللعبة يا صديقى .. لقد تصورنا جميعاً أن تلك

المنظمة الإجرامية تهدف إلى اغتيال المسئول العربي ، ولكن هذا لم يكن الغرض الحقيقي ، وإنما كان هدفها استبداله .

هتف المفتش الأوروبي في دهشة :

- استبداله ؟

أجابه (هاشم) :

- نعم . كان هدفهم الحقيقي اختطاف الممسول العربي ، ووضع آخر في موضعه . بعد إجراء جراحة تجميل له ، وتدريبه على التحدث والتحريك والأداء بنفس صوت وأسلوب مسؤلنا . وهكذا يصبح لهم جاسوس في موضع شديد القوة والحساسية في قلب الأمة العربية ..

غمغم (يحيى) مشدوها :

- يا إلهي !!

لم المفتش . فقد سأل (هاشم) في نهضة :

- وكيف أدركت هذا ؟

أجابه (هاشم) :

- كان الأمر منذ البداية يبدو لي عجيبا . فللقاتل الذي

لا يخلط نهاية على أنف مرة . من مسافة نصف كيلو متر . أخطأ رجلا ممشوق القوام . من نصف هذه المسافة فكيف حدث هذا ؟

صمت لحظة ، إلا أنه لم يحظ بجواب لسواله . فاستنرد :

- الواقع أن ذلك القاتل لم يكن يهدف إلى قتل الممسول العربي ،

ولما كان يهدف إلى إصابته فحسب ، حتى يتم احتجازه هنا في المستشفى . وتضميد وجهه بضمايدات تحفي جزءا من ملامحه بعض الوقت ، ولقد نجح في هذا ، ثم تعمد الظهور أمامنا

واستفزازنا ، ودفعنا إلى النخنى عن حراسة مسؤلنا ، والاتطاع خلفه ، حيث ينتظره رجاله . وبعدها كان الفرار سهلا ، وعندما قال لرجاله إن مهمتهم قد قُتِيت ، كان يقصد أن زميلتهم قد تسَلَّت في زى الممرضة إلى حجرة الممسول العربي ، وخنَّرت به حقة مخدرة . ونقلته بمعلوبة شبيهة إلى منضدة الطوارئ ، في حين رقد الشبيه مكانه ، وكان المتوقع أن تغادر هي للمستشفى إلى سيارة إسعاف زائفة على الأرجح ، حيث يتم اختطاف الممسول العربي . أمام أعين الجميع ، وبعدها يحضر الشبيه المؤتمر . ويدلى بأراء تخالف الموقف العربي كله . فيغضب العالم ، وينقلب على العرب ، أو يكتفى للشبيه بالاحتلال موقع الممسول العربي ، وتخريب القضية العربية من الداخل .

استمع إليه (يحيى) والمفتش مشدوهين . ثم لم يلبث المفتش أن اعتدل مضغفا في غيظ :

- يا للدهاء !

- ثم اندفع فجأة إلى الطريق العلوى . فهتف (يحيى) :

- إلى أين ؟

أجابه (هاشم) في هدوء :

- أظنه سيعتقل شبيه الممسول العربي .

سلكه (يحيى) :

- وهل سنكتفى نحن بالمراقبة ؟

ابتسم (هاشم) وقال :

- لقد انتهت اللعبة يا صديقي ، ولقد ربحنا ما نريد ، و

هتف صوته من خلفه في غضب :

- أخطأت إليها العري ..

استدار (هاشم) في سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى

القتل للنجيل بصوب إليه مسدسه ، و ..

ويطلق النار ..

ولم يدر (هاشم) ماذا فعل ، ولا كيف فعل ما فعل ..

لقد رأى الممسدس مصوبًا إليه ، وسبلة القتل تعصر الزناد ،

فالتحنى ، ومال ، وانثنى ، وانقض ..

ودوت الرصاصة في قلب المستشفى ، وصرخ رواد المكان

في رعب ، في نظم اللحظة التي ارتطم فيها (هاشم) بخصمه

ولمسك معصمه في قوة . ورفع يده الممسكة بالمسدس عاليًا ،

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ..

وتأوه الرجل في ألم ..

وتفجرت الدماء من فكه ، مع سنين مكسورتين ، ورفع

(هاشم) قبضته ليهوى على فكه الرجل بلكمة أخرى ، تحمل كل

غضبه وكراهيته لعالم الجريمة والمجرمين ، ولكن للقتل هتف

منهزًا :

- الرحمة .. الرحمة .

وتوقفت قبضة (هاشم) في الهواء ، ثم ترلخت ، وتخفضت

تستقر إلى جواره ، وسمع المفتش الأوروبي بهتف في دهشة :

- لماذا لم تتركه ؟

أجابه (هاشم) وهو ينفع القتل إلى رجال الشرطة في

قراء .

- لقد ناشدني الرحمة !

رد الأوروبى ، وقد تعاطفت دهشته :

- ناشدك الرحمة ؟

ثم هز رأسه في حيرة ، مضطربًا :

- كم يدهشنى لسؤيكم إليها العرب .

إلا أنه لم يلبث أن لبتهم مستطردًا :

- وكم بشير إعجابى .

لبتهم (هاشم) وسلكه :

- قل لى أولاً : هل لقيت القبض على الشبيه ؟

لوما المفتش برأسه إيجابيًا ، وقال :

- نعم .. لقد انتهى الأمر بالنمبية له

قال (هاشم) فى ارتياح :

- نعم .. لقد انتهى الأمر .

ورثت على كتف زميله (يحيى) قبل أن يستطرد فى حزم :

وقتها اللعبة - لصالحنا .

★ ★ ★

(تحت بحمد الله)

.. مرحباً بكما في مركز التدريب الخاص .. أنتما أولك رجلين
امن ، يتلقيان تدريبتنا المتطورة

قال (هاشم) في ضيق واضح :

.. نعلم أن يضيف هذا إلى خبرات الكثير .

رمقه المفتش (رضوان) بنظرة طويلة ، قبل أن يقول في
هذوء :

.. لا أحد يبلغ قمة الخبرة أبداً .

ثم قادهما إلى الدخول ، وهو يستطرد :

.. في هذا المركز سنتلقيان أحدث علوم ووسائل الأمن ،
ولكثرها قوة وخطورة .

غمغم (هاشم) :

.. لا يوجد جهاز أمني كامل .

أجبه المفتش (رضوان) في حزم :

.. بل يوجد بالتأكيد نحن نملك هنا أكثر أجهزة الأمن كمالاً
وإحكاماً .

ابتسم (هاشم) ، قتلاً في برود :

.. مستحيل .. لا يوجد جهاز أمن يخلو من الثغرات ، مهما
بلغت دقته .

هتف به المفتش (رضوان) :

.. هكذا ؟! دعني إذن أريك الآن أحكم جهاز أمن في القرن
الشرين .

الرقم صفر ..

أوقف (يحيى) سيارته أمام مبنى حديث الطراز يجلس
مسلحة واسعة . عند أطراف المدينة ، وابتسم ابتسامة هذنة ،
وهو يلتفت إلى الرجل الذي يجلس إلى جواره في استرخاء تام ،
وقال :

.. لقد وصلنا يا (هاشم) .

فتح (هاشم همام) أشهر رجل أمن في المنطقة العربية
عينيه . وألقى نظرة كسوبة على المبنى ، وهو يغمغم في
استهتار واضح :

.. أهذه مدرستك الجديدة ؟

أجابه (يحيى) ، وهما يغادران السيارة ، ويتجهان إلى المبنى .
.. حتى رجال الأمن يحتاجون إلى دورات تشييعية يا صديقي ..
اليس كذلك ؟

أبرز الاثنان هويتهما لحارس البوابة ، الذي راجع بيانات
الهويتين جيداً ، ثم سمح لهما بالدخول .

وعبر الاثنان ممراً طويلاً ، استقبلهم في نهايته المفتش
(رضوان) ، رئيس مركز تدريبات الأمن ، وصافحهما في
ترحاب ، وهو يقول :

وتقطع نحو حجرة جانبية يتوسط بينها مستطيل أحمر .
 في هذه الحجرة تحتفظ بأخطر ملفاتها ، وأكثرها سرية .
 وأخرج من جيبه بطاقة مغناطيسية خلسة ، دسها في ثقب
 يحاكى سمكها الرقيق ، متلعباً :
 - والوسيلة الوحيدة لدخول مثل هذه الحجرة هي استخدام
 البطاقة المغناطيسية الخاصة .

قال (هاشم) مبتسماً :
 - من السهل تزوير البطاقات المغناطيسية هذه الأيمل .
 أجابه المفتش (رضوان) في عصبية :
 - إنما هي وسيلة لدخول الحجرة فحسب .
 دفع باب الحجرة ، التي بدت خالية ، إلا من عدة خزائن في
 الحائط ، يحمل كل منها رقماً خاصاً ، أشار إليها المفتش
 (رضوان) قائلاً :

- هذه هي خزائن الأمور .
 تأمل (هاشم) الخزائن بعين فاحصة خبيرة ، ووجد أنها
 خزائن من نوع خاص ، فقال في هدوء .
 - خزائن رائعة ، من الفولاذ المشقى المشيد الصلابة ،
 ومزودة بأقفال ذات أرقام سرية سداسية ، ورتاج مغناطيسي .
 ثم ابتسم ، مستطرداً :

- وهناك خبراء للتعملم مع مثل هذه الخزائن .
 أجابه المفتش (رضوان) في حدة :

- ليس في هذه الحجرة ، فلو أنك تطلعت إلى الأركان لرأيت
 أربع آلات تصوير تليفزيونية ، تصل تلقائياً ، فور فتح باب
 الحجرة ، وتلتقط صوراً واضحة لكل زاوية من زوايا الحجرة ،
 وعلى من يرغب في سرقة واحدة من هذه الخزائن أن يتجه
 مباشرة إلى الخزنة التي ينوي سرقتها ، فالكامبيوتر المتصل
 بالآلة للتصوير يلتقط أي تردد واضح ، وينسبه إلى محاولة
 سرقة ، والأمر نفسه يحدث مع أي ارتباك أو جهل للأرقام
 السرية ، التي تفتح بها الخزائن ، أضف إلى هذا صعوبة
 التوصل إلى الأرقام السرية المعقدة ، ووجود آلة تصوير سرية
 تدخل كل خزنة ، تلتقط صورة من يفتحها .

هتف (يحيى) مبهوراً :
 - إنها ومثل شديدة التعقيد بالفعل .
 ابتسم المفتش (رضوان) ، وكأما راق له تطبيق (يحيى) ،
 وقال متابعاً حديثه :

- والأرقام السرية لفتح الخزائن تزداد تعقيداً ، مع لزيادة
 أهمية وخطورة الخزنة . وأخطر خرقنا السرية ، هي تلك
 التي تحمل الرقم (صفر) .

قال هذا ، وهو يشير إلى خزنة في المواجهة ، انتقلت إليها
 لـ (هاشم) و (يحيى) على الفور ، في حين توجه
 المفتش (رضوان) نحوها ، وهو يقول :

- في هذه الخزنة تحتفظ بكتاب الشفرة المرى ، لهذا فهي
 لخطر خرقنا

وراح يضغط الأرقام المبرية في سرعة ، مستطرداً :

- وكما تريان ، يحتاج فتح الخزانة رقم (صفر) الى تسعة أرقام شفرية ، في تتابع منتظم ، و
بتر عبارته بفتة ، وهو يحق داخل الخزانة في ذهول ،
وهنف (يحيى) في دهشة بالغة :
- إنها خالية .

قفز (هاشم) يحق داخل الخزانة الخاوية ، ثم التفت إلى المفتش (رضوان) ، ليسله في انفعال .

- هل كان كتاب الشفرة هنا ؟

أجابته المفتش (رضوان) ، ولم يفرق ذهوله بعد .

- نعم . إنه لم يقدر هذه الخزانة أبداً

مضى رأيته فيها آخر مرة ؟

أدار للرجل عينيه إليه ، مفسماً كلامه صوي :

- منذ ساعة واحدة .

سأله (هاشم) :

- من يملك غيوك أرقام فتح الخزانة ؟

- الثمان فقط ، (عدل) و (فائز)

- من منهما يمكنك الشك في إخلاصه ؟

- لا هذا ولا ذاك ، أيهما من أنزه وأشرف رجال الأمن .

عقد (هاشم) حاجبيه في حرم ، وهو يقول :

- من الواضح أن رأيك هذا خاطئ ، بالتسمية لأحدهما ياسيدى .

رند الرجل مشدوهاً :

- مستحيل !

وهنا هنف (يحيى) :

- ولكن لم تنتقط آلة التصوير السرية في الخزانة ، صورة
للسارق ؟

ضرب المفتش (رضوان) جبهته براحتيه ، وهو يهتف :

- بالطبع .. هكذا تعمل .

ثم اتحنى داخل للخزانة ، وضغط زرراً خاصاً في قاعها ،

فتبعت من دخلها أزيز خافت ، وبرزت صورة ضوئية ملوكة ،

فتزعجها في اهتمام ، وألقى عليها نظرة ملوها للهفة ، ثم مط

شفتيه في خيبة أمل ، وهو يقول :

- لا .. لم تفلح .

للتقط من (هاشم) الصورة ، انسى بدا فيها المفتش

(رضوان) ، وهو يحق داخل الخزانة في ذهول ، وقال :

- إنها للصورة الأخيرة ، ولكن ألا توجد صور سابقة ؟

هرز المفتش رأسه نفياً ، وقال :

- لو كانت هناك صور سابقة ، لأخرجتها الآلة مع هذه

الصورة .

بدت للحيرة على وجه (هاشم) لحظات ، ثم سأل المفتش :

- أنت وتلق بلى كتاب الشفرة كان هنا ، منذ ساعة واحدة ؟

أجابته المفتش :

- تمام الثقة .

قال (هاشم) :

- أليس من المحتمل أن

قطع حديثه فجأة ، وهو يلتفت إلى الباب في حركة حادة ،

فهمس به (يحيى) في اتصال :

- ماذا حدث ؟

أشار إليه (هاشم) أن يصمت ، ثم ..

وفجأة ففز (هاشم) خارج للحجرة ، وهتف :

- ماذا تفعل هنا ؟

انتفض الشخص الذى يقف خارج الحجرة ، وانقضت يده على

نحو غريزي إلى مسدسه ، وانزعجه ، وصوبه إلى رأس

(هاشم) و

وأطلق النار .

★ ★ ★

كان من الطبيعى أن تصيب الرصاصة (هاشم) فى مقتل ،

لولا أن مال هذا الأخير جانباً وانحنى ، ثم هباً ولقياً ، وهو

يقبضته على فك المعنى كالقنبلة فى نفس الوقت الذى قدفع

فيه (يحيى) خارج الحجرة ، وهو يشهر مسدسه واحق به

المفتش (رضوان) الذى هتف فى دهشة ، عندما وقع بصره

على وجه المعتدى (فلز) ؟ ماذا حدث ؟

نهض (فلز) ، وهو يقول فى حق :

- لمفترض أن ألقى أنا هذا السؤال يا سيدي .

أشار إليه (هاشم) فى صرامة . وهو يقول :

- لقد حاولت قتلى .

هتف المفتش (رضوان) :

- قتلك ؟ لا ريب لك قد أخطأت الفهم .

قال (هاشم) ، فى حدة :

- هكذا ؟ ماذا تظنون إننى على ناتج إطلاق الرصاص على

رأس رجل ؟

التفت المفتش (رضوان) إلى (فلز) ، وسلله :

- هل حاولت إطلاق النار على رأسه حقاً ؟

أجابه (فلز) دون مؤاربة :

- كان هذا رد فعل طبيعياً يا سيدي ، فلقد رأيت هذا

الشخص يغلر حجرة الخزائن المرمية ، التى لا يحق دخولها إلا

لك ولـ (عادل) ولـى ، وعندما رفعت مسدسى فى وجهه ، كان

يهاجمنى ، فلم يكن أمامى سوى

قاطعه المفتش (رضوان) فى حدة :

- هذا يكفى .

ثم التفت إلى (هاشم) ، وقال :

- هتنداً ترى أنه أمرٌ غير مقصود .

رمى (هاشم) (فلز) بنظرة صارمة ، وهو يقول فى

خوض :

لفتح أبواب الحجرة على السارق ، وتطلق صفارات الإنذار .

و

فلطمعه رئيسه :

- لم يحدث شيء من هذا .

هتف (فلان) :

- لماذا ؟

أجابه (هاشم) في صرامة :

- لأن السارق واحد من الثلاثة ، الذين يحق لهم دخول حجرة الأسرار .

صاح به (فلان) في غضب :

- اسمع يا رجل - لو أنك تقن نفسك أنكى رجل أمن في

الشرق الأوسط ، فأتت واهم ، ولن تسمح لك بتوجيه الاتهامات إلينا أبداً .

سأله (هاشم) بعتة .

- أخبرني أولاً ، أين كنت ، خلال الساعة الماضية ؟

صاح (فلان) في حدة :

- ومن أعطاك الحق في استجوابي ؟

أجابه المفتش (رضوان) في توتر :

- أجب عن سؤاله يا (فلان) لقد كلفته بالتحقيق في

اختفاء محتويات الخزنة رقم (صفر) .

- ربما .

تجاهل (فلان) مقزى نبرة (هاشم) ، والتفت إلى رئيسه ،

بمسأله :

- ماذا حدث بالضبط ؟

جفف المفتش (رضوان) عرقاً وهمياً عن جبينه ، وهو يقول :

- لقد سرق أحدهم محتويات الخزنة رقم (صفر) .

هتف به (فلان) :

- سرق ماذا ؟ إنها تحوى كتاب الشفرة السرية .

أسرارنا .

وعلى الرغم من الدهشة التي تملأ كل سنتيمتر من وجه

(فلان) ، إلا أن موقف هذا الأخير بدا - (هاشم) مفتعلاً ،

حتى أنه قال في برود :

- هل أدهشك هذا حقاً ؟

استدار إليه (فلان) في غضب ، هو يقول :

- هل تتهملى بغيابة شرف منصبى ؟

قال (هاشم) بنفس البرود :

- إني لم أتهم أحداً بعد .

عقد (فلان) حاجبيه في غضب ، ثم أدبر وجهه إلى رئيسه .

وقال :

- ولكن ذهبت أجهزة الإنذار ؟ كان ينبغي أن تعمل كلها ،

بدأ الغضب على وجه (فازل) ، ولكنه أجاب :
 - حسن .. لقد قضيت الساعة الماضية في حجرتي أرجع
 بعض الملفات القديمة .
 سألته (هاشم) :
 - وأين كان زميلك (عادل) ؟
 أجابه على الفور :
 - يرجع وسئل الأمن .
 ابتسم (هاشم) ابتسامة سلخرة ، وهو يقول :
 - كيف عرفت هذا ؟
 لتنفض (فازل) في شدة ، وحنق في وجه (هاشم) ، قائلاً :
 - ماذا تعنى ؟
 ابتسم (هاشم) أكثر ، وهو يقول :
 - أعنى كيف علمت أن زميلك (عادل) قضى الساعة كلها ،
 في مراجعة وسائل الأمن ، في حين أنك لم تغادر مكتبك طيلة
 الوقت .
 ارتبك (فازل) ، وراح ينقل بصره بين الوجوه ، وكأنما
 يبحث عن جواب مناسب ، حتى ارتفع صوت (حازم) في
 نهاية الممر ، يقول :
 - أنا أخبرتكم .
 التفت للجميع إلى شاب وسيم ، يتجه نحوهم من نهاية
 الممر ، مستظراً :

- لقد اتصلت به ، بواسطة الهاتف الداخلى ، من حجرة
 وسئل الأمن ، ووجدته في حجرته .
 هتف (فازل) في لهفة ، وكأنما أسعده أن يجد هذا الجواب :
 - هذا ما حدث بالفعل .
 نقل (يحيى) بصره بينهما في شك ، وقد بدا له أنهما
 يكتبهان كذبة واضحة ملفوطة ، في حين لم يبد (هاشم)
 اهتماماً بهذا ، وهو يسأل القادم :
 - من الواضح أنك (عادل) .. أليس كذلك ؟
 أجابه القادم في برود .
 - بلى .. هو أنا .
 تبادل نظرة تحد لحظت ، ثم سألته (هاشم) :
 - هل تعلم أن محتويات الخزنة رقم (صفر) قد سرقت ؟
 عقد (عادل) حلجبيه في شدة ، وهتف :
 - كيف ؟
 فتفاعل (عادل) أيضاً بدا مفتعلاً ، حتى إن (يحيى) شعر
 - في هذه المرة - أنه ليس من العسير عليه أن يستنتج حل
 اللغز ، ولقد شعر بعزيج من الدهشة والحيرة ، لأن (هاشم)
 لم يعط الحل حتى هذه اللحظة ، ولكنه التزم الصمت ، وسمع
 (هاشم) يسأل (عادل) :
 - أنت خبير بوسائل الأمن هنا ؟
 هز (عادل) رأسه نفيًا ، وقال :

- لا .. ولكنني المسنول عن فحصها ومتابعتها .

صمت وهلة ، ثم أضاف في حزم :

- ويمكنني ان أؤكد استحالة سرقة محتويات اية خزانة سرية ، وبالأذات الرقم (صفر) . دون تشغيل أجهزة الإنذار ، والتقاط صورة للمسارق .

قال (هاشم) في اهتمام :

- ولكن هذا لم يحدث .

بدا الارتياح بغثة على وجه المفتش (رضوان) ، مما لاقى دهشة (يحيى) الذي أدرك الأمر في ذهنه بسرعة . ثم اتسعت عيناه ، وهرقت بهرقة الظفر ، وعجز عن التزام الصمت هذه المرة ، وهو يهتف :

- ولكنها لم تكن .

التفت إليه الجميع في دهشة . وسأله المفتش (رضوان) .

- من هي تلك التي فعلت ؟ وفعلت ماذا ؟

أشار إلى حجرة الخزائن السرية ، وهو يقول في انفعال :
- الخزائنة فعلت ، والتقطت صورة المسارق . ولكننا لم ننتبه إلى هذا .

وعقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يقول في حزم :

- حذار أن تتورط في الخطأ يا (يحيى) .

إلا أن (يحيى) واصل هتافه في انفعال :

- لقد كشفت للخزانة صورة المسارق ، وتصوّرنا نحن أنها لم تفعل .

هتف به المفتش (رضوان) في نوتو :

- ماذا تقصد ؟

التفت إليه (يحيى) في حزم ، وهو يقول :

- أقصد أن الحقيقة كانت واضحة منذ البداية يا كبير المفتشين . إن سارق كتاب الشفرة ، من الخزائنة رقم (صفر) هو ...

وأشار إلى المفتش (رضوان) نفسه ، مستطرداً في صرامة :

- أنت .

واتسعت العين كلها في دهشة ..

★ ★ ★

حدق الجميع في وجه (يحيى) في دهشة واستنكار ، فيما عدا (هاشم) . الذي اكتفى ببط شفتيه ، وهو يقول في خفوت :

- يا له من استنتاج !

اما المفتش (رضوان) فقد صاح في وجه (يحيى) في غضب :

- كيف تتهمني بأمر كهذا أيها الشرطي ؟! أتجهل من أنا ؟

اندفع (يحيى) يقول :

- أنا لا أتهم أحداً . الدلائل هي التي تتهم . راجع معي للموقف كله ، وستجد أنني على حق .. لقد سرق شخص ما محتويات الخزائنة رقم (صفر) . دون أن تعمل ، أو تتطلق

أجهزة الإحذار ، مما يؤكد أن السارق هو شخص معروف
للكمبيوتر الأمنى ، ويتحرك فى ثقة ، بحيث لا يثير انتباه
إلكترونيات الحراسة ، بل ويحفظ الأرقام السرية لفتح الخزنة ،
دون أن يتأكد فى رقم واحد ، من تمسدة أرقام ، ولا يوجد فى
النكون كله سوى ثلاثة ، يمكنهم فعل هذا ، وعندما فحصنا آلة
التصوير السرية لدخل الخزنة ، وجدناها قد التقطت صورة
واحد منهم ، وهو أنت يا سيدى ، ولقد حاولت إيهامنا بأن هذه
الصورة قد التقطت لك ، وأنت تفتح الخزنة فى وجودنا ، فى
حين أنها صورتك وقت تصرق الوثائق السرية ، و

قناطعه (هاشم) فى هدم :

- ولبن ذهبت صورته الثقبية ؟

الثقب إليه (يحيى) فى دهشة ، وهو يقول :

- ماذا تفعل ؟

هز (هاشم) رأسه ، وقال :

- أعتقد أنه ما دامت الخزنة تلتقط صورة لكل من يفتحها ،

فلقد كان من المحتم أن تلتقط الخزنة صورة المفتش (رضوان)

مرتين .. مرة وهو يسرق الخزنة - حسب قولك - والأخرى

وهو يفتحها فى وجودنا .

هتف (يحيى) فى غضب ، وهو يلوح بسبائته فى وجه

المفتش (رضوان) :

- ماذا تعنى بهديك نظريتى يا (هاشم) ؟ أنت تعلم مثلى أن

هذا الرجل هو السارق وأن

قناطعه (فالز) فى غضب :

- يبدو أنك تحتاج إلى درس قلم يا رجل .

ولم يكذب يتم جملته ، حتى اندفعت قبضته تلكم (يحيى) فى

أنفه ، ولكن قبضته استقرت فى راحة (هاشم) ، الذى هتف

فى غضب صارم :

- إن أسمع لك بلكم زميلى .

تقضى عليه (علل) بقية ، صالحا :

- ولا لنا .

كان من الواضح أن الأمر سيتحول إلى قتال ينوى ، فى قلب

مركز تدريب رجال الأمن ، إلا أن (هاشم) لم يكن يرغب فى

هذا ، لذا فقد مال جثثا فى رشاقة ، وترك (علل) يتجاوله

فى تقضاضة ، ثم دفعه بهرفله ، ليختل توازن (عادل) ،

ويسقط أرضا ، فى حين قبض على قبضة (فالز) المضمومة ،

ولوى نراع هذا الأخير خلف ظهره ، ثم انتزع مسدس (فالز)

فى حركة سريعة ، ودفع (فالز) نفسه بعيدا ، فهتف به

المفتش (رضوان) :

- حذار يا (هاشم) .. إنك بهذا تخط بنظم الأمن .

ابتسم (هاشم) فى سخرية ، وهو يقول :

- هكذا ؟

ثم رفع مسدس (فالز) فى وجه المفتش (رضوان)

مستطرذا :

- ما رأيك برصاصة واحدة ؟

عقد المفتش (رضوان) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى (هاشم) في صمت في حين وقف (قنز) حائلاً ينقل بصره بين وجهي (هاشم) والمفتش (رضوان) ، ونهض (عادل) من مقعته . يقول في توتر عصبى :

- هل أصابك الجنون يا (هاشم) ؟ إنك تصوب مسنمك إلى كبير المفتشين !!

ابتسم (هاشم) في استهزاء ، وهو يقول :

- هل سيختلف الأمر كثيراً ، لو أطلقت النار على رأسه ؟
سرت ارتجافة قوية في جسد (يحيى) ، وتطلع إلى زميله (هاشم) في حيرة ، وهو يتساءل عما أصاب هذا الأخير ، في حين ارتسمت الابتسامة غامضة على شفתי المفتش (رضوان) وهو يقول :

- هل تجرؤ حقاً على إطلاق النار ؟

قال (هاشم) في هدوء :

- وبلا تردد .

هتف به (يحيى) :

- (هاشم) !! إنها أول مرة أراك فيها

قاطعه المفتش (رضوان) ، وهو يمسأ (هاشم) في اهتمام :

- هل تثق بهذا تلميذا ؟

أجابه (هاشم) بكل الحسم :

- تملك الثقة .

ثم أشار إلى اللحظ المجاور له ، مستطرداً :

- وهذا هو الدليل .

بنت الحيرة على وجه (يحيى) ، وهو يتابع هذا الحوار العامض ، وحلصة عندما ابتسم المفتش (رضوان) ، وقال في هدوء :

- حسن .. أطلق النار .

وفي هدوء أكثر ، رفع (هاشم) مسدس (قنز) وصوبه

إلى جبهة المفتش (رضوان) ..

وأطلق النار ..

واتلفض جسد (يحيى) في قوة ، مع دوى الرصاصة ،

وتسعت عيناه في رعب ، وهو يحلق في وجه المفتش

(رضوان) ، الذي حافظ على ابتسامته الهائلة ، نون أن يبدو

أذى ثر للإصابة في جبهته ، وهو يقول .

- رابع يا (هاشم) .. أهناك .

وهنا تضاعفت حيرة (يحيى) ودهشته ، عندما أطلق

(عادل) ضحكة عالية ، وقال :

- تملنا كما أخبرتنا عنه يا سيدي .

هتف (يحيى) في حلق :

- هل لأحكم أن يخبرني ماذا يحدث هنا ؟

التفت إليه (هاشم) ، وقال مبتسمًا ، وهو يعيد للمسدس إلى (فائز) :

- (صفر) يا صديقي العزيز .. كل شيء في هذه القضية يساوي صفرًا .. الرصاصات الفارغة ، الخزقة الخاوية .. وكذلك القضية نفسها .

هتف (يحيى) في توتر عصبي :

- راقب .. والآن ما حتى كل هذا ؟

ابتسم (هاشم) ، وهو يربت على كتفه ، قائلًا :

- سأشرح لك كل شيء يا صديقي .. الواقع أن هذه للقضية تبدو محيرة منذ البداية ، فالشبهة للمسروق عبارة عن سرقة سرية ، المفترض ألا يعلم بوجودها سوى ثلاثة ، هم في الواقع موضع ثقة ، على نحو لا ينبغي أن يتطرق إليه الشك .. ووسائل الأمن تؤكد أنه من المعتمد أن يكون المُنارِق لخدمهم ، وفي الوقت ذاته يبدى اللذان منهما عدم اهتمام مناسِبًا بالحدث ، أو باختفاء الوثائق مما يضع أماننا احتمالين لا ثالث لهما .. إما أن الثلاثة قد اشتركوا في سرقة محتويات الخزقة رقم (صفر) ، أو أن كل القضية عبارة عن لعبة .

هتف (يحيى) في دهشة :

- لعبة ؟!

لجابه (هاشم) مبتسمًا :

- نعم يا صديقي .. فلو أنه من غير المقبول أن يقدم رجل آمن ، تم اختباره ودراسة شخصيته جيدًا ، على سرقة سرقة تهندس أمن الجهة التي ينتمي إليها ، فمن المستحيل أن يتفقد ثلاثة من أخطر رجال الأمن على هذا ، مما يضع أماننا الاحتمال الثاني ، وهو أن الأمر كله عبارة عن اختبار ، أو لعبة جديدة ، يتم وضعها أمام كل قادم إلى مركز التدريب .

قال المفتش (رضوان) في هدوء :

- بل أمام من نتوسم عليهم خيرًا فحسب .

أكمل (هاشم) :

- النقطة الوحيدة التي لم تكن تتفق مع هذا ، هي أن (فائزًا) قد أطلق النار على ، مما أثار حيرتي ، حتى انتهت إلى أن رصاصته ، قسي تجاوزتني ، لم تترك أثرًا في الحائط ، كما ينبغي أن يحدث ، وهنا استقامت الأمور كلها في ذهني ، وأدركت حل لغز الرقيم (صفر) كله .

ابتسم (فائز) في إعجاب ، وقال :

- صبري .. تمامًا كما أخبرونا عنه .

لحقتن وجه (يحيى) خجلًا ، وهو يفهم :

- إذن فقد أخطأت لـ ، عندي اتهام المفتش ..

فهقه المفتش ضاحكًا ، وهو يقول :

- اطمئن . هذا لن يمتعا من إصلاخك بمركز تدريب
كدارس ، ولكنه قد يصنع قارقاً كبيراً مع (هاشم) .

ثم التفت إلى (هاشم) وبتسم مستطرداً .
- فمستقبله لدينا معلماً .

مدّ (هاشم) يده يصفحه ، قللاً :
- اتفقنا .

وربح مركز تدريب رجال الأمن استاذاً قديراً ..
وعبقرياً ..

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

اختطاف ..

أطلق (هاشم همام) ، رجل الأمن العربى ، من بين شفتيه
صغيراً مرخاً منغوماً ، وهو يجذف وجهه بمشفته ، بعد أن انتهى
من حلاقة ذقته ، واتجه إلى حجرة نومه ، ليرتدى ثيابه ،
ولتست على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو ينتقى قميصاً
فضفاضاً ، ذا ألوان زاهية ، وقال لنفسه :

- حان الوقت لتتسمى لك رجل أمن يا (هاشم) .

كان يشعر بالكثير من السعادة والارتياح ، لأنه حصل ، ولأول
مرة منذ زمن بعيد ، على إجازة طويلة ، قرر أن يقضيها فى
جزر (هاواى) ، حيث الشمس المساطعة ، والشواطئ الواسعة
وعندما ارتدى قميصه للزاهى الألوان ، ومسرواله الأمريكى
الأزرق ، لم يتمالك نفسه من الابتسام مرة أخرى . وهو يتطلع
إلى هيئته فى قمرأة ، إذ بدا شكله - فى نظره - عجيناً ، غير
مألوف ، مما دفعه إلى أن يتعمم :

- يا إلهى ! من حسن الحظ أن أحداً من رجال الإدارة لن
يراقب على هذه الصورة .

التقط حقيبته ، وتأكد من وجود جواز سفره ، وتذكر
الطائرة دخلها ، ثم نوح بكفه ، وهو يقول :

- إلى اللقاء يا منزلي العزيز .. أراك بعد أسبوعين كاملين على الأقل ..

تجه إلى باب منزله ، وفتحته ، و ..
وتوقف مبهوراً ..

كان اسمه زميله (يحيى) ، ويده تكاد تضغط جرس الباب ..
ولم يك (يحيى) يراه أمامه ، حتى حثك في زوّه لحظة ،
جعلت (هاشم) يقول في حرج :

- إهم .. كنت أعتقد للمطر ، و ..

قاطعه (يحيى) ، في لهجة توحى بأهمية وخطورة الأمر :

- لقد أنفيت إجازتك ، والمدير يطلبك في الإدارة على الفور .

ردد (هاشم) في دهشة :

- أنفوت إجازتي .. ولكن ..

جذبه (يحيى) من ذراعه ، قائلاً :

- هيا .. لا وقت لدينا .

قالوا (هاشم) جذبة صديقه ، وقال :

- ساهلك ثيابي أولاً .

هتف (يحيى) :

- قلت لك : لا وقت لهذا .. المدير يريدك بالسرعة وقت ممكن .

تردد (هاشم) لحظة ، وهو يتخيل نفسه سائراً بين أروقة

الإدارة ، في قميص فضفاض ، ملركش ، وسروال رعاة البقر

الأمريكيين ، ثم لم يلبث نداء الواجب أن غلب تردده فالتقى

حقيقته ، قائلاً في حزم :

- هيا بنا .

لم يمض ريع الساعة ، حتى كان يقف أمام رئيسه ، الذي
لقى نظرة دهشة طسى ثيابه ، ثم تجاهل أمرها في سرعة ،
وقال في قلق واضح :

- قل لي يا (هاشم) : هل بلغت أمر زيارة ذلك الأمير

الإفريقي الصغير لدينا ؟

أجاب (هاشم) :

- نعم . بلقى أنه راع لحركة الكشف في موطنه ، وأنه

هنا بدعوة من جمعية الكشف الوطنية .. و .

قاطعه المدير :

- لقد تم اختطاف الأمير ..

ارتفع حاجبا (هاشم) ، وهو يهتف بكل الدهشة :

- تم اختطافه ؟! كيف ؟ لقد أعدنا برنامجاً أمنياً لحمايته ،

و ...

هز المدير رأسه في أسف ، وقال :

- على الرغم من هذا البرنامج ، تمكن أحد المجرمين من

اقتحام شخصية صحفي ، من المسؤولين عن تغطية زيارة

الأمير الصغير ، وفوجئ به طاقم الأمن بنقض على الأمير ،

ويلصق فوهة مسددة برأسه ، ويصرخ مؤكداً أنه سيقتله ، لو

حاول أي مخلوق الاقتراب منه ، وطلب إحضار سيارة ،

استقلها مع الأمير ، وفر أمام سمع وأبصار الجميع ، دون أن

يجرؤ رجل واحد من رجلنا على اعتراضه ، خوفاً على حياة الأمير .

سأله (هاشم) :

- ألم تتبعه إحدى سياراتنا ؟

هز المدير رأسه نقياً مرة ثانية ، وقال :

- لقد هدد بقتل الأمير أيضاً ، لو تتبعه أحد ، ثم تطلق

بسرعة كبيرة ، وعثرنا بعد نصف ساعة على سيارته خفية ،

ولا أحد يدرى أين ذهب بالأمير .

بدأ التوتر على وجه (هاشم) وهو يقول .

- وما مطالبه ؟

أجابته المدير :

- عشرة ملايين دولار عداً ونقداً ، في حقيبة كبيرة ، يحملها

شخص محدّد بالذات .

سأله (هاشم) في اهتمام .

- ومن هذا الشخص ؟

رفع المدير عينيه إليه ، وقال :

- أنت .. إنه يصرّ على أن تحمل إليه أنت بنفسك حقيبة

الغنية .

مطّ (هاشم) شفتيه ، وقال :

- كنت أتوقع هذا . ومتى يتم التسليم ؟

أشار المدير إلى الهاتف ، وقال .

- إتينا ننتظر مكالمته ، لتحديد الزمان والمكان ، و

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين الهاتف ، فاختطف المدير

سماعته في لهفة ، وقال -

- هنا إدارة الأمن .. من المتحدّث ؟

بدأ التوتر على وجهه وهو يستمع إلى محدّثه ، ففهم

(يحیی)

- إنه هو ..

مذّ المدير يده بالسماعة إلى (هاشم) ، قائلاً :

- له يطلب التحدّث إليك شخصياً .

التقط (هاشم) السماعة ، ووضعها على أذنه ، قائلاً :

- أنا (هاشم همام)

خيل إليه أنه يسمع تنهيدة ارتدح من الطرف الآخر ، قبل

أن يقول صوت حاد .

- احبباً . وأنا (علوان صالح) هل تنكرسي ؟

لم يكن (هاشم) يذكر الاسم ، وإن بدا له مأثوف بعض

الشيء ، فقال :

- ليس تملأ .

قال صاحب الصوت :

- بالطبع فمن السهل على القاتل أن ينسى ضحيته ،

ولكن من الصعب أن يحدث العكس .

التقى حاجباً (هاشم) ، وهو يفكر في معنى العبارة ، ولكن

الرجل لم يمهله ، وإنما تابع في سرعة ، وقد اكتسبت لهجته شيئاً من الشراسة :

- اسمعني جيداً ، يا أشهر رجال الأمن في المنطقة .. أريد منك أن تحمل إليّ حقيبة النقود ، وأن تنقلني بي في الحديقة العامة ، بعد ربع الساعة فقط .

هاتف (هاشم) :

- ربع الساعة ؟! ولكن هذا لا يمنحني حتى الوقت ..

صرخ الرجل وقاطعها في قسوة :

.. ربع الساعة ، أو أنبح الأمير الصغير بلا رحمة .

وقطع الاتصال ..

وهي توتر بالغ ، هاتف (هاشم) :

- إنه مجنون حتماً .. يطلب النقود في الحديقة العامة ، بعد ربع الساعة فقط .

هب المدير من خلف مكتبه ، وهو يقول :

- فلتصرع إذن .. ها هي ذى حقيبة النقود .. لقد أعصناها

بالفعل .

اختطف (هاشم) حقيبة النقود ، وتطلق يده خارج مكتب

المدير ، وعبر ممر الإدارة الطويل ..

مجنون هذا المختطف حتماً ..

إنه يضم أن المسافة ، من الإدارة إلى الحديقة العامة ،

تحتاج حتماً إلى وقت أكثر من هذا ..

٦٠

مجنون هو ولا شك ..

وقفز (هاشم) لدخل مسيارته ، وضغط بواسطة الوقود

بأقصى قواه ..

وتطلق ..

كان يتطلق بضعف السرعة المسموح بها داخل المدينة ،

ولكنه كان يعلم أنه لا يوجد حل سوى هذا ..

ولتارت سيارة (هاشم) بسرعتها الفلكية ، ذعراً لا مثيل له ،

بين العملة والسائقين ، وهي تتطلق بهذه السرعة ، وتتجاوز

بشارت المرور ، والطرق المظقة . بل وتمتد بها الأمور إلى

عبور طرق عكسية ، حتى إن أحد رجال المرور قد انطلق خلف

السيارة بدرأجته البخارية ، ولكنه عجز عن اللحاق بها ، حتى

لوقفها (هاشم) . بهذا الصرير المزعج ، أمام الحديقة العامة ،

قبل بقية واحدة من انتهاء المهلة الممنوحة .

وصاح رجل المرور بـ (هاشم) :

- أأنت مجنون يا رجل ؟

هاتف به (هاشم) ، وهو يدعو نحو الحديقة ، حاملاً للحقيبة

الصغيرة :

- بل زميل يا رجل . زميل في مهمة صعبة ..

سقط فك الشرطي ، وهو يردد في دهشة .

- زميل ؟!

لما (هاشم) فقد راح يلهث في شدة ، من فرط الانفعال ،

٦١

وهو يدير عينيه حوله في الحديقة .. باحثاً عن ذلك المختطف ..

لقد وصل في الوقت المناسب ..

إنه واثق من هذا ..

ولكن أين الرجل ؟

راح يتطلع إلى أركان الحديقة ، التي امتد فوقها ظل صحم ،
للك البناية الهائلة الشهيرة . المواجهة لها ، بحثاً عن ذلك
المختطف المجهول ، وتوتره يتصاعد في كل لحظة .

ومضت الثواني ، والدقائق . ولم يظهر الرجل ..
خمس دقائق كسلة . تجاوزت الموعد المحدد ، دون أن يظهر
الرجل ..

ثم خمس دقائق أخرى

وأخرى .

وفي كل ثانية تمر ، كان توتر (هاشم) يتضاعف
ويتضاعف ..

وفجأة سمع صوتاً من خلفه ، يقول :

.. أأنت (هاشم همام) ؟

التفت في حركة حادة عنيفة إلى مصدر الصوت ، وتحفّزت
كل عضلة في جسده ، ولكنه لم يلبث أن رفع حجبها في
دهشة ، وهو يحدق في وجه ذلك الشيخ ، الذي يقف أمامه في
هدوء . وسأله في حدة :

.. من أنت ؟ هل تعرفني ؟

هز الرجل رأسه نقياً في وقار ، وأجاب :

.. مطلقاً يا ولدي . كل ما في الأمر أن شاباً طلب مني أن
أنتظر رجلاً يحمل حقيبة كبيرة ، سيصل إلى هنا في عجلة
وتوتر ، وإن أسلمه هذه الرسقة ، بعد ربع ساعة من وصوله
قالها ونلوه ورقة مطوية ، لختطف (هاشم) من يده في
لهفة ، وفصح ليقرأ فيها عبارة قصيرة ، تقول :

.. سنلتقي عند النافورة التذكارية ، بعد عشر دقائق .

هاتف (هاشم) :

.. النافورة التذكارية ؟

أجابه الشيخ :

.. نعم يا ولدي .. ألا تعرفها . إنها في مواجهة الأبراج

السكنية الجديدة تماماً . و .

ثم ينتظر (هاشم) ليمسح باقي العبارة

كان يعلم أن الوصول إلى النافورة التذكارية ، في الزمن
المطلوب ، يحتاج منه إلى كل لحظة ، وإلى التحرك بسرعة
تفوق حتى سرعة التفكير نفسه

وربما كان هذا هو هدف المختطف ..

بشارة التوتر والارتباك .

طرح (هاشم) كل هذه الأفكار جانباً ، وقلز داخل سيارته ،
ورجل المرور يقول في سرلة :

.. لقد نزعت لوحات سيارتك ، فحتى لو كنت رجل أمن ،

لا يحق لك تعطيم قواعد السير والمرور . و .

فوجئ بـ (هاشم) بنطلق فجأة بقميائة ، متجاوزا قواعد المرور مرة أخرى ، فهتف في غضب :

.. لا بد من احترام قواعد المرور .

ولكن (هاشم) لم يسمعه ..

كان كل ما يشغل باله هو أن يبلغ النافورة التذكارية في الوقت المناسب ..

وكان يعلم أن خصمه رجل مجنون ، وهو لا يحب منح أمثاله فرصة تحقيق مآربهم ..

ها هو ذا يقترب من موقع النافورة التذكارية ، قبل نهاية الموعد .. يكفي أن ينحطف يمينا ، عند الناصية التالية ، ليبلغ ميدان النافورة ، و ..

وفجأة ظهرت تلك السيارة عند الناصية ..

وكان من المستحيل تفادي الاصطدام ..

من المستحيل تملأ ..

★ ★ ★

أعد (يحيى) سناعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول للمدير في توتر :

.. لقد فقد رجلنا أثر (هاشم) .

هتف المدير في ذعر :

.. لقدوه ؟! كيف ؟ ألم تبلغهم بضرورة محاصرة الحديقة

العلامة ، و ...

قال (يحيى) في اضطراب :

.. إنه ليس في الحقيقة .. لم يعد هناك

حنك المدير في وجهه بدهشة ، قيل أن يسلته :

.. ولماذا تركها دون إبلاغنا ؟

هز (يحيى) رأسه أسفاً ، وقال :

.. لا أحد يعلم . ولكن أحد رجالنا يقول إنه شاهد (هاشم)

يتحدث مع شيخ عجوز ، وأن هذا الشيخ قد سلمه رسالة ما ،

لم يكد (هاشم) بقروها ، حتى قطلق نحو ميائه ، ولتعد

عن المكان بصرعة مذهشة ، جعلت رجالنا يعجزون عن تتبعه .

صاح المدير :

.. ولم لم يلق قرجل القبض على ذلك الشيخ ؟

لجابه (يحيى) :

.. لقد فعل ، وحاول استجوابه ، ووجد أنه لا يعلم شيئا عن

محتويات الورقة . التي احتفظ بها (هاشم) معه ؛ ولهذا نجعل

لبن ذهب هذه المرة .

بدا الضيق في وجه المدير وصوته ، وهو يقول :

.. من الواضح أن هذا المجرم يسعى لإرباكنا ، وإثارة توترنا

وحيرتنا ، عن طريق تضير الموعد والمكان باستمرار .

قال (يحيى) في تهجة تحمل قدرا هائلا من التوتر والقلق :

.. إنه يسعى لأن نفقد أثر (هاشم) .

لوح المدير بكفه ، وقال :

- هذا أمر طبيعي ، فهو يحاول الحصول على القلبية ، دون أن يقع في أيدينا .

قل (يحيى) :

- وربما كان هناك هدف ثان .

ملكه المدير في حذر :

- مثل ماذا ؟

أجاب (يحيى) في اضطراب :

- أن ينقذ بـ (هاشم) ، و ...

صمت لحظة ، ثم أضف في صوت ارتجف كل حرف من حروفه :

- ويقتله ..

★ ★ ★

لم يكن هناك مفر من الاصطدام ..

كان (هاشم) ينطلق بأقصى سرعة ، والسيارة الأخرى تعترض طريقه ، و ..

ولما (هاشم) عجلة القيادة إلى اليسار ، محاولاً تفادي الاصطدام ..

وانحرفت سيارته في عنف ، في حين توقفت السيارة الأخرى ، وإطاراتها تطلق صريراً عنيفاً ومخيفاً ..

يبدو أن (هاشم) سيتفادى ذلك الاصطدام المروع لقد تجاوزه بالفعل ..

لا ..

كان حلمًا أجمل من أن يتحقق ..

لقد كاد (هاشم) يتجاوز الاصطدام بالفعل . بذلك الانحراف العنيف إلى اليسار ، ولكن الجزء الأيمن من مقدمة سيارته ارتطم بالجانب الأيسر من مقدمة السيارة الأخرى في عنف .

وقفزت سيارة (هاشم) في الهواء ..

قفزت على نحو جعلها أشبه بطائرة صغيرة ، حطقت لحظات في الهواء ، وسط مزيج من شهقات الفزع ، وصرخات الرعب ، قبل أن ترتطم بالأرض في عنف ، وتتقلب على ظهرها ، وهي تتلاقى نحو الانفجورة للتكرارية ..

وتوقفت السيارة على بعد متر واحد من الانفجورة ، وقد تهشم زجلجها الأساسي ، وتحطمت مقعمتها ، وانبعج سقفها على نحو مخيف . وهتف بعض المارة ، وهم يندفعون نحو السيارة المحطمة ، في محاولة لإنقاذ سائقها :

- ألقنوا السائق بسرعة .. قد تنفجر السيارة .

وقال للبعض الآخر في توتر :

- هذا لو أنه على قيد الحياة .

وفي هذه اللحظة ظهر (هاشم) من بين الحطام ..

ظهر متهاكاً ، مصاباً بجرح في جبهته ، وقد تمزق قميصه ، للمزركش ، وسرواله الأمريكي ، وهو يجنب حقيبة النقود خارج السيارة ، وهتف به أحد المحيطين بالسيارة ، وهو يعاونه على الخروج :

- أأنت بخير ؟

أجابته (هاشم) :

- ما كنت قد وصلت في مواعدي ، فلنا في خير حتماً
ارتفع حاجبا الرجل في دهشة ، وهو يتراجع ، في حين
الدفع شرطي الميدان نحو (هاشم) ، وقال وهو يتطلع إلى
جرح جبهته :

- سأطلب سيارة إسعاف .

قال (هاشم) ، وهو يحمل للحقيبة الثقيلة ، ويتجه بها نحو
النافورة في حزم :

إن يكون هناك وقت لهذا .

فربما تصرف في أية لحظة .

هتف الشرطي :

- تتصرف ؟ لا يمكنك التصرف ، قبل وصول رجال

الشرطة .

نوح (هاشم) بكفه ، وهو يقول :

- إني لأهدم يا رجل .. أخبرهم فقط أن (هاشم همام)

كان هنا ، وسيكون كل شيء .

هتفت طفلة صغيرة في هذه اللحظة :

- أأنت هو (هاشم همام) ؟

التفت إليها (هاشم) ، يسألها في لهفة :

- نعم .. أنا هو يا صغيرتي .. هل طلب منك شخص

ما إبلاغي رسالة خاصة ؟

أومأت برأسها لتصغير إيجاباً ، وقالت :

- نعم .. إنه شخص مخيف ، ولكنه منحني قطعة كبيرة من

(الشيكولاتة) . وطلب مني إبلاغك هذه الرسالة ، ولكن ..

تردنت لحظة .. فأمسك (هاشم) كتفها ، وهو يقول :

- ولكن ماذا يا صغيرتي ؟ هل طلب منك إبلاغي الرسالة ،

بعد فترة ما ؟

أومأت برأسها إيجاباً مرة أخرى ، وقالت :

- نعم .. لقد طلب مني إبلاغك هذه الرسالة بعد خمس دقائق

من وصولك ، لو أنك ..

لو أنك ..

ردت الجزء الأخير في تردد ، فسألها (هاشم) :

- لو أنني ماذا ؟

تطلعت إلى وجهه لحظة ، قبل أن تجيب :

- لو أنك على قيد الحياة .

تراجع في حركة حادة ، ملوذا الدهشة والحيرة ، والصغيرة

تضيق :

- هل كان يعلم أنك ستعرض لحادث سيارة ؟

تعتقد حاجبا (هاشم) ، وهو يدرس الأمر في صمت ، قبل

أن يضمن :

- لا يا صغيرتي .. لم يكن يعلم .

ثم عاد ينحني ، نحوها ، ويسألها في اهتمام :

- وم لرسالة ، التي طلب منك إبلاغى إياها ؟
ازدردت لعلها فى مرة . وقالت بهفة طفولية :
- قال : إنه سينتظرك أمام ملعب الكرة الرئيسى . بعد ربع
الساعة .

اعدل (هاشم) ، قنلاً :
- ملعب الكرة الرئيسى .. المواجه للبرج الإعلالى .. أين
تكنك ؟

قالت فى سعادة ، وهى تصلى بكفيها الصغيرتين جدلاً :
- إنه هو .. أنا أعرفه جيداً .
توقفت شرطى المرور إلى جوارهما ، فى هذه اللحظة .
وتقدم نحو (هاشم) ، قائلاً فى لهجة تحمل شيئاً من الشماعة :
- كنت أعلم أن سيئرتك ستلقى هذا المصير .. إنك سعيد
الحظ لكوتك على قيد الحياة ، و ...
قاطعه (هاشم) بفتة :

- سأستعير درجتك البخارية ليها الشرطى .
فغر الشرطى فاه ، من فرط الدهشة ، وهو يهتف :
- دراجتى البخارية ؟!
اتجه (هاشم) نحو الدراجة البخارية وهو يقول فى حزم .
مهرزاً بظافته الأمانة :
- نعم باسم العدالة .

ظل الشرطى فاعراً فاه فى دهشة بالغة . و (هاشم) يثبت
للحقيقية فوق الدراجة الآلية ، ثم يعلى منها ، قنلاً :

- لا تقلق يا رجل .. سبذل قصارى جهدى للمحافظة عليها .
واتطلق بالدراجة كالصاروخ ، متجهاً نحو الموقع الجديد .
ونحو مصيره المجهول ..

★ ★ ★

بدا ملعب الكرة الرئيسى خالياً تماماً ، فى ذلك اليوم . حيث
لم تكن هناك أية مباريات رياضية معدة أو منتظرة ، وجمال
المختطف بمنظره المقرب فى المكان ، ثم لم يلبث بصره أن
توقف عند بوابة الملعب الكبيرة ، وهو يقول لنفسه .

- لا ريب قننى قد أرفقتك تماماً يا (هاشم همام) ، فهانتذا
تأخر عن موعدك نصف دقيقة لأول مرة ، منذ بدأت اللعبة .
ولأراح المنظر عر عينيه . لينتقط بندقية مزودة بمنظار
آخر ، وهو يضيف :

- ولكن اطمئن يا رجل . لن تكون هناك مواعيد أخرى ..
هذه هى المحطة الأخيرة .

أسند كعب البندقية لى كتفه ، وصوبها إلى بوابة الملعب ،
وهو يلصق عينيه بالمنظار المقرب ، مستطرداً :
- رصاصة واحدة فى منتصف جبهتك ، وينتهى كل شىء
فيها لثابه .

انتظر الرجل بعض الوقت ، وهو يراقب بوابة الملعب ، عبر
منظار بندقيته ، قبل أن يقول فى عصبية :
- ماذا دهك يا رجل الأمن ؟ كيف تأخرت هذه المرأة ؟ لظهر
يا رجل . لظهر .. لظهر ..

أثناء صوت من خلفه ، يقول فى هدوء :
هاتذا .

انقضت السماء فى عروق الرجل ، وهو يلتفت إلى مصدر
الصوت فى حركة سريعة ، ثم ارتجفت كل خلية من خلاياه ،
وهو يحدق فى وجه (هاشم) ، الذى قال :
- مفاجأة .. أليس كذلك ؟

نفض الرجل عن نفسه عامل المفاجأة ، فى سرعة نحس
عليها ، ورفع فوهة بلندقته نحو (هاشم) ، هاتفا :
- بلى ، ولكنها لن تكون لصالحك .

ولكن (هاشم) لم يكن خصما عاديا .. لقد رأى الهندقية
ترتلع فى وجهه ، فتحرك إلى الأسفل فى سرعة مذهشة ،
ولفزت قدمه تركز بد الخاطف ، وتطيح بالهندقية من أعلى
البرج الإعلالى ..

وهب الرجل واقفا ، وهو يهتف فى غضب :
- لن تهلمنى أبدا .. إن نفسك على كفه .

وانقض على (هاشم) فى شراسة ، محاولا تحطيم كتفه
بنكمة قوية ، ولكن (هاشم) مال جفيا فى خفة ، واتجلى فى
مرونة ، وترك قبضة الرجل تلحم الهواء ، ليختل توازنه ، ثم
اعتدل فى حركة سريعة ، ولحم الرجل فى محبته بقوة ، قتلا :
- ولكنك لن تربح يا رجل .

وأعقب لكمة بأخرى فى فك الخاطف ، مستطردا .

- ما من مجرم يربح أبدا .

ثم كال له لكمة ثالثة ، حطمت أسنانه ، وهو يتابع :

- العدالة وحدها تربح كل المعارك .

سقط الخاطف على وجهه ، وراحت السماء تنزف من أنفه
المحطم ، وهو يهتف فى ألم وسخط ومرارة .

- ولكنك لم تربح بعد يا رجل العدالة .. ما زال الأمير
أسيرى .

جذبه (هاشم) من عنقه فى قوة ، ليجبره على الوقوف ،
وهو يقول :

- ولكنك ستخبرنى بمكانه

صاح الرجل :

- محال .. لقد هزمتنى مرة منذ عدة أعوام ، وتسببت لى
سجنى ، ولن أسمح لك بتحقيق انتصار آخر .

أجابه (هاشم) :

- نعم . لنكر ما فعلته بك .. ولنكر الآن من هو المجرم

(علوان صالح) .. لنعلم لماذا تذكّرت هذا إليها المجرم ؟ إنه

نفس السبب الذى قلنى إليك .. تمطيتك . الأسلوب الذى تصر

على اتباعه فى كل مرة .. حتى لى جريمتك للسابقة . لست

أبوى من عشقتك للمرتفعات ، ولكن كل جرائمك ترتبط بالأسلاك

للمرتفعة .. كلها بلا استثناء .. لقد ضربت لى فى البداية

موعدا ، فى مواجهة بناية هائلة ، ثم أخرج الأبراج السكنية

الجديدة ، وثالثاً أمام البرج الإعلاني .. ولقد فركت سرّاً
اهتمامك بهذه الأبراج ، فقد كنت تنتظر لإصابتى برصاصة قتلّة ،
في نهاية المطاف ، من فوق أحد هذه الأبراج ، ولهذا قررت
إدخال الوقت ، ومقابلتك أعلى للهرج مباشرة ، وهاتئذا ترى
أنتى كنت على حق .

هتف الرجل في عصبية :

- ولكننى أصرّ على أنك لم تربح بعد .

أطلت في عيني (هاشم) نظرة محيفة ، تفيض بقدر لا حصر
له من القضب والصرامة ، وهو يقول للرجل :

- أين الأمير ؟

هتف الرجل :

- لن تعرف أبداً .

قال (هاشم) بصرامته المخيفة :

- هكذا ؟

ثم دفع للرجل أمامه نحو حافلة المبنى ، في عنف وشدّة ،
جعل الرجل يضطرب بالفعل ، وهو يقول :

- إنك لن تؤذيني .. لن يمكنك أن تفعل ..

ولكن (هاشم) دفعه دفعة قوية ، لفت به خارج حافلة
المكان ، فصرخ في رعب هائل :

- لن يمكنك .

وفجأة أسك به (هاشم) في قوة ، قبل أن يسقط ، ثم

أعاده بذراع فولاذية إلى السطح ، وهو يتطلّع إلى عبيده
مباشرة ، قللاً بنفس الصرامة :

- هل يمكننى القيام بمحاولة أخرى ؟

ارتجف للرجل هذه المرأة ، في رعب ، وهو يقول :

- لا .. لا .. الرحمة .

كرّر (هاشم) سؤاله :

- أين الأمير ؟

ترنّد الرجل لحظة ، فنفعه (هاشم) مرة أخرى ، جعلته
بصرخ :

- فوق برج الأمراء .

سأله (هاشم) :

- ما برج الأمراء هذا ؟

تصنّب عرق غزير على وجه الرجل ، وهو يقول :

- إنه برج سكنى جديد ، لم يكتمل بناؤه بعد .. لقد وضعته

فوق المبنى ، لدخل وعاء كبير ، ولكنت لن تستطيع إنقاذه .

سأله (هاشم) في حدة :

- لماذا ؟

لوح للرجل بكفيه ، هتفاً .

- هناك قبيلة - قبيلة ستفجر بعد لثنتى عشرة دقيقة ،

وستستف الوعاء كله ، ويدخله الأمير .

جنّبه (هاشم) من رقبته في عنف ، صالحا :

- أيها الحقير .. أين هذا البرج ؟ أين ؟

ألقى الرجل إليه عنوان البرج ، وهو يرتجف فرقا ، وأضاف :
- لن تنجح . الوصول إلى البرج يحتاج إلى صعب هذا الوقت .

هو (هاشم) على فكة بنكمة كالقنبلة ، وهو يقول .

- دع لي هذا

سقط الرجل فاقد الوعي ، في حين تطلق (هاشم) يحدو بكل سرعته ، ليهبط من البرج الإعلاني . ثم قفز فوق الدراجة البخارية ، وانطلق بها في عنف . وهو يلتقط مسناع جهاز التلاصق الملحق بها ، هاتفا :

- (يحيى) .. هل تسمعني ؟ أنا (هاشم) ؟

أناه صوت يهتف في لهفة :

- نعم يا (هاشم) .. أسمعتك جيدا .. ماذا فعلت ؟ أين أنت ؟

ماذا حدث ؟

أجاب (هاشم) ، وهو يشق طريقه بين صفوف السيارات في سرعة مغيرة :

- لقد توصلت إلى المجزم ، وهو فاقد الوعي ، فوق البرج الإعلاني ، المواجه لمنحدر الكرة الرئيسي .. أرسل بعض الرجال لإلقاء القبض عليه ، ومشجدا إلى جواره حقيبة الملايين .

هتف صوت المدير ، عبر جهاز التلاصق :

- والأمير .. ماذا عن الأمير ؟

أجابه (هاشم) :

- أنا في طريقى إليه .

ثم نهى الاتصال على الفور ، خشية أن يلقي المدير سؤالا آخر ، لا يجد له جوابا ، وواصل انطلاقه بالدراجة البخارية ، متجاوزا زحام المرور ، وصاعدا فوق الإفريز تارة ، وقافزا عبر تارة أخرى ، وهو يتطلع إلى ساعته في قلق ..

بقيت أربع دقائق فحسب ..

وعقب الثواني يغدو بسرعة مذهشة ..

ثلاث دقائق بقيت ..

وبلغ (هاشم) البرج ، فقفز عن دراجة بخارية ، واندفع

يصعد إلى أعلى البرج ، عبر درجات السلم الرخامية ..

دقيقتان وتنفجر القنبلة .

و (هاشم) يحدو .. ويصعد ..

أنفاسه تتقطع ..

قلبه ينبض في عنف ..

للحرق بغمر وجهه ..

والدرجات لا تنتهي ..

لاؤك مرة بكرة تلك البنايات الهائلة ، التي ترتفع عشرات

الأمتر ، حتى تكاد تتأطخ المنحباب

وبقيت دقيقة واحدة ..

وبدأت أعصاب (هاشم) ترتجف ، وأطرافه تعجز عن

مواصلة الانطلاق ..

نصفاً دقيقة .

لله سبيلى حتفه حتماً .

سينهار .

ها هو ذا يبلغ السطح ، وها هو ذا الوعاء هناك .

وبلى ربح الحقيقة فحسب ..

ويكل ما تبقى إلى جسده من قوة ، تدفع (هاشم) نحو الوعاء ، وفتحه . وتطلع لحظة إلى الأمير الإفريقى ، المقيّد داخل الوعاء ، والذي تطلع إليه بدورهِ فى لهفة ، ثم نقل (هاشم) بصره إلى القنبلة ، التى تستقر إلى جواره . وقد اقربت عقاربها من نقطة النهاية ..

عشر ثوان بقيت على موعد الانفجار ..

و (هاشم) يجهل الوسيلة المثلى ، لإبطال مفعول مثل هذه القنبلة ..

هل ينزع الملك الأحمر ، أم الأخضر ؟

خمس ثوان بقيت ..

ولم يحد الأمر بحتمل للمغامرة ..

وبسرعة حسم (هاشم) أمره ..

إنه لن ينزع أية أسلاك .

لقد حمل القنبلة كلها ، وتدفع بها نحو حافة المبنى ..

ثلاث ثوان بقيت ..

ثانيتان ..

ثانية واحدة ..

ويكل قوته ، ألقى (هاشم) القنبلة بعيداً فى الهواء ، ثم قفز بحمى وجهه بشراعيه .

وبوى الانفجار ..

اتفجرت القنبلة فى الهواء ، وهوت شظاياها فوق الهياكل المجاورة ، التى لم ينته الفصل فيها بعد .

ولثوان ، ظل بوى الانفجار يتردد فى ألقى (هاشم) .

ثم ساد الهدوء .

هدوء تلم ، نهض (هاشم) بعده لاهثاً واتجه إلى الوعاء ، وقضى ينزع الكلمة عن فم الأمير ، وهو يبتسم فى تهلكه ، قللاً :

— مرحباً بك فى بلادنا يا سمو الأمير .

هتف الأمير الصغير فى لهجة لدهشت (هاشم) :

— كفت مغامرة رائعة .. إنها أجمل رحلة قمت بها .

وهنا لم يتملك (هاشم) نفسه ، على الرغم من تهانكه ، فتعجّر ضاحكاً ..

ورئدت قممقة صدى ضحكاته ..

ضحكات رجل ظافر

رجل العدالة .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

الشـيـخ ..

« الشيخ مرة أخرى .. »

أطلق (يحيى) تلك الصارة فى غيظ . وهو يلقي منظروفا ورديا على سطح مكتبه . فالتفت إليه (هاشم همام) ، وسأله فى دهشة . وهو يتطلع إلى المنظروف :

— أى شيخ هذا ؟

أطلق (يحيى) من أعقل أصغله زفرة حارة . وهو يجيب :
— من حسن حظك أنك تجهل أى شيخ هذا ، فقد كنت خارج البلاد ، فى الآونة الأخيرة . وتركتنى وحدى هنا ، أبذل قصصى جهدى ، للبحث عن شيخ مجهول ، دون جدوى .

جلس (هاشم) على المقعد المقابل لمكتب زميله (يحيى) ، وهو يقول فى اهتمام بالغ :

— يبدو أن لديك قصة مثيرة ، بشأن هذا الشيخ .. هيا يا صديقى .. قصص على الأمر ، ويكل تفاصيله

تلهد (يحيى) مرة أخرى ، واعتكلى فى مجلسه ، فقلأ :

— لقد بدأ الأمر منذ أسبوع واحد ، عشية سفرك لحضور مؤتمر رجال الأمن ، إذ تلقى أصحاب مصنع (بندار) للإلكترونيات ثلاث تمخ فى رسالة واحدة ، يقول صاحبها إنه سينسب الآلة الجديدة ، التى ابتاعها المصنع مؤخرًا ، مسلم

بحصل من أصحابه الثلاثة على مليون دولار دفعة واحدة . وأضاف وسيلة تسليم المبلغ ، ثم وقع الرسالة باسم (الشيخ) .. وتصور أصحاب المصنع أنها خدعة سخيفة ، فتجاهلوا التهديد إلى حد كبير . وإن لاحظوا الآلة الجديدة بطاقم حراسة خاص ، لحمايتها ، حتى يحين موعد تركيبها بالمصنع .

رفع (هاشم) سببته أمام وجهه ، وهو يقول :

— دعنى لأفمن ما حدث بعدها .. لقد نفذ (الشيخ) تهديده .. ليس كذلك ؟

مط (يحيى) شففيه ، وهو يومئ برأسه إيجاباً فى نفس ، قبل أن يقول :

— بلى .. ولا أحد يدري كيف فعل هذا .. لقد انفجر الجزء الحوى فى الآلة بوساطة قنبلة موقوتة ، قبل تركيبها بيوم واحد ، وعلى الرغم من وجود طاقم الحراسة .

بدأ الاهتمام على وجه (هاشم) ، وهو يسأله :

— وماذا حدث بعدها ؟

نوح (يحيى) بكفه ، مجيباً :

— كانت كارثة بالنسبة للمصنع .. الذى يمر بضائقة مالية ، فأصيب (شاهين) بلزمة قلبية ، وانهار (نافع) ، وكاد (ضيف) يتحر ، و ...

فقطعه (هاشم) فى اهتمام :

— لحظة .. هل (شاهين) و (نافع) و (ضيف) هم أصحاب المصنع الثلاثة ؟

أولاً (يحيى) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم . وقرر (نافع) و (ضيف) عدم إبلاغنا ، ولكن (شاهين) اتصل بي سرّاً وأبلغني بكل شيء . ومنحني نسخة الخطاب التي وصلته .

التقط (هاشم) الخطاب ، وقرأه في اهتمام بالغ ثم قال :

- المفترض - طبقاً للخطاب - أن يرسلوا رجلاً ، إلى الحديقة الكبرى . حاملاً حقيبة بنّية ، ذات طرّاز خاص ، وداخلها الملايين الخمسة ، على هيئة أوراق نقد كبيرة لقيمة . ثم يلزمها بجانب الشجرة العجوز ، في طرف الحديقة ، عند القجر تماماً ، ويرحل .

غمغم (يحيى) :

- هذا صحيح .

بدأت علامات التفكير العميق على وجه (هاشم) ، قبل أن

يرسل (يحيى) :

- هل اختاروا الرجل ، الذي سيجمل الحقيبة ؟

أجاب (يحيى) :

- نعم . سيجملها (ضيف) بنفسه ، فهم يخشون إبلاغ أي

شخص آخر بالأمر ، و (شاهين) يحمل قلباً ضعيفاً ، كما أن (نافع) عصبى وسريع الانهيار ، ولم يعد هناك سوى (ضيف) وحده .

حرك (هاشم) رأسه في نطم ، ثم قال في حسم :

- في هذه الحالة ثم يعد أمماً سوى مراقبة الشجرة العجوز بمنتهى الدقة

وضم قبضته في قوة ، مضيقاً .

- ونطبق بأيدينا على الشبح .

★ ★ ★

كان الطقس بارداً إلى حد كبير ، فجر اليوم التالي ، وعلى الرغم من هذا ، ومن دقة المواقف ، شعر (هاشم) بشيء من الارتياح ، وهو يتطلع إلى الحديقة الضخمة ، التي انتشر فوق زهورها ضباب خفيف ، تتكاثف منه قطرات الندى على أوراق الأزهار ، فتصنع واحدة من أعظم لوحات الخالق (عز وجل) ..

وفي توتر ، نفخ (يحيى) كفيه ، وغمغم .

- أظنّه سيأتى حقاً ؟

أجاب (هاشم) وهو يراقب للشجرة العجوز بمنظاره للمقرب :

- إنه لن يتنازل حتماً عن الملايين الخمسة .

كان (يحيى) يدرك الجواب ، ولكنّه ألغى سؤاله لتبديد شيء من توتره فصب ، وعلى الرغم من هذا فقد اكتفى بعارة (هاشم) ، وعاد إلى صمته ثانية ، حتى لاح ضوء مصباحي سيارة من بعيد ، يشق الضباب الخفيف ، فهتف (يحيى) في تفعل :

- إنه (ضيف) .

لم يعلق (هاشم) بكلمة واحدة ، ولكنه أدار منظاره المقرب إلى مصدر الضوء ، ورأى سيارة (ضيف) تتوقف . عند طرف الحديقة ، ويهبط منها هذا الأخير ، حاملا حقيبة كبيرة ، راح يدفع قدميه معها في توتر ، حتى يكف الشجرة العجوز ، فتلفت حوله في خوف ، ووضع الحقيبة إلى جوار جذع الشجرة الضخم ، ثم استدار مبتعدا في سرعة ، وقفز لدخل سيارته ، والطلق مبتعدا بها في دُعر ، فقال (يحيى) :

- يبدو كما لو أن شيطان الكون كلها تطارده .

تعم (هاشم) ، وهو يراقب جذع الشجرة باهتمام بالغ :

- إنها ليست بالمهمة السهلة ، لمدنى مثله

رأى عليهم الصمت طويلا ، وهما يراقبان جذع الشجرة الضخمة ، حيث استقرت الحقيبة الكبيرة ، دون أن يظهر (الشبح) ..

ولاح في الأفق ذلك للضوء الأحمر ، الذي يصنع الشفق ،

إذانا بقرب شروق الشمس ، فقال (يحيى) في عصبية :

- أظن أنه أبدل خطته ؟

أشار (هاشم) إلى نقطة بعيدة ، وهو يقول :

- لا ها هو ذا .

أدار (يحيى) منظاره في سرعة ، إلى حيث ينظر (هاشم) .

وشمته الانفعال دفعة واحدة ، فقد وقع بصره على شخص

يرتدى معطفا أسود ، ويخفى رأسه بطبقية صوفية سوداء .

وهو يتجه نحو الشجرة العجوز بخطوات وثيقة سريعة ،

وكانما يعطم حنقه جيذاً ، فهتف (يحيى) في صوت خافت :

- نعم .. إنه هو حتماً .

راقبناه وهو يقترب من الشجرة ، حتى بلغها ، فالتفتى يلتقط

الحقيبة في هدوء ، وكأنه يعطم بوجودها مسبقاً ، ثم اعتدل ،

وعاد من حيث أتى ..

وهنا هتف (هاشم) في حماس :

- لقد وقع شبحك .

وفجأة ، وقبل أن يترك (يحيى) الأمر ، كان (هاشم) قد

ألقى منظاره لرضا ، وترك مكانه ، واندفع بكل قواه نحو الشبح ،

المشتبح بالسوك ..

وشعر الرجل بـ (هاشم) ، واثبتته توقع أقدامه ، فاستدار

في حركة حادة عليفة ، ليواجه خصمه ، ثم لم يلبث أن أطلق

زمجرة غليظة ، عندما انقضَّ عليه (هاشم) هائفاً :

- وقعت أيها المجرم .

ألقى الرجل حقيقته بحركة سريعة ، ورفع ساعده المفتول ،

يتلقى عليه لكمة (هاشم) ، ثم يطلق زمجرة أقوى ، وهو ي

بكهضته على فك (هاشم) .

وكفقت لكمة قوية بالقفل .

لكمة ألقت (هاشم) متريين على الأكل إلى الخلف .

ولكن (هاشم) قفز واقفا على قدميه ، في مرونة مذهلة .

والدفع مرة أخرى نحو خصمه . ثم وثب في رشاقة وضربة
بقدمه في صدره . فأسقطه أرضاً ، إلا أن الرجل نهض بسرعة ،
واستقبله (هاشم) بلكمة كالقنبلة . انفجرت على فك الرجل ،
فأعادته مرة أخرى إلى الأرض ..

وهنا أطلق الرجل زمجرة مخيفة للغاية ، واستلّ من جيبه
خنجرًا ، انقضّ به على (هاشم) ، الذي رأى النصل للأفع
يهوى على صدره ، فمال جانباً في سرعة ، وأطبق بيده على
معصم الرجل ، ولوى المعصم في عصف وسرعة . جعل المجرم
يقلّب خنجره . ويطلق آهة ألم . استقبلها (هاشم) ، وهو
يهوى على فك الرجل بلكمة ساحقة ، سمع بعدها (يحيى)
صوتاً أشبه بالمدن تتحطم ، قبل أن تلاحظ عين الرجل ، ويسقط
فأفاد الوعي ..

ولتهت (يحيى) . من فرط الانفعال . وهو يهتف .
- لقد ألقيت القبض عليه .. مرحى يا رجل . لقد أوقفت
الشبح .

وفبتسم (هاشم) في ارتياح ظافر .
لقد أنهى القضية . واستعد الملايين الخمسة ، ولقى
القبض على الشبح وانتهى كل شيء
أو هذا ما يظن ..

★ ★ ★

شحب وجه (ضيف) . واتسعت عينها (سافع) في حين
هتف (شاهين) ، في صوت يحمل رنة دهشة كبيرة :

- ألقيت القبض عليه ؟ ماذا تعنى أنها المقتش ؟

أجابه (هاشم) وهو ينولنه للحقيبة الكبيرة :

- أعنى أنت استمعا إلى تحذيرك يا سيد (شاهين) . وراقبنا
الشجرة العجوز . حتى نرى تلك الشبح الوقح ، ليأخذ ملايينكم
للخمسمة ، فطروناه . وألقينا القبض عليه . واستعدت ملايينكم .
تبادل الشركاء الثلاثة نظرة صامتة ، قبل أن يقول (نافع) .

- هل أبلغت رجال الشرطة يا (شاهين) ؟

أجابه (شاهين) ، وهو يفتح حقيبة الأموال . وينقى نظرة
لرتياح على الملايين الخمسة :

- يُسعدني أن فعلت .

صرخ (نافع) :

- ما كل ينبغي أن تفعل .

صاح به (شاهين) في عصبية :

- ماذا تعنى بأنه لم يكن على أن يفعل ؟

إننى أمتلك ثلث هذا المصنع . بل أنا الذى صنعت لجاحه

كله بخبرتى وعلاقتى .. إنكم لا تشعرون به مثلب أشعر به أنا

أنت مجرد شريكين برأس المال ، أما أنت فأفعل كل شيء .

ومن حقى - والحال هكذا - أن أتخذ أو أقرر لمصلحة المصنع ؟

أجابه (هاشم) في حزم :

- إنه كذلك بالفعل لقد ألقينا القبض على (الشبح) .
واستعنا أموالكم ، و ..

قاطعه في تهيل :

- هذا لو أن الذي ألقينم القبض عليه هو (الشبح) .

هوت العبارة على رأس (هاشم) كالصاعقة ..

من يضمن له بالفعل أن هذا هو (الشبح) ؟

من يؤكد أنه ليس أحد رجاله لحسب ، وأن (الشبح) نفسه

ما يزال مطلق السراح ، ينفث غصبه وسخطه في مكان آخر .

لضاياع هذه الصفة ، ويتوعد المصنع بانتقام مخيف

ودون أن يخلق على عبارة (نافع) ، استدل (هاشم)

بالتقط سماعة الهاتف ، ويضبط أزراره في سرعة . قبل أن

يقول :

- مرحباً يا (يحيى) .. إنه لنا .. فل لي :

- ماذا فعلتم مع الرجل ؟

أناه صوت (يحيى) يقول في حلق :

- لا يمكن أن يكون ذلك الرجل ، الذي ألقينا القبض عليه .

هو (الشبح) يا (هاشم) .. لقد عثرنا على سجل له هنا .

ولكنه أمي .. لا يعرف القراءة والكتابة ، ومن المستحيل أن

يكون صاحب الخطابات .

كانت أصابع (هاشم) تنصير سماعة الهاتف ، وهو يقول .

- أمي ؟ لماذا أتى لأخذ الحقيقة إذن ؟

أجابه (يحيى) :

- شخص مجهول اتصل به هاتفياً ، وطلب منه إحضار

حقيبة كبيرة ، من جانب جذع الشجرة العجوز ، بعد الفجر بقليل ،

ووضعها داخل سيارة كبيرة ، ستقف أمام قسم الشرطة الرئيسي ،

مقابل قلبي جتية . ولم كانت المهمة بسيطة ، وكان الأجر

مرتفعاً ، فقد قبل المهمة دون مناقشة .

مضت لحظات من الصمت عبر الأسلاك ، دون أن يجيب

(هاشم) بحرف واحد ، حتى إن (يحيى) شعر بالقلق ، فقال :

- (هاشم) .. هل تسمعي ؟

أجابه (هاشم) في صوت جاف ، يعكس الكثير من غضبه

وسخطه :

- نعم يا (يحيى) .. أسمعك .. أسمعك جيداً .

ثم أعاد السماعة إلى موضعها في بطنه ، و (ضيف) يقول

في جزع :

- إنه ليس (الشبح) .. ليس كذلك ؟

لوماً (هاشم) يرأسه يجلبها في حلق ، فحسب وجه (ضيف)

في شدة ، وتهلوى (نافع) على مقعده ، هاتفاً :

- يا إلهي !

في حين تراجع (شاهين) كالمصعوق ، مضطرباً :

- ليس (الشبح) ؟

لم يكد يتم عبرته ، حتى سمع الجميع طرقات رصينة ،

على باب حجرة الاجتماعات ، فهتف (نافع) في امتداع :

- انخل .

دخل السكرتير الخاص للمصنع ، وهو يحمل ثلاثة خطابات وردية اللون ، ويقول في توتر :
- ثلاثة خطابات وردية كالمعتاد .

عقد (هاشم) حاجبيه في شدة ، في حين هتف (ضيف) ، بصوت أقرب إلى الهكاء :
- رباه .. الرحمة .. الرحمة .

اخطف (هاشم) أحد الخطابات الثلاثة ، وفضّه في حركة عنيفة ، واتخذ حاجباه في شدة ، وهو يقرأ محتوياته ، فسأله (نافع) بصوت مرتجف :

- ماذا يقول هذه المرة ؟

أجاب (هاشم) في حلق :

- يقول - إنه غضب جداً مما حدث ، وإن غضبه هذا يدفعه إلى مضاعفة المبلغ إذ يريد عشرة ملايين هذه المرة ، وإلا فلن يكتفى بنصف قسم الذوائر المطبوعة ، وإنما سيقتلكم أيضاً .

التفلس (شاهين) ، وهتف في ذعر :

- يقتلنا ؟

أم (نافع) ، فازداد شحوباً ، وهو يغمغم :

- عشرة ملايين ؟ يا إلهي ! يا إلهي !

وهتف (ضيف) منهراً :

- هذا يعني أن نفلس تماماً .

رند (شاهين) :

- ما باليد حيلة .. ما باليد حيلة .

قال (هاشم) في غضب .

- هل مستنفعون المبلغ ؟

قال (نافع) في مرارة :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟ إنه سيقتلنا هذه المرة .

وتتم (شاهين) :

- سنضطر لبيع المصنع ، للحصول على مثل هذا المبلغ .

اتعقد حاجبا (هاشم) ، وهو يقول في خفوت :

- تضطرون لبيعه ؟

ثم قلب المطروف في يده ، وفحصه في سرعة ودقة ، قبل أن يتبع :

- معذرة أيها السادة .. هل يمكنني مقابلة طاقم الحراسة ..

الذي كان مسنولاً عن حراسة الآلة ، التي نسف (الشبح) جزءها الحيوي منذ أسبوع .

تطنخوا إليه في حيرة ، وغمغم (ضيف) :

- وما شأن طاقم الحراسة القديم بهذا ؟

عقد (هاشم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول في حرم .

- دعني ألتق به أولاً يا سيد (ضيف) . ويعددهم سآخبركم

ما صلتته بالأمر .

ثم ارتفعت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يستطرد :
- وربما من هو (الشبح) .

★ ★ ★

بذل قائد طاقم الحراسة جهداً حقيقياً ، ليبدو متمسكاً أمام
للتفكرات المتفرسة الفحصة الصامتة ، التي يحدها بها (هاشم) ،
قبل أن يسأله هذا الأخير :

- هل كنت تعلم أن المصنع سركلف طاقمك ، مهمة حراسة
الآلة الجديدة ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، ولجأ :

- مطلقاً .. لقد تم اختيارنا عشوائياً ، ولم تكن فكرة وجود
طاقم حراسة خاص للآلة ولادة ، قبل التهديدات .
سأله (هاشم) :

- من وضع القنبلة في الآلة إذن ؟

لجأه الرجل :

- نست أدري يا سيادة المفتش . لقد كنا نحرس الحجرة ،
التي وضعوا دخلها الآلة الجديدة ، بكل حزم وصرامة ، ولم يكن
يدخلها سوى السادة أصحاب المصنع ، للاطمئنان على ألتهم .

برقت صبا (هاشم) ، وهو يقول :

- كرر الجزء الأخير مرة أخرى .

تطنّع إليه الرجل في دهشة ، وكرر الجزء الأخير من عبارته
بالتفعل .

فليتم (هاشم) ابتسامة غامضة . وقال للرجل :
- حسناً .. يمكنك الانصراف .

ثم كتفت إلى الشركاء الثلاثة ، مستطرداً :

- لقد سمعتم بأنفسكم أنها السادة .

هتف (شاهين) في دهشة :

- ما لذي سمعنا ؟ إننا لا نفهم شيئاً .

نوح (هاشم) بمبأبته أمام وجهه ، وهو يقول .

- سأشرح لكم يا سيد (شاهين) ما سمعتموه الآن بشير

إلى أن أخذنا غيركم لم يدخل الحجرة ، التي كنتم تحتفظون فيها
بالآلة . التي نجح (الشبح) في نسلها ، ألا تدركون ما الذي
يعنيه هذا ؟

قال (نافع) في عصبية :

- لهجت توحى بك توجه إلينا للهلمنا إليها المفتش .

تردعت ابتسامة (هاشم) غموضاً ، وهو يقول :

- ليس بعد يا سيد (نافع) .

ثم رفع المظروف أمام عينيه ، مستطرداً في صرامة :

- ولكنني سلفعل حتماً ، عندما تلقون نظرة على المظروف ،

الذي وصل الآن . وعلى ختم القبريد فوقه .. لو فعلتم تستجنون

أن (الشبح) المزعوم قد أرسل هذه الخطابات أمس ، وأعلن

فيه غضبه مما حدث ، حتى قبل أن يحدث ما حدث .

تمتم (شاهين) :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

أجله (هاشم) :

- يعنى أن (الشبح) هو واحدٌ منكم ليها الصلابة

حذق (شاهين) فى وجهه بدهول ، وشهل (ضيف) فى
قوة ، فى حين هتف (نافع) فى استنكار شديد :

- واحد ماذا ؟

أجله (هاشم) فى حزم صارم :

- نعم .. (الشبح) هو واحد منكم ، دبر كل هذه الخطأ .

ليستوى وحده على المصنع .. ولقد لعب لعبته القذرة بكل

مهارة ، فبدأ بتهديده الأول ، الذى أثار ذعر شريكه ، وجعلهما

يستعنان بطاقم حراسة خاص ، لحماية الآلة الجديدة ، ثم

تظاهر بالاطمئنان على الآلة ، كأحد لصاحبها ، ومن فيها فتيلة

زمنية موقوتة ، لم تلبث أن انفجرت ، لتؤكد تهديدات (الشبح) ،

وتزيد من خوف شريكه ، وبعدها أرسل تهديده الثانى ، وحدث

موعد ومكان تسليم الملايين الخمسة ، ثم استأجر مجرمًا سابقًا ،

ليحضر حقيبة النقود ، وهو يعلم أنه سيمسقط فى قبضة رجال

الأمن ، مما يمنحه فرصة إرسال تهديده الثالث ، الذى يشير

- ولأول مرة - إلى قتل الجميع ..

وكان من الطبيعى أن يلقى التهديد الثالث بآثره المنشود ،

عندما يلقى بعد محاولة فاشلة ، فينهار شريكا (الشبح) ،

ويقران بيع أنفسهما ، لمدد المبلغ المطلوب ، بعد أن صار

الأمر متعلقًا بحياتهما ، وليس بمصنعهما فحسب . وهنا يلقى

نور المرحلة الأخيرة من الخطأ ، فيشتري (الشبح) نصيب

شريكه ، ولو باسم مستعار ، ويصبح مالك المصنع ، بالنقود

التي بدورها منذ زمن ، تمثل هذه المنسبة ، لستمع إليه الثلاثة

فى دهول تلم . قبل أن يقضم (شاهين) :

- مستحيل ! من ما يفعل هذا ؟

هوى الجواب على رأسه كالصاعقة ، و (هاشم) يقول فى

حزم :

- أنت يا سيد (شاهين) .

تراجع (شاهين) فى حركة حادة ، هاتف :

- أنا ■

أجله (هاشم) فى ثقة .

- ومن غيرك ؟ لقد أقمتم هذا المصنع على أكتافك ، وأنت

تشفر . كما شعرت دائما ، بأنك أحق به وحده ، وأن شريكك

لا يساويان شيئًا فيه . وهذا ما أفصحت عنه بنفسك منذ قليل

صاح الرجل فى عصبية :

- إنها ثورة غضب فحسب ، وهذا ليس دليلاً .

هز (هاشم) كتفيه ، وقال :

- لن أعتمد عليه وحده بقطع ، فهناك نقطة أكثر قوة ، إذ

أنك الوحيد ، الذى أبلغ (يحيى) بأمر الخطاب الثانى ، ويمكن

وموعد تسليم المبلغ ، وأنت واثق من أننا سنراقب المكان ،

وتلقى القبض على المجرم ، الذى استأجرته لحمل الحقيبة ،
مما دفعه إلى إرسال الخطاب لثالث مبكراً ، ثم إنه أتت الذى
يدير المصنع ، ولكاد أجزم بأن كل الخسائر ، التى يمر بها ،
زائلة ، مثل توبتك القلبية ، وإنك قد استوليت خلال الأعوام
السابقة على معظم أرباح المصنع ، وانخرتها لتشتري بها
نصيبى زميليك وشريكك ، عندما تحين اللحظة المناسبة .

إن صمت رهيب على المكان ، بعد أن قتمهى (هاشم) من
حديثه ، وتصيب لعرى على وجه (شاهين) ، فى حين هتف
(نافع) فى ذهول واستنكار :

- أنت ؟! أتت يا (شاهين) ؟!

لما (ضيف) فرند فى غضب :

- أيتها المجرم الأثم .

صاح (شاهين) فى صبيحة بلغة :

- إننى استحق للمصنع وحدى ، وسأحصل عليه كله ، لو ..

فتزع بسرعة آلة صغيرة من جيبه ، ورفعها بيده عالياً .

وهو يستطرد :

- أو أقصفه كله .

ساد التوتر فى المكان ، وسأله (هاشم) فى غضب :

- ما هذا الذى تحمله ؟

لطلق (شاهين) ضحكة علية ، أقرب إلى ضحكة رجل

مجنون ، وهو يهتف :

- ألم تعرفه أيتها العفري ؟ له جهاز تفجير لاسلكى .
بضخمة واحدة على زرّ الصغير ، تنطلق إشارة بسيطة ، إلى
عشر قتابل ، وضعتها بنفسى ، فى أكثر الأماكن حيوية بالمصنع ،
وبفجر ممكن كله .. كله .

قلتها وقهقه ضحكاً فى جنون ، فتراجع (نافع) و (ضيف)
فى خوف ، وهتف الأخير فى ضراعة :

- لا يا (شاهين) .. لا تتسفه .

صرخ (شاهين) :

- بل سأفعل . لن تحصل عليه أنت و (نافع) ، بعد أن

تلقبى فى السجن .. لقد وضعت هذا الاحتمال فى اعتبارى ،

وأعدت لكل شيء عنك .. لن يحصل غيرى على المصنع . أبداً .

ورفع يده ، ليضبط زرّ التفجير ..

وهنا تحرك (هاشم) ..

تحرك فى سرعة وخفة ومرونة ، فقفز نحو (شاهين) ،

وارتفعت قدمه فى رشاقة مذهشة ، لتركل جهاز التفجير الصغير

من يد هذا الأخير ، الذى صرخ :

- لا . لا .

وتطّق بصر (نافع) و (ضيف) بالجهاز الصغير ، الذى

ظهر فى الهواء ، وارتفع ، ثم بدأ رحلة هبوطه نحو الأرض ..

وفى رأس كل منهما ، دار السؤال نفسه ..

ماذا لو سقط فوق زرّ التفجير ؟

واتدفع (شاهين) ، محاولاً استعادة جهازه ، وهو يصرخ :

— لن يحدث هذا أبداً .

ولكن (هاشم) ثبت مروية أكثر هذه المرة ..
نقد تحنى يساراً ، ولكم (شاهين) بكل قوته فى أسنانه .
ثم اعتدل . ومال يميناً فى سرعة مذهلة ، والتقط جهاز التفجير
بين أصابعه ..

وسقط (شاہین) ارضاً ..

وأطلقى (نافع) و (ضيف) شهرة ابهار قوية ..

وزیر (ہاشم) فی لڑکچ ..

لقد نجد (الشبح) ..

وعندما كان يحيى معصى (شاهين) ، لفافه الوعي ، بالأغلال ، دخل (يحيى) إلى الحجرة ، فحرق في وجوه الجميع ، وهتف في دهشة :

— ما الذي يحدث هنا ؟ لماذا تلقى القبض على السيد (شاهين) ؟

الْبُحْمُ (هاشم) ، وَاعْتَدِلْ وَاقْفَا ، وَهُوَ يَقُولُ .

— من حسن حظك أن شاهدت لقطة النهاية يا صديقي .

وسيدعشك كثيراً أن تعلم التفاصيل ، ولكن المهم الآن هو أننا قد ربحنا هذه القضية أيضاً ،

ولشار إلى (شاهين) ، مستظرفاً في لوتياح ظاهري .

- قضية (الشبيح)

★ ★ ★

(تَمَّتْ بِحَسْبِ اللَّهِ)

الملاح المذموم

مدد الهنود النعم تلك الليلة . في القاعدة العسكرية الجديدة ،
المتاخمة للحدود ، وتوارى القمر خلف سحب داكنة كثيفة ، فاختفت
المكان ظلام دامس ، إلا من مصابيح صغيرة باهتة ، اختفت أو
كانت ، خلف ذلك الضباب ، الذي انقشر به الغروب مباشرة ، وتضافر
مع العواصف الأخرى ، ليضلي على المكان غموضاً مهيئاً

وفي حذر وصمت ، تحرك رجلان تحت جناح الظلام ، وعبرا في مهرة حاجز الأسلاك الشائكة ، اللّذان يحيط بالقاعدة ، ثم زحفا نحو مبنى صغير ، من طابق واحد ، وأشار أحدهما إلى الآخر إشارة ذات معنى ، فنهض الثاني في خفة ، وتسأل من خلف حارس المبنى وانقض عليه انقضاضة مباغتة عنيفة ، وكتم فمه بكفه اليسرى ، ثم أغمد حنجره في قلبه ، بيده اليمنى ، ثم بتركة الإحثة هالدة .

وهو سقوط الحار من تحرك الرجل الأول ، وانضم إلى زميله عند باب المبنى للصغير . واشترك الاثنان في معالجة باب المبنى في مهارة ، حتى استجاب لهما ، فلما في سرعة إلى الداخل ، ولوصدا الباب خلفهما ، ثم أشعل كل منهما مصباحه اليدوي ، وتجه نحو خزانة صغيرة ، في الجدار المقابل للباب

مباشرة ، وأخرج الأول جهازاً إلكترونياً صغيراً ، ألصقه بباب الخزانة ، وهو يقول لزميله في خفوت :

- حلول لن نكتف أنفسنا ، فهذا الجهاز شديد الحساسية للصوت .

كتم زميله أنفاسه بالفعل ، وضغط هو زرّاً صغيراً بالجهاز . فتألفت شائسته المستطيلة بهريق فيرورى ، ثم راحت عدة أرقام تتراص فوقها في سرعة ، ثم لم تلبث كل هذه الأرقام أن توقفت ، واستقرت مجموعة من الأرقام المنطقية فوق الشاشة الخضراء الصغيرة ، فابتسم الأول في سخرية ، وهو يقول :

- أجبنا .. كنت أعلم أن هؤلاء العرب ، ليسوا بكفاءة التي نتصورها .

مذّبه بفتح باب الخزانة ، ولكنه لم يكد بفتح الباب للمحلى الصغير ، حتى تطلعت صفرات الإنذار في المكان كله ، فصرخ زميله :

- يا إلهي ! لقد خدعونا .. سقطنا في الفخ .
عقد الأول حاجبيه في توتر ، وتركز بصره على عتبة صغيرة ، تستقر داخل الخزانة ، وهتف :

- يا للمخافة !
ولفتظف العتبة في حدة ، وانفج مع زميله محاولان الفرار من المبنى الصغير ، ولكن شمالاً من الضوء غير المبهى فجأة ، مع صوت صياحه يقول :

- لقد وقعتم يا من بالمبنى المكان محاصر تماماً ، ولن تنجح نملّة واحدة في الإفلات منه .. استسلموا ، لو نطلق النار .
انهار الرجل للثقى ، وهو بهتف :

- لقد سقطنا في أيديهم .. إنهم أذكى مما أخبرونا بكثير .

امسك الأول العتبة الصغيرة في قوة ، وهو يقول في عناد :

- ولكنهم لن ينتصروا على أبداً .. أيضاً

وكرر الصوت قصارمه تحذيره للمرة الثانية ..

ثم بدأ الاحتحام .

اكتحمت القوة العربية المكان في عنف ، وارتفعت أسلحتهم في وجه الأجبيين ، الذين استسلموا على الفور ، دون مقاومة . فالترب منهما قائد القوة العربية ، ومذّبه إلى الأول ، قائلاً في صرامة :

- العتبة

نوله الرجل العتبة الصغيرة ، وهو يقول في عصبية :

- ها هي ذى .

التقط قائد القوة العربية العتبة ، وفتحها في جرس ، ثم

اعتقد حاجباه في غضب ، وهو يقول :

- أين السلاح المرمى ؟ إنها عتبة فارغة .

أجاب الأجبي في توتر :

- لقد حصلت على العتبة ، ولكنكم لن تستعيدوا سلاحكم المرمى أبداً .. وانطلق بققه كالمجنون .

★ ★ ★

تتابع (هاشم همام) أشهر رجال الأمن في المنطقة العربية ، وهو يوقف سيارته أمام منزله ، في لثانية صباحاً ، وقال لزميله (يحيى) في تهلك واضح :

- لا يمكنك أن تتصور كم أشعر بالرغبة في النوم يا صديقي .

إيتسم (يحيى) مشتقاً ، وهو يقول :

- أنت محق في هذا بالتأكيد ، فلقد بذلت جهداً خرافياً اليوم .

غادر (هاشم) السيارة ، وهو يقول :

- أظن أن ثمانى ساعات من النوم العتيق . تكفى لإزالة هذا

الجهد يا صديقي .. أليس كذلك ؟

رأى حاجبي (يحيى) يبعدان في توتر ، وهو يتطلع إلى مدخل

اللباية التي يقطنها هو ، فإدار عييه بسرعة ، إلى حيث ينظر

(يحيى) ، ولم يثبت أن قطب حاجبيه بدوره ، وهو يتطلع إلى

سيارة (جيب) عسكرية ، تقف أمام منزله ، فغمغم في قلق :

- ما الذى تفعله هذه السيارة هنا ؟

قاله واتجه مباشرة نحو السيارة العسكرية ، وسأل الجندي

الواقف إلى جوارها :

- ماذا هناك أيها الجندي ؟

رفع الجندي يده بالتحية العسكرية . وهو يسأله :

- ألى شرف مخاطبة المفتش (هاشم همام) ؟

أجابته (هاشم) :

- نعم .. هو أنا .

ناولته الجندي ورقة تحمل توقيعاً رسمياً ، وهو يقول :

- هذا استدعاء رسمى يحمل اسمك يا سيدي ، من القوات

المسلحة .

هتف (يحيى) فى دهشة :

- استدعاء رسمى !!

قرأ (هاشم) الاستدعاء فى سُرعة ، ثم تنهّد قائلاً :

- هذا صحيح يا صديقي . إنه استدعاء رسمى .

ثم إيتسم فى تهلك ، مستطرداً :

- وهذا يعنى تأجيل النوم لما بعد .

★ ★ ★

نهض قائد القاعدة العسكرية بصافح (هاشم) وهو يقول

فى احترام :

- مرحباً بك فى قاعدتنا العسكرية إليها المفتش (هاشم) .

يؤسفنى أن اضطررتنا لاستدعائك فى هذا الوقت المتأخر ، ولكن

الأمر عاجل بالفعل .

ونقد أوصى رئيس الأركان بالاستعانة بك بالذات .

صافحه (هاشم) ، وهو يقول :

- لا عليك يا سيدي . لقد اختلست بعض النوم ، فى

تهلويكوبتر التى نقلتني إلى هنا ، وأظن هذا يكفىنى الليلة

فهم أن أعرف طبيعة مهمتى .

أشار إليه القائد بالجلوس ، وقال :

- الواقع أن قاعدتنا قد تعرضت للمطو مساء اليوم ، بواسطة

لمحترفين ، من مصكر الأعداء ، ولقد حصل هذان المحترفان

على سلاح مرمى جديد . المفترض أن يتم عرضه ، فى الثامنة

من صباح الغد ، على لجنة عسكرية جديدة ، لتحديد مواقف

الدولة من إنتاجه وتمويله .

تطلع (هاشم) إلى ساعته ، وقال :

- تقصد الثامنة من صباح اليوم ، فتحن الآن في الثالثة والنصف صباحاً . لوماً فقد برأسه إيجاباً ، وقال :

- هذا صحيح .. وهذا يعني أن لدينا ثلاث ساعات أخرى على الأكثر لاستعادة هذا السلاح المسمى ، وإلا فلن يمكننا عرضه على اللجنة العسكرية ، في الموعد المطلوب

سلكه (هاشم) ، في اهتمام :

- هل عرفتم أين هرب المارقان ؟

تتحجق لقد القاعدة ، وقال :

- لقد تلقينا القبض عليهما .

عقد (هاشم) حاجبيه في حيرة وهو يسأله :

- ماذا تعني يا سيدي ؟ ما المشكلة إذن ؟ ما دمنتم قد ألقيتهم

القبض عليهما ؟

زهر فقد القاعدة ، وقال :

هذه هي المشكلة الحقيقية أنها المفتش . لقد حاصرنا المكان ، فور فتح الخزنة ، التي كانت تحوى السلاح المسمى ، ويمكنني أن أقسم إن أحداً لم يغادر المبنى كله ، منذ فتح باب الخزنة ، وحتى إلقاء القبض على المارقين ، وعلى الرغم من هذا فقد عثرنا على علبه السلاح فارغة ، ولم نعثر على أنفى أثر للسلاح نفسه .

مضت لحظة صمت ، قبل أن يقول (هاشم) :

- لقد فتشتم الرجلين بالطبع .. ليس كذلك .

لوماً فقد القاعدة برأسه إيجاباً ، وقال :

- بلى .. وقبلنا المكان كله رأساً على عقب أيضاً ولكننا

لم نعثر على أنفى أثر للسلاح . ولهذا استعد بك ؟

فتح القلند درج مكتبه ، وأخرج منه رسماً تخطيطياً ، لجسم يشبه قطعة من البلور المصقول ، وهو يقول :

- ها هو ذا .. إنه نوع جديد من المتفجرات القوية ، نجح علمائنا في صنعه على هيئة بلورات نقية شفافة ، ما إن تتعرض للحرارة حتى تتحول على الفور من الحالة الصلبة ، إلى الحالة الغازية ، أو ما يُعرف علمياً باسم (التسلسل) ، ومع هذا التحول يزداد التضاضع على نحو رهيب ، فيحدث انفجار هائل ، شديد التدمير

اعتدل (هاشم) وهو يسأله :

- وما حجم هذه البلورات ؟

أجاب القلند مشيراً بيده :

- في حجم قبضة يد طفل صغير .

عقد (هاشم) حاجبيه مفكراً ، ومضت فترة طويلة من الصمت ، لم يحاول فقد القاعدة مقطعه خلالها ، قبل أن يعتدل (هاشم) ويقول في اهتمام :

- أريد رؤية المكان ، الذي اختفى فيه السلاح المسمى . ومقابلة المارقين فيه .

ضبط القلند زباً صغيراً ، فوق مكتبه . وهو يقول :

- سيكون لك كل ما تريد ..

★ ★ ★

أدار (هاشم) عينيه في المكان باهتمام وعناية . وهو يفحص كل ركن فيه ..

ولم يكن ذلك بالأمر البسيط ، إذ لم يكن المكان الذي اختفى فيه السلاح السري سوى قاعدة متوسطة الحجم ، تحوى مكتبا وثلاثة مقاعد . وجهاز كمبيوتر حديثا ، وخزانة صغيرة ، ووعاء زجاجيا كبيرا شعاعا ، يمتلى حتى منتصفه بالماء وكان هذا أكثر إثارة للجدية ..

وفي صرامة ، التفت (هاشم) إلى المراقبين ، وقال :

.. أين أخفيتما السلاح السري ؟

ابتسم أحدهما حجما ، وهو يقول في عصبية :

.. ابحث عنه بنفسك أيها العربي .. ألا تدعون أنكم أكثر نكاح من ؟

تطلع (هاشم) إلى مدعته ، وهو يقول :

.. إنك كذلك بالفعل يا رجل ، وستأكد بنفسك من هذا ، عندما أعتز على السلاح السري ، قبل مضي نصف ساعة من الآن .

قال الآخر التحيل في مخبرية :

.. هل تراهن ؟

هز (هاشم) كتفيه ، وقال :

.. أنت تعلم يقينا أن ديننا يحرم عينا المراهبات يا فتى

ثم ضم قبضته في قوة ، وهو يستطرد في صرامة :

.. ولكني أعذك أن أحطم قلبك الأجدة هذا ، عندما أستعيد السلاح السري .

قال الضخم في شماتة :

.. لن تجده أبدا .. لقد قلب الآخرون المكان رأسا على عقب ، دون أن يثروا عليه .

ابتسم (هاشم) في ثقة ، وهو يقول :

.. ربما ، ولكني وأنتما نعلم أنكما لستما ساحرين ، وهذا يعني أن السلاح السري في مكان ما هنا .. ربما أخفيتاه في مهارة . ولكنكما لم تزيلاه من الوجود . فهو مجرد جسم مادي ، وقمادة كما نعلم جميعا ، لا تلتصق ، ولا تستحدث من علم ،

قال التحيل في حدة :

.. ولكنها قد تتحول إلى طاقة .

لوح (هاشم) بكفه ، وقال :

.. هل تقصد أنكما قد فجزتما السلاح السري ؟ لا يا رجل . هذا لم يحدث حتما ، وإلا لأطرح بكما الانفجار ، وسمعه من بالخارج .

ثم مال نحوه ، مستطرذا :

.. وأنت تعلم أن الشعور على الملاح السري مسألة ذكاء .

قال الضخم في مخبرية

وحيال .

اعتدل (هاشم) ، قائلا :

.. بالطبع . إنه مزيج من الخيال والذكاء

ثم أشار إلى المكتب والمقاعد الثلاثة مستطرذا :

لذا لن أبحث في الأماكن التكتيلية .

واتجه نحو الكمبيوتر ، متابعا في هدوء :

- قد يخطر ببالي أنكما قد أخفيتما في جسم الكمبيوتر .

وضبط أزرار الكمبيوتر في سرعة ، وأشار إلى الأرقام التي تراصت على شاشته ، قائلا :

- ولكن هذه الأجهزة شديدة الحساسية كما ترى ، وما دلم هذا الجهاز يعمل بكفاءة ، فمن المستحيل أن يكون داخله جسم في حجم قبضة طفل .

أليس كذلك ؟

ثم لوح بسببته في اتجاه الخزنة ، دون أن يتوقف عن الحديث :

- ولو افترضنا أنكما أخفيتما في الخزنة ، فيكون افتراضنا سائجا ، وسخيفا في الوقت ذاته ، فهذا هو أول مكان يبحث فيه أي شخص عن السلاح المرص المفقود .

قال الضخم في عصبية :

- أين هو إذن أيها اللقي ؟

هاشم (هاشم) وهو يقول :

- أخبرني أنت ، ما هو أفضل مكان لإخفاء شيء ما ؟

لم ينبس أحدهما ببنت شفة ، فذاع هو :

- إنه للمكان الذي يختل في هذا الشيء تملأ ، بحيث تعجز العين عن تمييزه فيه .. أليس كذلك ؟

بدأ قنوت يظهر على وجهي الرجلين ، و (هاشم) يلتقط أحد المقاعد أمام عيني فقد للقاعدة ، الذي يتابعه في اهتمام بالغ ، و (هاشم) يستطرد :

- لو طبقنا هذه القاعدة على جسم بلوري شفاف ، فستجد أن أفضل مكان تخفيه فيه ، بحيث تعجز العين عن تمييزه ، هو ..

وهو بقمعة بقة على وعاء الماء ، هاتفا :

- هو الماء الصافي .

حطم المقعد لوعاء في غضب ، وتناثرت منه المياه حول المكان ، وتماثلت قطع الزجاج في كل ركن ، وبينها سقط جسم بلوري شفاف ..

جسم في حجم قبضة طفل صغير ..

وحنقت للعيون كلها في السلاح المرص ، الذي رقد ساكنا على أرض الحجرة ، وصرخ الضخم :
- ليها الحقيز .

واندفع في ثورة نحو (هاشم) ، الذي استقبله بكلمة كالقنبلة في محطته ، وهو يقول في صرامة :

- لخطأت يا رجل .

ثم أعقبها بأخرى كاصصاعة في فكه ، ألقت به أرضا فأنقذ فلوغي ، وهو يستطرد :

- إنك أنت الحقيز .

الكوكب الغامض



وانتفت في هدوء إلى قائد القاعدة ، وتطّلع إلى ساعته .
قائلاً :

- إنها الرابعة والنصف يا سيدي القلند . اظن انه يمكننا
تقديم السلاح السري للجنة غذا . في الموعد المطلوب
المرجى شفا القلند عن البتسمه إعجاب . وهو يقول :
- يا لك من عبقري يا (هاشم) ! كيف يمكننا ان نكافئك
على ما فعلت ؟

البتسم (هاشم) . وأسجل جفتيه في إرهاق . وهو يقول :
- بأن نعيدوني إلى منزلي على الفور يا سيدي ، فلما أكاد
أسقط نائم ، من شدة التعب .
البتسم القلند وهو يقول :
- لك هذا ب رجل .

وفي الحامسة تماماً ، كانت الهليوكوبتر تحلق بـ (هاشم)
عائدة إلى المدينة ، وقائد القاعدة يتابعها ببصره . وهو يقول
نضابطه الأول في إعجاب واضح :
- ينبغي أن تشاهده وهو يعمل ، لنعلم انك نطقاً نعلم رجل
من نوع نادر ..

رجل العدالة ..
كل العدالة ..

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

الكوكب الغامض ..

تطلعت سفينة الفضاء العربية (المستكشف - ١) تعبر الفضاء الشاسع اللامتناهي ، خارج مجموعتنا الشمسية ، وبدأت أشبه بنسر أبيض هائل ، وسط الظلام الممتد إلى أفق البصر ، ونجم متلألئ متحرك ، وسط ملايين النجوم ، التي تزين فضاء الكون ، وهي تجوب العوالم ، بحثاً عن كواكب أخرى مأهولة ، وحضارات أخرى راقية ، يمكن أن تتصل بها الحضارة الأرضية العربية ، في ذلك الزمن ، مع بدايات القرن الثاني والعشرين .
وفي داخل (المستكشف - ١) ، قبضت رسالة روتينية ، تقول :

- من (المستكشف - ١) إلى الأرض .. لقد عبرنا المجموعة الشمسية منذ أسبوع ولعد من زمن الأرض . ونطلق بسرعة تقارب سرعة الضوء ، ولا توجد أية عقبات .
أنهى قائد السفينة رسالته ، وبدأ الكمبيوتر الخاص بالاتصالات في إطلاقها نحو الأرض ، في الوقت الذي ضغم فيه (رائد) ، مساعد القائد :

- ترى كم تستغرق هذه الرسالة ، حتى تصل إلى الأرض ؟
ابتسم القائد وقال :

- الكثير .. صحيح أننا الآن نرسلها عبر نبضات ضوئية

خاصة ، بواسطة شعاع من الليزر ، بحيث تنطلق بسرعة الضوء ، بدلاً من إطلاقها بسرعة الصوت التقليدية ، ولكن حتى بهذه السرعة نحتاج الرسالة إلى خمس ساعات كاملة ، لتبلغ كوكب الأرض .

لوماً (رائد) برأسه موافقاً ، وقال :

- أنت محق ، ولكنني أتساءل ، منذ بدأت رحلتنا هذه ، هل سنعثر حقاً على كواكب مأهولة ؟! لقد تجاوزنا كوكبين بالفعل ، منذ غادرت منظومتنا الشمسية ، ولكنهما كانا مقفرين ، لا أثر للحياة على سطحهما ، وها نحن أولاء نقرب من كوكب ثالث ، يشير راصدنا إلى خلوه من الماء أيضاً ومن آثار الحياة .

هزّ قائد السفينة كتفيه ، وقال :

- ربما استغرق الأمر أكثر من ذلك بكثير ، فالتحور على آثار للحضارة ليس بالأمر الهين .

قبل أن يتم عبارته ، تلقت أمامه شاشة فيروزية ، وتبعث منها تلك الصوت المعدني ، المميز لأجهزة الكمبيوتر الناطقة ، وهو يقول :

- علامات تشير إلى الحياة ، في الكوكب (س - ٣) .

سرت في جسد (رائد) ارتجافاً نشوة ، وهو يهتف :

- أخيراً ..

أما القائد ، فقد بدا عليه الاهتمام الشديد ، وهو يسأل الكمبيوتر :

- كيف ظهرت علامات الحياة هذه ؟! ألم تضر كل الأجهزة من قبل إلى أن هذا الكوكب خال من الماء . والمنشآت الحصارية ؟

أجبه الكمبيوتر ، بصوته المعنى الجاف :

- تم رصد حركة منتظمة ، لاشبه بينها وبين أية ظواهر كونية أو طبيعية مسجلة . وللتقطت أجهزة الصوت ، الفتحة الحساسية خربير مياه ، على الرغم من عدم رصدها بصرياً .
بدا الاهتمام على وجه (رائد) ، وهو يسأل قائده .

- ما الذى يعنيه هذا ؟

هز القائد راسه فى حيرة ، وتنهّد وهو يراجع كل اللبقات ، التى التقطها الراصد فى ذلك الكوكب ، قبل أن يقول :

- لمست لدرى يا (رائد) ، لا يوجد شيء محدد يمكن الاستناد إليه لتأكيد أو نفى وجود صورة ما من صور الحياة على سطح هذا الكوكب ، فكل المشاهد ، التى تنقلها أجهزة الرصد ، تشير إلى كوكب بارد مقفر ، لا يحوى سطحه سوى الصخور ، من مختلف الأشكال والأنواع ، وغلافه الجوى ضعيف ، لا يحوى سوى القليل من الأوزون والكبريت ، فكيف يمكن أن تنشأ الحياة ، فى مثل هذه الظروف ؟!

قال (رائد) فى حسم .

لله (سبحانه وتعالى) قدر على خلق الحياة . فى أية صورة من الصور ، ولية أجواء ، حتى ولو لم تكن صالحة لنا ..

فسيتم أننا نعرف بعض أنواع الحياة اللاهوائية على سطح الأرض ؟

وافقه القائد بإعجاب من رأسه ، وقال :

- ولكن للماء أمر ضرورى يا (رائد) قائله (سبحانه وتعالى) لنبأنا أنه جعل من الماء كل شيء حي ، وكل الأبحاث تؤكد هذا . فالحياة تتواجد حيثما يتواجد الماء . ولست أرى أدنى أثر للماء .
لوقلت (لمستكشف - ١) محركاتها كلها ورجعت تدور فى بطن ، حول الكوكب (س - ٣) ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه منها أربع سفن فضائية صغيرة ، أشبه بطائرات مقاتلة . واتخذت طريقها فى تشكيل متوازن نحو الكوكب ، وهى تضم أربعة من رواد الفضاء العرب (رائد) ، (سالم) ، (قاسم) ، (سيف) ، وانطلقت مقاتلة (رائد) الفضائية فى المقدمة ، وخلفها للمقاتلات الثلاث الأخرى ، فى تشكيل أشبه بالمثلث . و(رائد) يقول لرفاقه الثلاثة ، عبر جهاز اتصال فضائى خاص :
- سنهبط جميعاً على سطح الكوكب بإذن الله ، وسنتم عملية البحث والاستكشاف فى ثلاثة محاور ، وسيبقى (سالم) بمقاتلته لجمعية للمقاتلات الأخرى ، بعد أن نستكشف السطح معاً .

ولكن كل شيء بدأ مقفراً سلكاً تماماً ..

وكان الضوء أضعف مما ينبغي ، بسبب بعد الكوكب عن أية شمس أو نجوم . ودرجات الحرارة منخفضة للغاية ، ولم يكن

الكوكب يحوى سوى بعض الصخور ، من مختلف الأشكال والأحجام ،
تتأثرت على نحو غير منتظم ، عبر سطحه كله بلا استثناء ..

وبعد جولة طويلة ، قال (رائد) لرفاقه :

- استعدوا للهبوط فى تلك المنطقة الواسعة هناك .

تبعه الثلاثة بمقتلاتهم ، حتى البقعة التى أشار إليها ، وتم
هبوطهم عمودياً فى هدوء ، ثم غادر الجميع مقتلاتهم الفضائية ،
فى أزياء الفضاء الخاصة ، وكل منهم يحمل مسدساً ليزرياً ..
وقال (رائد) :

- سأبحث أنا فى سلسلة الجبال الأمامية هذه ، وسيفحص

(قاسم) هذا التل إلى اليمين ، و (سيف) ذلك للكهف إلى
اليسار ، فى حين سبقى يا (سالم) لحراسة المقاتلات .

تطلع (رائد) إلى سلسلة الجبال الممتدة أمامه ، وعزل
جهال الرؤية الخالص فى خوذته ، لينج له رؤية الفضل ، وسط
تلك الكهوف العديدة ، التى تنتشر وسط الجبال ، وسأل نفسه
فى حذر :

- ترى هل أصاب الكمبيوتر ، فى تحليله لسطح الكوكب ، أم

أن ما رآه لم يكن سوى ظاهرة طبيعية للكوكب ، غير مسجلة
فى ذاكرته الإلكترونية ؟

وتنهذه فى عصى ، وهو يلفظ نحو أحد الكهوف فى حذر ،

ولكن جهاز الاتصال فى خوذته تلقى فجأة صوت (سيف) ،

وهو يهتف :

- (رائد) (قاسم) .. هذه الكهوف ليست طبيعية .

توقف (رائد) ، وسأل (سيف) فى قلق :

- ماذا تعنى بأنها ليست طبيعية يا (سيف)

بدا صوت (سيف) شديد التوتر والارتعاج ، وهو يقول :

- لن يمكنك تصور هذا يا (رائد) .. انه مذهش بحق

صاح به (رائد) :

- ما هذا الأمر يا (سيف) ؟ ما هو ؟

ولكن (سيف) صاح فجأة :

- ربا ! بهم يحيطون بس يا رفاق .. أشعة الليزر لا تؤثر

فيهم .. الفجدة يا رفاق .. الفجدة .

ثم تقطع الاتصال بقتة ..

ولم يدرك (رائد) كيف تحرك بعدها ، ولكنه وجد نفسه بعد

دقيقة واحدة أمام تلك الكهف ، الذى أطلق منه (سيف)

صرخته ، وهناك وجد (سالم) و (قاسم) وصرح به (سالم) :

- هل التقطت صرخة (سيف) ؟ ماذا أصابه ؟ ومن هؤلاء

الذين يحيطون به ؟

صاح به (رائد) :

- لا وقت للتسؤل .. فلنلحق به أولاً .

اندفع الثلاثة داخل الكهف الضيق ، وأطلقوا يعدون داخله

فى قلق ، حتى صاح (رائد) فى توتر :

- ولكن . ولكننا بلغنا نهاية الكهف ، ولا يوجد أثر (سيف) !!

كان الكهف ينتهى بحدار صخرى ضخم ، من كتلة واحدة ،

وإلى جواره كتل أخرى من الصخور ، بحث الثلاثة حولها فى توتر .

مضت لحظات ثقيلة رهيبة من الصمت ، والثلاثة يحدقون فى تلك البقعة ، التى تركوا فيها مقاتلاتهم منذ قليل ، ثم قطع (قاسم) هذا الصمت . هتفاً ؟

- ماذا يحدث هنا ؟

أجابه (رائد) فى توتر ، يحوى شيئاً من الغضب :

- لقد اختفت المقاتلات .. هذا كل ما أعرفه الآن .

قال (سالم) فى الفعل :

- لا بد أن نتصل بسفينة القضاء .. هذا الكوكب يحوى شيئاً رهيباً . لا قبل لنا به .. فليرسلوا إلينا مقاتلة كبيرة تعيدنا إلى السفينة . قبل أن يلتهمنا هذا الكوكب القاتل .
تنهد (رائد) وقال ...

- لن يمكننا هذا للأسف ، فالسفينة الآن تدور حول النصف الآخر للكوكب ، وأجهزة الاتصال فى خوذاتنا محدودة .. لا يمكنها الاتصال بالسفينة . وأجهزة الاتصال الوحيدة ، التى كان يمكنها هذا ، اختفت مع المقاتلات .

هتف (قاسم) :

- ماذا تعنى يا (رائد) ؟ هل أصبحنا سجناء هنا ؟

أجابه (رائد) :

- لثلاث ساعات فحسب ، حتى تدور السفينة حول النصف

الآخر للكوكب ، ثم تعود إلى هنا .. فى هذه الحالة قد يمكننا الاتصال بها ، بواسطة أجهزة الاتصال المحدودة فى خوذاتنا ، لو التقطت أجهزة الاستماع الفائقة الحساسية إشارتنا .

قال (سالم) متوتراً :

- ثلاث ساعات ؟! إتقنا لم نتم ساعة واحدة هنا ، وفقدنا

(سيف) ، ومقاتلاتنا الأربع كلها ، فماذا يمكن أن يحدث لنا ،

فى ثلاث ساعات أخرى ؟!

أدار (رائد) عينيه فى حيرة ، فى ذلك المناخ للسكان

المحيط بهم . قبل أن يقول :

- إن هذا الكوكب يحوى نوعاً من الحياة .

هتف (قاسم) فى دهشة :

- للحياة ؟! أية حياة هذه ؟! أن كل ما يحيط بنا جامد ساكن

تماماً ، وما من شيء يتحرك ، حتى الهواء .

التقى حاجبا (سالم) ، وهو يقول :

- من قال هذا ؟

التفت إليه (رائد) و (قاسم) فى تساؤل . فاستطرد فى

توتر واضح :

- لقد لمحت شيئاً يتحرك هنا .

تبادل (رائد) و (قاسم) نظرة دهشة بالغة . قبل أن يهتف

(رائد) :

- أى شيء هذا ؟ ولماذا لم نخبرنا من قبل ؟

أجابه (سالم) .

- لم أكن وثاقا تعلم الثقة ، فقد لمحت بطرف عيني شيئا يتحرك إلى يميني ، وعندما التفت إليه لم أجد شيئا فقط صخورا وأحجارا مأكلة .

غمغم (قاسم) :

- ربما خيل إليك هذا .

هز (سالم) رأسه نفيا ، وقال :

- خلا .. أنا وثاق مما رأيت .. إنه لا يمكن أن يكون قلا ، أو انعكاسا لشيء ما على حوائط ، فلا يوجد مصدر ضوئي قريب كما تعلمان .

بدأ الاهتمام الشديد على وجه (رائد) ، وهو يقول :

- ربما كان ما رأيته صحيحا يا (سالم) .

قبل أن يتم عبارته ، تبعث من جهاز الاتصال فجأة صوت (سيف) وهو يهتف :

- (رائد) .. (سالم) .. (قاسم) هل يسمعي لحكم ؟

وهتف (قاسم) في اتصال :

- إنه (سيف) .. يا إلهي إنه هو .

للقى (رائد) التحصن من يده ، وهبا وثقا ، وهو يقول في اتصال ، عبر جهاز الاتصال .

- (سيف) . إني أسمعك جيدا يا صديقي . أين أنت ؟

أجابه صوت (سيف) :

- هنا .. داخل الكهف .

هتف (قاسم) :

- داخل الكهف ؟ كيف يا (سيف) ؟ لقد فتشنا المكان جيدا ، ولم نعثر على أثري أثر لك ؟

أجابه الصوت :

- ولكنني لم أعالج مكاني قط . لقد تقطع اتصالي بكم فحسب ، ويبدو أنني فقدت الوعي بعض الوقت بسبب ما ، ولكنني بخير .. كل شيء على ما يرام

قل (رائد) :

- عد إن يا (سيف) .. لا تبقى داخل ذلك الكهف .

أجابه صوت (سيف) :

- لا يمكنني هذا يا (رائد) . هناك شيء عجيب ، أريد أن تراه .. إنه أعجب شيء رأيته في حياتي كلها يا (رائد) .

سأله (رائد) في قلق :

- ما هذا الشيء يا (سيف) .

أجابه الصوت :

- لن تصدقي هذا أبدا يا (رائد) .. إنه ..

تقطع الاتصال بقة ، وعاد الصمت إلى الخوذة . فتبادل الرجال الثلاثة نظرات قلقة حائرة ، وقال (سالم) :

- هل نذهب إلى الكهف مرة أخرى ؟

أجابه (رائد) في حزم .

- لن نذهب جميعا سألذهب أنا و (قاسم) ونحننا هذه المرة ، في حين تبقى أنت هنا لمراقبة مدخل الكهف

قال (سالم) فى توتر :

- حسن . لكن احرصا على بقاء الاتصال بيننا طيلة الوقت .
اجبه (رائد) ، وهو يتجه مع (قاسم) الى مدخل الكهف .
- سنفعل .

راعيهما (سالم) فى قلق . وهما يتجهان الى الكهف . ثم
يختفيان داخله ، فانتقط نفساً عميقاً ، وغمغم :

- هذا الكوكب يحوى شيد غامضاً . لمست لشعر بالارتياح فيه .
تلفت حوله فى حذر وقلق . وتقبضت لاصبعه فى شدة .

على مقبض مسدسه الليزرى ، والاتفعال بعصف نفسه
ولجأة لمح تلك الحركة السريعة . من طرف عينيه ، فالتفت
الى مصدرها فى عصبية ، وأطلق لشفعة مسدسه نحو صخرة
قريبة . ولكن الاشعة ارتطمت بالصخرة ، وانعكست عنها فى
عنف ، دون أن تصيبها بالضرر . فى حين بدا المشهد كله
مائلنا صامتاً ، كما كان من قبل ، فسرت فى جسده ارتجافة
عظيمة ، وهو يقول :

- ما الذى يحدث هنا ؟! أنا واثق من رؤيتى لشيء يتحرك
هذه المرة . لا يمكن أن تكون مخطئاً .. مستحيل

كان كل شيء من حوله يوحى بالصلمت والسكون . إلا أنه
شعر لجأة وكأن جسمًا يقترب منه . فدار حول نفسه فى سرعة ،
والسمعت عيناه عن آخرهما وهو يهتف .

- هذا مستحيل مستحيل !!

وحاول أن يرفع مسدسه الليزرى فى سرعة ، ولكن صريرة
قوية أصابت كفه . وأطاحت بالمسدس ، فتراجع فى حركة جادة
عيفة ، وضغط زر جهاز الاتصال ، هاتفاً .

-(رائد) (قاسم) . لقد عرفت قسر .. إلى الـ ...
وتقطع الاتصال مرة واحدة . مع تلك الهالة التى أحاطت
بجسده ، و ..

عاد السكون يحيط بكل شيء على السطح

خطا (رائد) و (قاسم) داخل الكهف المظلم للعبيق ، فى
حذر شديد هذه المرة ، وتمتم (قاسم) ، وهو مضطرب موثّر
جهاز الرؤية الخاص فى خواتمه :

- أنظننا نجده ؟

اجبه (رائد) فى الانضباب :

- لمست لثرى .

كل برغب فى التحدث أكثر . لينقل إلى زميله كل ما يشعر
به فى أعماقه . إلا أن شيئاً ما سعه من الاسترسال . وكأنما
يخشى أن يكون هناك من ينصت إلى حديثهم . أو يتجسس
عليهما . فواصل سيره إلى جوار (قاسم) فى صمت ، وبدأ
لهما للكهف وكأنما تحوّل إلى أسطوانة مخبئة ، لا نهاية لها ،
حتى بلغ ذلك الجدار الصخرى مرة أخرى . والصخور الضخمة
للمحيطة به ، وقال (قاسم) فى توتر :

- كما توقعت تمامًا .. لا يوجد أدنى أثر لـ (سيف) .

ثم انصاف في عصبية :

- كيف أمكنه الاتصال بنا إذن ؟

تلفت (راند) حوله في حذر ، وهو يقول :

- هذا لوكه هو الذي اتصل بنا .

التفت إليه (قاسم) في تساؤل مدعور ، فتبع (راند) في

حزم :

- لقد شعرت بهذا منذ البداية .. لم يكن صوت (سيف)

بشرياً خالصاً ، كما اعتدنا سماعه ، بل كانت به رنة شبه

معنوية ، مثل تلك التي تتميز بها أجهزة الكمبيوتر النطقية .

سأله (قاسم) بصوت مرتد :

- ما الذي يعنيه هذا يا (راند) ؟

عاد (راند) بتلفت حوله في تحفز ، وكنما يتوقع هجوماً

غامضاً ، وهو يجيب في لهجة حاسمة حازمة :

- يعني أن الذي سمعناه ليس صوت (سيف) ، وإنما هو

تقليد متقن له ، بواسطة جهاز يشبه أجهزة الكمبيوتر لدينا .

جهاز يمكنه تحليل الصوت واللغة والتنبؤات ، وكل لمعلومات

في أحاديث (سيف) ثم يعمل على تقليدها بشكل فائق الجودة .

يمكنه خداعنا ، وإقناعنا بأل الذي نتحدث إليه هو (سيف)

نفسه .

هتف (قاسم) :

- ولكنه كان يتعرف أصواتنا ، ويجب كلاً منا باسمه !

لجابه (راند) :

- هذا جزء من المعلومات ، التي رصدها ذلك الجهاز ، في

لقاء تحدثنا معاً ، والتي يستخدمها الآن لخداعنا .

هتف (قاسم) وقد امتلأت نفسه برهبة شديدة .

- ولكن لماذا ؟! لماذا يفعل هذا ؟

لجابه (راند) في قلق :

- ليجنبنا إلى هنا .

ترجع (قاسم) ، وهو يتلفت حوله ، قائلاً :

- (راند) - حديثك هذا لا يعنى أننا نواجه لوعاً من الحياة

فحسب ، ولكنه يعنى أننا نواجه حضارة متطورة ، يمكنها

قتلاع بنا وخداعنا ، وتمتلك في الوقت ذاته عدداً من الأجهزة

تكنولوجية المتطورة ، و ...

قطع حديثه صوت (سالم) ، وهو يهتف عبر جهاز الاتصال .

- (راند) .. (قاسم) .. لقد عرفت السر .. أن الـ ..

ثم تقطع الاتصال ، فصاح (راند) :

- أسرع يا (قاسم) .. (سالم) يتعرض للخطر نفسه ،

الذي اغتفى بعده (سيف)

اتطلقا يحدوان إلى خارج الكهف واستعد كل منهما بمستمنه

الليزى للقتال ، وقلزا إلى الخارج ، و ...

وتجمداً في دهشة وتوتر .

لقد اختلفي (سلام) أيضاً

اختلفي دون أن يترك خلفه أثري .

وفي عصبية ، روح (قاسم) يتلفت حوله ، هتافاً :

— ما الذي يحدث هنا يا (رائد) ؟ ما الذي يقطعه هذا الكوكب

بد 19

ولكن (رائد) لم يجر جواباً هذه المرة ، لأنه لم يكن لديه جواب ..

أي جواب ..

★ ★ ★

بدت علامات القلق والحيرة شديدة الوضوح ، على وجه

قائد سلطنة الفضاء العربية ، وهو يتابع البيانات الممتلئة ، التي

تتراص بلا وقف ، على شاشة الكمبيوتر ، ثم لم يلبث أن غغم

في حيرة . وهو ينقر بلصابعه على مسند مقعده :

— ثم إن (رائد) ورفاقه لم يرسلوا أية رسائل ، منذ هبطوا

على سطح الكوكب ، وهذا يتعارض مع القواعد المتبعة ، في

الاستطلاع الفضائي ، ولخشى أن يكون قد أصابهم مكرود ما ،

منعهم من الاتصال .

بينما كان ينطق عبارته مضت لحظات متوترة رهيبة .

و (رائد) و (قاسم) يديران عيونهما في سطح الكوكب الساكن

الصامت ، بحثاً عن أي أثر ، يمكن أن يشير إلى (سلام) أو

المقاتلات الضائعة ، قبل أن يقول (قاسم) في مرارة :

١٢٦

— لقد أخطأنا بالهبوط على سطح هذا الكوكب ، قبل أن ندرسه

جيداً يا (رائد) .

قال (رائد) في حدة :

— إته واجبنا .

هتف (قاسم) :

— ولكننا كنا تجهل أي شيء عنه ، والكمبيوتر أيضاً لم

يمنح جواباً شافياً .

لوح (رائد) بكفه ، قائلاً :

— مستحيل ! لتفسير الوحيد لكل ما يحدث هو وجود نوع

من الحياة العاقلة هنا .

ارتجف صوت (قاسم) ، وهو يقول :

— أو وحش رهيب .

ارتفع حاجبا (رائد) في دهشة ، فتابع (قاسم) في

عصبية

— نعم .. وحش مفترس رهيب ، يحيا تحت سطح هذا

الكوكب ، مثل الديدان الأرضية ، التي تحيا في تربة كوكب

الأرض ، ويرز فجأة على السطح ، ليلتهم فريسته ، ويعود مرة

أخرى إلى مكانه تحت السطح

هز (رائد) رأسه في قوة ، قائلاً .

— فرضية مستحيلة يا رجل !

صاح (قاسم) :

١٢٧

- ولم لا ؟! هذا يقصر الخلقاء (سيف) داخل الكهف .
واختفاء (سالم) هنا ، وربما يقصر أيضا لاختفاء مقاتلاتنا ،
فربما ظننا ذلك الوحش فريسة من فرائسه ، فالتهمها .

علا (رائد) يهز رأسه في عنف ، قائلا :

- قلت لك مستحيل ! مستحيل ! لا يمكن أن يحيا وحش كهذا
الذي رسمه خيالك ، في انتظر سفينة فضاء تهبط على سطح
الكوكب يوما ما ، ولن يحيا على كوكب لا أثر للحياة على
سطحه ، ثم إن فكرة الوحش هذه لا تبرز صوت (سيف)
الزائف ، الذي سمعناه جويًا .

هتف (قاسم) :

- ومن أتراك ما طبيعة هذا الوحش ، وكيف يحصل على
غذائه ؟! ربما يمتلك جهازًا صوتيًا خاصًا ، يمكنه بواسطته
تقليد الأصوات ، كمحاولة لاجتذاب فرائسه ، التي يجنيها تحت
السطح ، ويلتهمها ، و ..

قاطعه (رائد) ، وهو يهتف فجأة :

- تحت السطح ؟! يا إلهي ! بالتأكيد يا (قاسم) .. هذا هو
التفسير المنطقي لكل ما يحدث هنا .

تطلع إليه (قاسم) في دهشة ، وهو يقول :

- تفسر ماذا ؟!

أجابه (رائد) في حماس :

- تفسير القوض كله يا صديقي .. لم لا يكون هذا الكوكب
ماهولًا بالفعل ، ولكن سكته يقيمون تحت السطح ، ويقيمون

حضارتهم كلها هناك ، ولهم مداخل شتى ، تقودهم إلى السطح ،
ومنها اختطفوا (سالم) و (سيف) ، ومقاتلاتنا الفضائية الأربع .

امتدح وجه (قاسم) وهو يقول :

- فكرة منطقية ، ولكنها مخيفة في الوقت ذاته يا (رائد)
قصحتها تعني أننا قد أصبحنا لا حول لنا ولا قوة ، في مواجهة
مكن هذا الكوكب ، بعد أن استولوا على مقاتلاتنا .

رفع (رائد) مدمبه الليزرى أمام وجهه ، وهو يقول في
حزم :

- ولكننا لن نستسلم على أية حال يا رجل ، مهما كان التفسير
مخيفًا .

ثم أشار إلى الكهف ، مستطردًا :

- ولتطم أن التفسير كله يمكن في هذا الكهف .

تطلع (قاسم) إلى الكهف في قلق ، وهو يقول :

- هل ستغامر بدخوله للمرة الثالثة يا (رائد) ؟

أجابه (رائد) في حسم .

- لم بعد لدينا ما نخسره يا صديقي .. ثم إننا سندخله معًا
هذه المرة ، فلما أن نتوصل معًا إلى كشف غموض هذا الكوكب ،

أو لنحرق بزميلينا ومقاتلاتنا ، في مصيرهم

مرت قشعريرة باردة في جسد (قاسم) ، وهو يردد :

- مصيرهم ؟! يا لها من كلمة يا (رائد) .

ريت (رائد) على كتفه ، وقال :

- هب يا صديقي ليس أمامنا سوى أن نواصل القتال .

رفر (قاسم) في توتر ، ولكنه لم يعترض ، وإنما تبع (راند) إلى داخل الكهف ، وراح يسير إلى جواره في حذر وجهار الروية في الظلام يتيح لهما التحرك داخل الكهف في سهولة ، حتى بلغا ذلك الحائط الصلب ، فارتكن (قاسم) إلى واحدة من الصخور الضخمة ، التي تمتد إلى الحائط ، في حين راح (راند) بفحص الصخور والحائط في عناية بليغة ، ثم لم يلبث أن أشار إلى أرضية الكهف قائلا .

- عجبنا .. هل لاحظت هذا يا (قاسم) ؟

أحس (قاسم) ينظر إلى حيث أشار (راند) ، وقال .

- ما الذي ينبغي أن لاحظته هنا ؟

أجابه (راند) :

- الأرضية هنا تشبه الرمال الناعمة ، التي تجدها بالقرب من بعض الشواطئ وليس من الحصى ، كسطح الكوكب .

سأله (قاسم) في حيرة :

- وما الذي يضيره هذا ؟

صمت (راند) لحظات ، وهو يفحص الأرضية ، ثم قال :

- ربما يعنى الكثير ، فهذه الرمال أكثر نعومة من أية رمال

أخرى عرفتها ، في حياتي كلها .. إنها تشبه السكر المسحوق . أو للدقيق ، و ..

اتسعت عيانه في دهشة ، واختفت الكلمة في حلقه ، وهو يحرق في حفنة الرمال التي في كفه ، فهتف به (قاسم) :

- ماذا حدث ؟

هتف (راند) بكلمة واحدة :

- الماء .

ارتفع حاجبا (قاسم) في دهشة ، وانحنى يتطلع في حيرة

إلى حفنة الرمال الناعمة ، التي يحملها (راند) ، قبل أن يهتف

- أين هذا الماء ؟ لها مجرد رمال بيضاء ناعمة

أجابه (راند) في تفاعل :

- خطأ يا صديقي ، لقد رأيت بنفسى النعانة الماء ، وسط

هذه الرمال الناعمة : إنها نوع من الجليد الجاف يا رجل انظر

ضغط حفنة الرمال بيده في قوة ، ثم فركها في سرعة

وتراجع (قاسم) في دهشة بالغة عندما تحولت حفنة الرمال

إلى مياه تراقصت لحفنة في كف (راند) ثم لم تلبث أن عادت

إلى هيئتها الأولى ، تشبيهة بالرمال البيضاء فهتف (قاسم) :

- إذن فهذا هو الماء ؟ يا للعجب لهذا ، ارتبك الكمبيوتر ،

عندما استقبلت أجهزته خريف المياه ، ثم لم يعثر له على أنس

أثر ، في الوقت ذاته .

قال (راند) في حيل :

- وهذا يعيدنا إلى القاعدة الأولى يا صديقي حسب يوجد

الماء توجد الحياة . لقد عثرنا على الماء ، وهذا يعنى لنا

سنعثر بإذن الله (سبحانه وتعالى) على الحياة

تلقت (قاسم) حوله في قلق ، وعاد يستند إلى الصخرة

الضخمة ، قبل أن يفهم .

- نخشى أن تعثر هي علينا أولاً .

خيل إليه أن (رائد) لم يسمعه ، وراه يتطلع إلى الأرض في اهتمام ، فسأله مرة ثانية :

- ألا تخشى أن تكون صورة الحياة هنا مخيفة يا (رائد) ؟

لم يجب (رائد) عن سؤاله ، وهو يقول :

- انظر . إنها آثار أقدم (سيف) .

تطلع (قاسم) إلى حيث يشير (رائد) الذي تابع في تفعل ،

وهو يتتبع آثار الأقدم :

- هاهي ذي تمير إلى هنا .. ما بين تلك الصخرة الضخمة

والحائط الصخري .. لقد سار (سيف) إلى هناك ، ويبدو أنه

فحص الحائط أولاً ، قبل أن يرسل إشارة الاستغاثة ويختفى تماماً .

سمع صوت (قاسم) يتحرك خلفه ، ولكنه لم يصل في

حساب :

- لقد وصل إلى هذه النقطة ، ثم لم يعد .. ما الذي أصابه

هنا ؟ بل أين ذهب ؟ مستحيل أن يكون قد اختفى هنا . ليس

كذلك .

لم يسمع جواباً من (قاسم) فالتفت إليه مكرراً .

- أينس كذلك يا (قاسم) ؟

ولكن الجملة اختلقت بين شفثيه ، وغص بها حلقه ، وهو

يحدق في الصخرة الضخمة ، التي كان يستند إليها (قاسم)

منذ لحظة ، دون أن يجد أدنى أثر لزميله (قاسم) نفسه ..

لقد اختفى (قاسم) ، ولحق بزميليه (سالم) و (سيف) ،

وبقى (رائد) وحيداً فوق سطح ذلك الكوكب ..

الكوكب الغامض ..

★ ★ ★

اعتدل قائد سفينة الفضاء العربية في حركة حادة ، ومال

إلى الأسف في اهتمام شديد ، وهو يتابع شاشة الكمبيوتر

الخاص ، فأسرع إليه رجل لتطاعم ، وسأله :

- ما الذي توصل إليه ؟

هز القائد رأسه قائلاً :

- نتائج عجيبة ، فهو يقول : إن الماء يوجد على سطح

الكوكب (س - ٣) ولكن ليس بالصورة المسألة ، التي نعرفها ،

ولا حتى في صورة ثلوج أو جليد عادي ، ولكن في صورة

جديدة لا تعرفها العلوم الأرضية ، وهو يتحول في هذه الصورة

إلى صورته المسألة بعض الوقت وتحت ظروف خاصة ، ثم

يعود مرة أخرى إلى صورته الجديدة .

قال القائد في توتر :

- على أية حال ، سيبلغنا (رائد) كل ما لديه ويجب

تساؤلاتنا ، عندما يعود مع رفاقه إلى هنا .

ولقي نظرة طويلة على جهاز الاتصال الذي ظل صامئاً ،

منذ هبط (رائد) وفريقه على الكوكب (س - ٣) وأضاف :

- هذا لو عادوا .

★ ★ ★

تجمد (رائد) فى مكانه طويلاً ، وهو يحنق الصخرة الضخمة ، التى اختفى عندها (قلم) .

ثم قال فى توتر شديد :

- اختفى !! (قلم) أيضاً اختفى .

وفى خطوات سريعة راح يتحرك عبر الممر الطويل ، وتسارعت خطواته أكثر وأكثر ، حتى صارت القرب إلى العدو ، إلى أن غادر الكهف وواجه سطح الكوكب ، بكل صمته وسكونه وغموضه ، وخيل إليه أن للصخور كلها تتطلع إليه ، ونقطة فى سفيرة وشماته ، بعد أن صار وحيداً ، عاجزاً ..

وفى أعماقه تلجرت عشرات المشاعر والانفعالات . وعقله يستعيد كل لحظة مرت به ، منذ هبط مع رفاقه للثلاثة إلى سطح الكوكب ، وحتى هذه اللحظة ، وصاح عبر جهاز الاتصال :

- من (رائد) إلى (المستكشف - ١) .. هل تسمعى ؟

أجب لها (المستكشف - ١) ..

ولكن ما من مجيب ..

لقد اندمج صمت الدنيا كله ، واجتمع على سطح الكوكب (س - ٣) ، فى هذه اللحظات ، حتى شعر (رائد) وكأنه أصبح جزءاً من الصورة الفوتوجرافية الثابتة ، التى بدت له فى البداية ، عندما هبط على سطح الكوكب ..

ومرة أخرى راح عقله يسترجع كل التصور والمشاهد والأحداث ..

ثم تألفت عيناه فى شدة ..

وفى هذه المرة هتف بكل انفعالاته :

- إن فهذا مركب أيها الكوكب !!

عاد يدبر عينيه فى المكان كله ، ثم التقط من حزامه قبلة فى حجم بيضة عادية ، ولكنها ذات قوة تدميرية رهيبية ، وأسرع نحو سلسلة الجبال المواجهة له ، ووضع القبلة أمامها ، ثم ركض مبتعداً ، إلى حيث هبطت المقائنات فى البداية ، وتوقف هتفا :

- كشفت أمرك يا كوكب الغموض .

واتزع من حزامه جهازاً صغيراً ، رفعه بيده عالياً ، وهو يهتف :

- أعظم أنكم قد ترجمتم لغتى وعرفتموها ، ويمكنكم فهم حديثى الآن .. هل تعرفون ما هذا الشيء الذى أمسكه بيدي ؟ إنه مفجر آلى ، ينقل إشارة تفجير مباشرة إلى تلك القبلة ، التى وصعتها أمنكم ، وبضخمة واحدة عليه تفجير القبلة ، وهى نوع من القنابل الذرية للمحدودة ، وانفجارها سيسف دائرة قطرها كيلو متر كامل .. هل تفهمون ؟ أعلم أن هذا الانفجار سيقتلنى ، ولكنه سيصيركم أيضاً بالتاكيد .

صمت منتظراً رد فعل واضحاً ، ولكن كل شيء من حولهبقى ساكناً

- دقيقة واحدة ، قبل أن لضغط زر التفجير

ظل كل شيء حوله على سكوته وصمته لحظات ، فصاح .
هذا ليس مزاحاً .

كان صوته هذه المرة يحمل صرامة بلا حود ، وأصابعه
تحيط بالمعجر في قوة وصلابة ، توحى بأنه لن يترد في تفجير
اللقبلة بالفعل ..

وفجأة حدث أمر بالغ الغرابة ..

لقد ترأص حصي الأرض فجأة في عنف ، ثم تدفع من
برنه جسد (سالم) ، الذي سقط أمام (رائد) ، وهو يهتف :
- أخيراً .

هتف به (رائد) :

- أأنت بخير يا (سالم) ؟

نهض (سالم) في توتر ، وأدار عينيه حوله في دعر ،
هاتفاً :

- لقد أطلقوا سراحي . لست أدري لماذا فعلوا ؟ ولكنهم
أحصوني جيداً ، كما لو كنت حيواناً عجيبياً ، ثم أطلقوا سراحي
بغثة .. ماذا يحدث يا (رائد) ؟

أجابه (رائد) في حزم :

- لقد اتكشف أمرهم . اتكشف كل شيء يا رجل .

سمع الاثنان فجأة صوت سعال حاد ، ينتقل عبر جهاز
الاتصال ، أعقبه صوت (سيف) يهتف :

- هل تسمعونني يا رفيق ؟ أنا (سيف) .. لقد أعدوني ..

هل يسمعونني لحكم ؟ أأنتم على قيد الحياة ؟

هتف (سالم) :

- إنهم يقتلون (سيف) مرة ثانية .

أجابه (رائد) في ارتياح :

- بل هو (سيف) الحقيقي .. حمداً لله .

سمع الاثنان صوت (سيف) يهتف :

- ها هو ذا (قاسم) .. لقد أطلقوا سراحه أيضاً .. سنغادر

هذا الكهف بسرعة .

هتف (سالم) :

- ماذا يحدث يا (رائد) ؟

أجابه (رائد) بصوت نفوح منه رائحة ظافرة :

- لقد انتصرنا يا رجل .. انتصرنا على الكوكب الغامض .

لم تمض لحظات حتى ظهر (قاسم) و (سيف) عند مدخل

الكهف ، وتوقفا لحظة ، ثم اتفعا نحو (رائد) و (سالم) ،

وهتف (قاسم) في دهشة .

- ماذا فعلت بهم يا (رائد) ؟ لقد أعدونا ، وأعدوا كل

شيء .. كل شيء يا (رائد)

قلها وهو يشير إلى نقطة ما خلف (رائد) ، الذي التفت

في سرعة ، وارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، عندما وقع بصره

على المقننات الأربع ، تقف لامعة شامخة خلفهم ، وقال :

- عجباً ! كيف عانت نون صوت ولحد :

ونكن (قاسم) قطع أفكاره ، وهو يهتف به :

- ماذا فعلت بهم (يا رائد) ؟

أجابه (رائد) فى ارتياح :

- كشفت أمرهم يا رجل .. كشفت نغز الكوكب للعالم ،
الذى حاول قتلنا

تردد عبر أجهزة اتصالهم جميعاً صوت يقول :

- لم تكن نقصد هذا أبداً .

ارتجف (سالم) ، وهو يهتف :

- من هذا ؟ من الذى يتحدث ؟

أشار (رائد) إلى كل الصخور المحيطة به . قائلاً :

- إنه أحدهم يا رجل .. أحد سكان الكوكب المحيطين بنا .

هتف فى ذعر :

- سكان الكوكب ؟ وكيف يبنو سكان هذا الكوكب ؟ لقد

شعرت بهم ، ولكننى لم أر أحدهم . لقد ألفسوا عمل جهاز

الرؤية فى الظلام ، ولم أر من يفحصوننى .

قال (سيف) و (قاسم) :

- نحن أيضاً لم نر من أسرونا .. كيف يبنون يا (رائد) ؟

عاد (رائد) يشير إلى للصخور المحيطة به . قائلاً .

- ها هم أولاء .

وفجأة تحركت صخور الكوكب (س - ٣) ، ولتخذت أشكالا

شبه بشرية ، أحاطت بهم من كل جانب ، وتهضمت بعض

لصخور ، عند قاعدة سلسلة الجبال ، وبدأ وكن جيشاً من

الصخور قد أحاط بالرجال الأربعة ، فى حين تردد صوت معدنى

عبر أجهزة الاتصال فى خوذاتهم ، يقول :

- لم نقصد الإساءة إليكم ، ولكننا كنا ندافع عن أنفسنا ،

ونتعامل معكم فى حذر ، حتى نتبين نواياكم .

ترجع (سالم) هاتفاً فى ذعر :

- ما هذا ؟ هل دبت الحياة فى للصخور ؟

أجابه (رائد) :

- الله (سبحانه وتعالى) فى خلقه شئون يا صديقى .

وقال (سيف) مبهوتا :

- لقد أصفنى الرعب ، عندما انفتحت تلك الصخرة الضخمة

وبتعتنى ، ثم احتوائى ظلام دامس ، وشعرت بأيدى تلحصى ،

ونكنى لم أتصور أبداً أننى أسير لمخلوقات فى صخر ، على

الرغم من الصخور التى هاجمتنى فى الكهف . لقد تصورتها

مجرد خدعة .

تمتم (قاسم) فى رهبة :

- ولنا أيضاً .

تردد الصوت المعدنى عبر أجهزة الاتصال ، وهو يقول :

- نحن أيضاً شعرنا بالتحيرة نفسها ، عندما رأينا أجسامكم ،

ولم نتصور أبداً أنه توجد فى هذا الكون مخلوقات تختلف عنا ،

واصلبنا فحصكم بمريد من الدهشة ، فأجسامكم ثينة وهشة

للفגיעة ، ولكن عقولكم فطنة الذكاء ، يدلل ألكم لاجتم فى

التوصل إلى حقيقتنا .

هاتف (سلام) :

- حقا يا (رائد) ، كيف أمكنك هذا ؟

هز (رائد) كتفيه ، وقال :

- أطلقت العنان لخيالي وتفكيري ، بحثا عن صورة الحياة ،

التي يمكن أن تخدع الكمبيوتر ، وتخدعنا أيضا في الوقت ذاته .

وجدت لماسي هذه الصخور ، المنتشرة في كل مكان ، فربطت هذا بذاك ، وتوصلت إلى الحل .

تردد للصوت المعنى ، يقول :

- عظيم .. عقلية فائقة بالفعل .

فما له (رائد) :

- لنتم تستخدمون مترجما اليا . ليس كذلك ؟

أجابته للصوت المعنى :

- هذا صحيح .. لقد فهمنا عقول رفاقك ، وتوصلنا إلى

لغتهم ، وغطينا بها مترجما الآلى ، وهو الذى يترجم الآن

أحاديثنا لكم ، والعكس بالعكس .. ولقد علمنا أيضا لكم أفراد

بعضة خاصة ، تبحث عن الحضارات في الكون ، وهم يساعدنا أن

نلتقي بكم ، فهذا منعطف تاريخي في حياة كوكبنا .. لقد رصدنا

بأجهزتنا سفينتكم ، وهي تقترب من كوكبنا .

قال (سلام) في دهشة :

- أتعنى أن لديكم أجهزة وآليات متطورة ؟

أجابته للصوت :

- بالطبع .. ربما تختلف هيتها عن هيئة الأجهزة والآليات

المعروفة في كوكبكم ، ولكنها تعمل بكفاءة مناسبة .

في هذه اللحظة ظهرت سفينة للقضاء العربية (الممستكشف

- ١) في الأفق ، فاضاف الصوت المعنى :

- ها هي ذى سفينتكم الأم تعود .. لا ريب أن ركبها

سبصفون بدهشة بالغة ، عندما يرون ما يحدث على سطح

كوكبنا الان ، ولكنها - كما أخبرتكم - لحظة تاريخية .. ستفيد

كثيرا في إثبات ، ما ينادي به بعض علمائنا منذ زمن حول

حتمية وجود مخلوقات عاقلة في كواكب أخرى .

ابتسم (رائد) في لوتياح ، وهو يقول :

- كنت على حق يا صاحب الصوت . إنها لحظة تاريخية في

حياة الكواكب .. كل الكواكب المأهولة ..

وعلى الرغم من تلك الوجوه الصخرية التي تحيط به (رائد)

وفريقه .. شعر الجميع بأنهم يتبادلون ابتسامة ..

ابتسامة صدقة .

* * *

« مذهش .. »

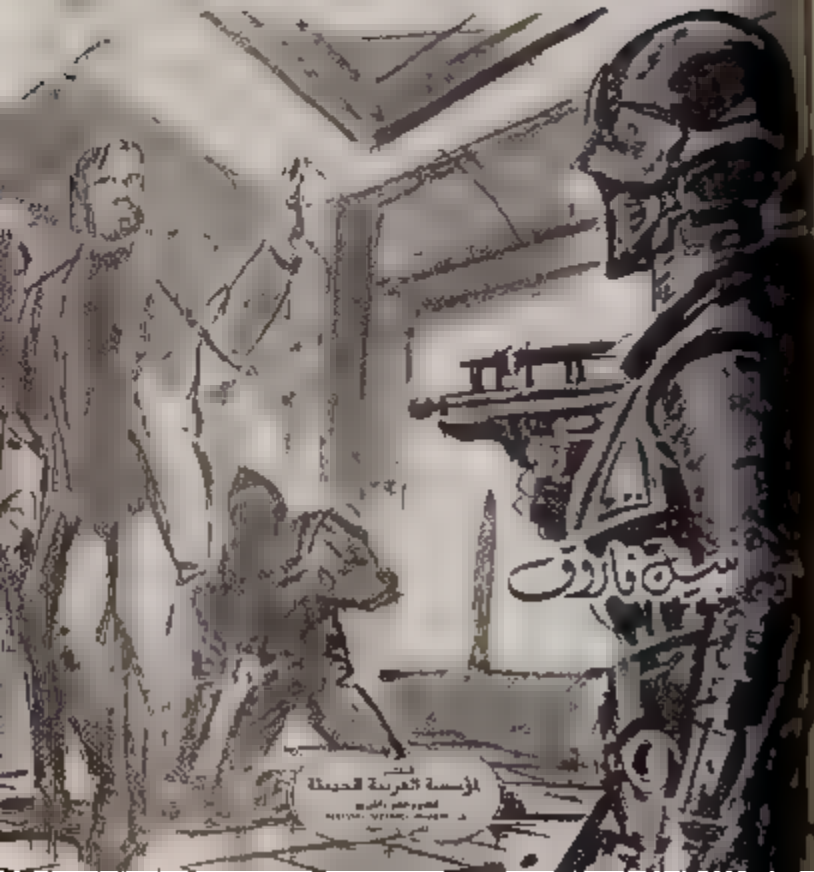
نطقها قلة سفينة القضاء العربية ، وهو يدبر آلاتها بعد

عودة (رائد) وفريقه إليها وأضاف في حماس :

- من يصدق هذا .. لقد عثرنا على أول كوكب مأهول ،

خارج منظومتنا الشمسية ، ولكن النتيجة جاءت مذهشة

نقطة الانفجار



أكثر مما كنا نتوقعها مخلوقات من صغر !! بالعظمة الخلق
(عز وجل)

أجيبه (رائد) . وهو يتخذ مجلسه جولده :
- أنت على حق . الله (سبحانه وتعالى) قادر على خلق
أشكال لا حصر لها من المخلوقات تفوق أقصى ما يمكن أن
يصل إليه خيالنا .

قال (رائد) . وهو يضغط أزرار كمبيوتر الانطلاق :
- هذا صحيح يا سيدى .. هل أبلغت هذا للأرض ؟
أجيبه القائد .

- بالطبع . ولكننا لن نعرف رد فعلهم قبل ست ساعات على
الأقل .

قال (رائد)
- أو أكثر . لا تتم لنا انطلاق بسرعة تفوق سرعة
الضوء .

ضحك القائد . قائلا :
- هذا يعنى أن الرسالة ستتهبط . قبل أن تلحق بنا .
ثم ضغط الأزرار النهائية ، قائلا :
- هلمسند الجميع .. سننطلق .
وانطلقت (المستكشف - ١) تشق الفضاء . نحو كوكب جديد .
ومغامرة جديدة .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

١ - تكنولوجيا ..

عبرت سيارة (بامل) الرياضية الصغيرة شوارع العاصمة الفرنسية (باريس) ، في تلك الساعة المبكرة ، متجاوزة برج (إيفل) الهائل ، ومتجهة نحو شارع واسع ، ثم لم تلبث أن توقفت أمام مبنى أنيق حديث ، حمل لافتة ضخمة مثيرة ، حملت بدورها عبارة : « معرض تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين » .

وفي هدوء غادر (بامل) سيارته ، وصعد في درجات سلم صغير ، من الرخام الوردي ، ورأى في نهايته رجلا وقورا يصرع إليه ، ويمد يده لمصافحته . قائلا :

- (بامل) حسبما اعتقد .. أليس كذلك ؟ مرحبًا بك في معرض تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين . لنا المشرف على المعرض .. إتينا جميعًا في انتظارك .

رفع (بامل) حاجبيه في دهشة ، وقال :

- جميعًا . عجبًا ! كنت افترض أنك من وصل إلى هنا ، فالوقت مبكر للغاية .

ضحك المشرف ، وهو يقول :

- يبدو أن الأمر مثير لتفاهة ، فالتجميع هنا منذ لوك ضوء للنهار .

عبر بوابة المعرض ، والمشرف يواصل .

- ستلاحظ منذ اللحظة الأولى أن كل شيء هنا آلي . الأبواب ..

نظم الأمن المراقبة .. وحتى وسائل العرض .

سنرا عبر صالة واسعة ، اكتظت بالأدوات والوسائل

التكنولوجية الحديثة ، واتجهوا نحو أربعة من الرجال ، وقفوا ينتظرون قدومهما ، وقال المشرف :

- زميلنا العربي (بامل) .. الذي سيشاركنا هذا العرض

للخص ، قبل الافتتاح الرسمي للمعرض ، وهؤلاء (آرثر) من

(إنجلترا) ، و (جان) من (فرنسا) ، و (هايلز) من

(ألمانيا) و (لطفوني) من (إيطاليا) .

تصافح الجميع في حرارة ، والمشرف يرافقهم بابتسامة

كبيرة ، ثم قال :

- والان ليها السادة ، استعدوا لمشاهدة أحدث تكنولوجيا

أنتجتها عقول المبدعين في العالم .. تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين .

ساروا إلى جواره ، وهو يشير إلى أحد أركان المعرض ،

قائلا :

- هنا ستجدون أجهزة فصل الألوان والطباعة الحديثة .

كلها في قالب واحد ، يشبه آلات تصوير المستندات الحديثة ،

يكفي أن تضع الصورة الملونة داخله ، فيفصلها إلى أربعة أفلام

مختلفة ، ثم يطبع منها ملصقات وآلاف للنسخ الدقيقة ، في زمن

قياسي ، فقدرت الإنتاجية تتجاوز الضرة آلاف نسخة ، في
الساعة الواحدة . والجديد هو البساطة لمتناهية لتسهيله ،
فصبى في العاشرة من عمره يمكنه إنتاج مجلة كاملة وحده ..
أما هذا ، فهو المطبخ الإلكتروني الحديث .. مطبخ للقرن
الحادي والعشرين . كل شيء فيه آلي . تحلية للمياه ،
والطهي بواسطة الموجات الصوتية الفتقة التردد ، والإشعاع
الغوري بأشعة الليزر ، و ..

مضى يشرح كل ما يقابلهم من منتجات للتكنولوجيا الحديثة .
حتى بلغ ركنا تخفيه سترة سميكة ، وتوقف قليلا :
- والآن تحلة المعرض ، أقوى جزء من التكنولوجيا ،
وأغلاها سعرا ..

وضغط زرًا صغيرًا ، فانزلت الستارة في بطء ، لتكشف
عن ثلاثة من الآليين ، في ثياب معدنية حمراء زاهية ، وكل
منهم يحمل مسلحًا عجيبًا في جرابه . وقد جمعت ملامحهم
الآلية في برود مخيف ، وجمعت صدورهم علامة خاصة ، أشبه
بمثلث مذلتف الألوان ..

وهتف (آرثر) مبهورًا :

- ما هذا بالصبط ؟

أجابته المشرف في زهو :

- تحفة المعرض .. المقاتلون الآليون .. أعظم الابتكارات
الحربية في القرن الحالي ، وسراة الجيوش الآلية في القرن

القادم .. المقاتل الواحد من هؤلاء تكلف صنعه ثلاثة ملايين
دولار ، وهو منيع ضد الرصاصات ، والأسلحة البيولوجية
والكيماوية ، ويملك القدرة على رصد خصومه بكل السبل
والوسائل الممكنة ، فهو يراهم بواسطة أجهزة فيديو خاصة ،
ويسمعهم بقدرة فائقة على التقاط أصغر وأدق الأصوات ،
ويرصد حرارة أجسادهم بجهاز للتقاط حراري خاص ، أم
مسنده ، فهو تحفة مزوجة ، إذ إنه يطلق رصاصات عادية ،
بخزانة تشبه خزانة مدفع آلي ، ويطلق في الوقت ذاته أشعة
الليزر لقتلة . باختصار . إنه تحفة حربية لا مثيل لها .

تمتم (بلسل) :

- ألم يكن من الأفضل إتفاق كل هذه الملايين ، في سبيل

صحة البشر وأمنهم وسلامهم ؟

ضحك (جان) ، وقال :

- ليس هذا ممكنًا بالطبع ، فالنول لن تتردد في إتفاق

مليارات الدولارات لشراء المقاتلين الآليين ، ولكنها لن تنفق

ربع هذا المبلغ من أجل الأمن والسلام .

قال (بلسل) :

- ليست كل الشعوب كذلك .

هز (هاينز) كتفيه ، وقال :

- شعوبنا كذلك على الأقل .

ومطأ (أنطوني) شفتيه ، وقال في شيء من الغرور :

- كل الدول العظمى كذلك .

ضحك المشرف ، وقال :

- ولكن المقاتلين الالبيين ضرورة حتمية ، فالأسلحة تتطور بسرعة ، ولابد من موجهتها بجيوش متبعة ، لا تتأثر بالقذرات السامة ، والميكروبات القاتلة . والأسلحة النووية ، وغيرها ، و ..
بتر عبارته بفتة ، عندما ارتفع أزيز خلص ، جطة بلغت بحركة حادة نحو حجرة المراقبة ، في نهاية لبهو ثم يقول :
- معذرة أيها السادة يبدو أن أحدهم قد تسلل إلى هنا ..
سأذهب لرؤية ما حدث ، وأعود إليكم على الفور .

غادرهم في خطوات سريعة متوترة ، ورأوه يختفي داخل حجرة المراقبة ، فقال (لظونى) :

- ترى من يتسلل إلى هنا ؟

ضحك (آرثر) في برود :

- لعله صبي عاثر ، أو شاب فضولى .

ولكن (باسل) لم يشعر بالارتياح ..

لقد خيل إليه أنه قد رأى لمحة قلق ودعشة على وجه المشرف ، قبل أن ييلف إلى حجرة المراقبة الخاصة ..

لمحة توحي بأنه قد رأى شيئاً أثار ذعره وفرعه ، قبل أن يدخل الحجرة وفي حزم ، قال (باسل) :

- سأذهب لمعرفة ما حدث .

هز (هايلز) كتفيه ، وقال :

- لمست أرى داعياً لهذا .

وقال (جان) :

- ليس من اللائق أن نتدخل في عمل المشرف .

ولكن (باسل) لم يهتم بهذه الاعتراضات ، إذ كان قلقه يفوق هذا بكثير ، فاتجه في حزم إلى حجرة المراقبة ، وسمع (لظونى) من خلفه يقول :

- انتظرنى .. سأصحبك .

لم ينتظره (باسل) ، وإنما أسرع للخطى نحو حجرة المراقبة . ولم يكذ يقرب منها حتى سمع صوت المشرف دخلها ، يقول في عصبية .

- لا تقنوا أن خطتكم ستجرح .. هناك جهاز للأمن الذاتي .

أجابه صوت عثين :

- لا تجعل هذا يقلقك .. لقد كبطنا عمل أجهزة أمن البوابة

مؤقتاً .. نحن خبراء في هذا .

التصق (باسل) بجدار الحجرة ، وسمع (لظونى) من خلفه ، يقول :

- ما الذى تتوقع أن ..

أشار إليه (باسل) في صرامة أن يصمت ، وأطاعه (لظونى) في قلق ، واختلس (باسل) للنظر داخل حجرة المراقبة . ولمح ثلاثة رجال يصوبون أسلحتهم إلى المشرف ، في حين سقط ضابط الأمن أرضاً ، مخرجاً في دمائه ، وسمع المشرف يقول في توتر :

نن تجلوا أية نقود هنا . إنا لمتوجهة تجلوية .

أجابه صاحب الصوت الخشن فى سحرية .

ومن قال إنا نريد نقودا ؟

بدأ من التواضع إن المشرف يمر بمرحلة توتر عفيفة ، وهو يقول :

ماذا تريدون إذن ؟

أجابه صاحب الصوت الخشن :

المقاتلين الآليين .

شهق المشرف فى توتر ، ونبت من (باسل) حركة عفيفة ،

فهتف صاحب الصوت الخشن :

أحدهم بالخارج .

وقبل ان يتحرك (باسل) من مكانه ، رأى أحد المجرمين

يقفز خارج حجرة المراقبة ، وبهتف .

ها هو ذا .

ثم صوب إليه مدفعه الآلى ، و ..

وأطلق الخطر ..

★ ★ ★

كان (باسل) أول من تحرك ، عند ظهور المجرم ، فانتفض

عليه بسرعة خاطفة ، وأمسك معصميه ، ورفعهم إلى أعلى ،

فدوت رصاصات المدفع الآلى ، وهى تنطلق نحو المسقف ،

وصرخ (أنطونى) فى هلع :

- ما هذا ؟ ماذا يحدث ؟

لما المجرم ، فقد قاوم (باسل) فى شراسة ، وهو يصرخ .

- لتركنى أو تتال ما تكره .

هوى (باسل) على فكه بكلمة قوية ، وهو يقول :

- وماذا أتال لو تركتك ؟ رصاصات ؟!

فترجع للمجرم معصميه من قبضة (باسل) ، وتراجع بحركة

حادة ، وعاد يصوب إليه مدفعه ، صائحا :

- أصبت .. ستقتل فيضاً من الرصاصات .

ولكن (باسل) وثب نحوه ، وركل المدفع الآلى من يده

بحركة سريعة ، وهو يقول :

- أنت وثقى ؟

ثم لكم المجرم فى أنفه وفكه ، لعمتين متعاقبتين سريعتين ،

وقفز نحو المدفع الآلى محلولاً للتقاطه ، لولا أن ارتفع صوت

خشن قاس ، يقول :

- أفعلا .. لو فك أسرع من رصاصات مدفعى .

توقف (باسل) على قيد متر واحد من المدفع الآلى ،

والتفت إلى صاحب الصوت الخشن ، الذى يصوب إليه مدفعه

فى غضب ، وإلى جواره وقف زميله ، مصوباً مدفعه إلى رأس

المشرف مباشرة ، فى حين نهض المجرم الثالث ، وهو يمسك

أنفه المحطم ، ويصرخ فى غضب وثورة ::

- لقد حطم أنفى وأسنانى . سأقتله . سأقتله .

صاح به صاحب الصوت الخشن في صرامة :
- اصمت يا هذا .

ولكن الرجل واصل في ثورة :
- لقد فعلها .. جرت وفعلها . فلنقتله ، ونجعله عبرة
للآخرين .

صرخ صاحب الصوت الخشن :
- قلت : اخرج

ثم التفت إلى (باسل) ، واستطرد في حدة :
- ها أيها العربي .. لقد قتلت لعبة لبطولة . انضم إلى
رفائك ، ودعنا ننه هذه العملية دون خصائر .
ثم قال للمشرف :

- أين جهاز الأمن الذاتي ؟

تطلع إليه المشرف في صمت ، دون أن يجيب ، فلمستدر
إليه في حركة سريعة ، وهوى على فكه بكعب منفعه ، وصاح
(باسل) :

- ليس هذا من حقل .

صوب إليه الاخران منفعيهما ، وصاح ذلك قذى شتبك معه
(باسل) من قبل :

- ها .. زد كلمة واحدة ، واسحقني المبرر لتحويلك إلى
مصفاة .

أما صاحب الصوت الخشن ، فقد كرر سؤاله للمشرف :

- أين جهاز الأمن الذاتي ؟

حاول المشرف منع الدماء التي تنزف من طرف شفته ،
وهو يشير إلى جهاز كمبيوتر في ركن المكان ، قائلاً :
- ها هو ذا .

أشار صاحب الصوت الخشن إلى أحد المجرمين ، قائلاً :
- نفذ ما اتفقتا عليه .

أسرع لرجل نحو الكمبيوتر ، وراح يضغط لوحة الأزرار في
سرعة ومهارة ، في حين التفت صاحب الصوت الخشن إلى
الجميع ، وقال في غلظة .

- والآن أيها السادة ، سبغق أبواب المعرض ، ونقطع كل
خطوط الاتصال لدخله لمدة ساعة ، لن يتمكن أحدكم خلالها من
الخروج ، أو إجراء أي اتصال بالخارج ، وسيبدأ هذا بعد
رحيلنا مباشرة .. أما الآن فلتتحذروا هذا الركن البعيد ، إلى
جوار منخل القبو ، حتى نحمل المعطنتين الآليين ، ونرحل من
هنا ..

تجه للجميع إلى الركن القذى أشار إليه ، وتمتم (آرثر) :
- لقد وضعوا خططهم في إحكام .

أجابه (باسل) : لا توجد جريمة كاملة :

قال (أنطوني) في حدة :

- هذا لو أننا نواجه عصابة من اللصوص ، ولكنها منظمة
إجرامية قوية .

وردد (هابلز) :

- لا مجال لديهم للخطأ .

قال (هابلز) :

- حتى ولو كانوا دولة عظمى .. الله (سبحانه وتعالى)

أكبر وأعظم منهم

تطلع إليه (جان) لحظة . قبل أن يقول .

- أما زلت تصر على للحصول عليهم ؟

لكزه ارجل في كتفه ، قائلاً في صراحة :

- هيا

تردد المشرف لحظة أخرى ، ثم قال :

- فليكن .. لم تترك لي سوى هذا .

ثم التحنى بسرعة ، قبل أن ينتبه أحدهم إلى ما يسعى إليه ،

وضغط زراً في جدار ركن المقاتلين الالبيين . فصاح صاحب

الصوت الخشن :

- ماذا تفعل ؟

تراجع المشرف فجأة ، صارخاً :

- أنتم أرتقم هذا .

رفع لرجل فوهة مدفعه نحوه ، وهو يهتف :

- ماذا فعلت بالضبط ؟

وهتف (هابلز) :

- اختصر أيها المشرف .

تراجع المشرف بسرعة ، ولكن قدمه تعثرت ، فسقط على ظهره في عصف ، وصوب صاحب الصوت الخشن مدفعه إليه ، صاخاً :

- مستفيع حياتك ثمن شيء لا أفهمه .

ولكن فجأة ، تحرك أحد المقاتلين الالبيين ، ورفع مدفعه ، فصاح أحد المجرمين الآخرين ، محاولاً تحذير ذي الصوت الخشن :

- اختصر أيها اللزعم .

استدار صاحب الصوت الخشن في سرعة ، نحو المقاتل الآلى ، وقامت عينه في هلع . عندما رأى فوهة مدفع آلى مصوبة إليه ، فتراجع مذعوراً ، وهو يقول في توتر :

- ما .. ما هذا .. ماذا فعلت أيها المشرف ؟

جحظت عيناه في رعب هائل . عندما تحركت أصابع الآلى

على الزناد ، وصرخ :

- لا .. لا تفعلها .

ولكن الآلى لم يطع . لقد ضغط للزناد بلا تردد ، و ..

وانطلقت الرصاصات ..

ولاسم أعين الجميع ، أصابت الرصاصات صاحب الصوت

الخشن ، واقتلعه من مكانه ، قبل أن يهوى أرضا ، وتطلق
المشرف يدعو ، نحو الركن الذى يقف فيه (بلسل) ورفاقه .
وهو يهتف :

- ألتم جعلتمونى قتل هذا ..

أما المجرمى الاحران ، فقد رفعاً مدفعيهما فى مواجهة
المقاتل الآلى ، وصرخ أحدهما :

- قف يا هذا ، وإلا أطلقنا قنار .

استدار إليه للمقاتل الآلى فى صمت وبطم . فصاح :

- أطلق قنار يا (مينو) .

وضغط زناد مدفعه ، وراح وزميله بمطران الآلى برصاص
مدفعيهما ، إلا أن الآلى لم يبد أى تائر بالرصاصة التى
تنهال عليه كالمطر ، وإنما صوب مدفعه إلى أحد المجرمين ،
وأطلق رصاصات مدفعه ..

وسقط أحد المجرمين ، ثم استدار المقاتل الآلى فى بطم إلى
الآخر ، الذى ألقى مدفعه أرضا ، ورفع ذراعيه عاليا ، وهو
يصرخ :

- إبنى استسلم .. استسلم .

قال المشرف فى ارتياح :

- انتهت المشكلة سيقلى للقبض عليه . ثم تبغ الشرطة .

ولكن (بلسن) شعر بالقلق ، وهو يقول .

- ألت ولى من أنه أن يقتله ؟

هز المشرف رأسه فى ثقة ، وقال :

- مطلقاً .. لقد استسلم الرجل ، وبرتلمج الآلى يحتم أن

تقطع عيارته بدوى الرصاصات ، التى أصابت المجرم

الثانى ، وأسقطته صريفاً . فى حين استدار الآلى فى بطم ،

وصوب مدفعه إلى (بلسل) ورفاقه ، و ..

ولستعد لقتلهم ..

بلا رحمة ..

* * *

٢ - المقاتل ..

اتمعت عينا للمشرف في هلع ، عندما أطلق المقاتل الآلى النار على المجرم الأخير ، وهتف به (باسل) :
 - لقد فعلها .. لقد أطلق النار على رجل أعزل .
 ارتجف صوت المشرف ، وهو يقول :
 - مستحيل ! هناك خطأ ما في برنامجي حتماً .
 وفي بضع مثير ، استدار المقاتل الآلى إلى حيث يقف (باسل) ورفاقه ، وصوب مدفعه إليهم ، وقال (آرثر) في دعو .
 - ما الذي سيفعله ؟
 أجاب المشرف :
 - هناك خطأ حتماً .
 ثم اتجه نحو الآلى ، وهو يلوح بيديه ، قللاً :
 - لا تفعل . لقد سقط اللصوص ، وانتهت المهمة .
 ولكن (باسل) صاح ، وهو يندفع خلفه .
 - توقف .. هناك خلل .
 وضغط الآلى زناد مدفعه ،
 وفي اللحظة الأخيرة جذب (باسل) للمشرف إلى أسفل ،
 وسمع دوى الرصاصات ، وصراخ الأوروبيين الأربعة من خلفه ،
 وراى الآلى يصوب مدفعه مرة أخرى ، فهتف وهو يجذب المشرف بعيداً .

- إلى القبو .. أسرعوا إلى القبو .
 تطلق الأوروبيون نحو القبو ، في حين قال المشرف في تهلك .

- لقد أصابني .
 رأى (باسل) للسماء تنزف من كتف المشرف ، فقال .
 - تحامل يا رجل . لابد أن نهبط إلى القبو في سرعة ، قبل أن يلحق بنا .
 قال المشرف في بلس .
 - اذهب أنت .. لن يمكننا اللحاق بك .
 أطلق الآلى رصاصاته مرة ثانية ، ولكن (باسل) احتسب مع المشرف خلف جدار جانبي ، وصاح :
 - أسرع إلى القبو . إنه أمانا الوحيد ، منهرب عبر بابيه الخلفي ، تحامل المشرف ، وراح يجر جسده نحو مدخل القبو ، في حين تهض (باسل) وقال :
 - هيا ليها الآلى .. الحق بنا .
 وقطلى وهو مبتعداً عن القبو ، فلمستدار إلى الآلى في بضع وصرخ المشرف ماذا تفعل ؟
 هتف به (باسل) .
 - ولعل أنت طريقك . إتلى لحول أنظاره عنك .
 - أدار الآلى فوهة مدفعه إلى (باسل) .
 وأطلق النار ، ولكن (باسل) تفادى الرصاصات بفكرة ماهرة ، ثم اندفع مرة أخرى نحو القبو .

كان يعتمد على بطة حركة الآلى ، وعلى وجود الباب الخلفى للقبو ، ولقد بلغ القبو بالفعل قبل أن تبلغه رصاصات الآلى ، ونفع للمشرف أمامه ، وهو يقول :

- هيا .. لقد نجونا تقريباً .

كان الأوروبيون الأربعة ينتظرون بالسفل ، وسلكه (ارثر) .
- ماذا تفعل الآن ؟

أجاب (باسل) :

- نهر عبر الباب للخلفى .

لم يكد يتم عبارته حتى ارتفع أريز عجيب ، تردد فى المكان كله ، قبل أن يهبط نوح سميك من الصلب أمام الباب الخلفى للقبو ، وصاح للمشرف فى رأس .

- إنها خطة الأمن الذاتى .. كل الأبواب سيتم إغلاقها ، وكل الاتصالات ستقطع .

شحبت وجوه الجميع ، وهوت قلوبهم بين أقدامهم ، فى حين تعالى وقع أقدام المقاتل الآلى ، وهو يهبط نحو القبو .
فصاح (جان) :

- لقد وقفنا فى الفخ .. سيقتلنا بلا رحمة .

تلفت (باسل) حوله ، وهتف :

- للقبو له باب من الصلب .. ساعدونى لإغلاقه .

أسرع الجميع إليه ، وراحوا يدفعون الباب الثقيل ، وظهر الآلى وهو يصوب سلاحه إليهم ، فهتف (هاينز) :

- لا فائدة .

صاح به (باسل) وهو يدفع الباب بكل قوته :
- لا تقل هذا أبداً .

واطلق الآلى رصاصات مدفعه ، التى ارتطمت بالباب ، وارتدت عنه فى عصف ، وتجاوزته بوضع رصاصات ، وصاح المشرف

- أسرعوا ، قبل أن يبلغ القبو .

وتقدم الآلى نحو القبو فى بطة ، ولكن الرجال الخمسة أمكنهم إغلاق الباب فى الوقت المناسب ، وهتف (أنطونى) :
- لقد نجحنا .

ولكن الآلى توقف أمام الباب الصلب تحفظت ، وراح راداره الخاص يفحص ، ويدرس تركيبه فى بطة ، ثم تراجع عدة خطوات ، وضغط زبداً إضافياً فى مدفعه ، فتطلقت من فوهته الثانية أشعة ليزر حمراء مركزة ، أصابت الباب فى لحظة واحدة ، وراحت تفوح فيه بسرعة .

وفى الجانب الآخر قال المشرف فى ارتياح :

- إنه يستخدم أشعة الليزر ، ولن يلبث أن يصنع فجوة كبيرة فى الباب ، يمكنه منها الدخول إلينا .

شعر (باسل) بتوتر شديد ، أمام هذا القول ، وراح يتلفت حوله ، ثم قال وهو يشير إلى باب جانبي صغير .
- إلى أين يقود هذا الباب ؟

لجانبه المشرف . وهو يجلس مرتكلاً إلى الحائط :

- إلى مكتبي للأسف .. لا يوجد مخرج للقبو . سوى بابيه الخارجى المغلق الذى لن يفتح قبل مباحة على الأقل .

صمت (بسل) لحظات مفكراً ، قبل أن يقول :

- ألا توجد وسيلة لإيقاف عمل برنامج الأمن الذاتى ؟

لجانبه المشرف :

- توجد وسيلة واحدة .. ان تنسف جهاز الكمبيوتر .

المستول عن إغلاق الأبواب

سأله (بسل)

- وماذا يحدث عندئذ ؟

لوح للمشرف بيده ، وقال :

سيوقف البرنامج تلقائياً ، وتنتج الأبواب كلها .

ثم أضاف فى مرارة :

- ولكن كيف يمكن بلوغ الكمبيوتر ، وهذا الآتى يقف هنا .

وقد أصابه جنون آلى عجيب ؟

أشار (بسل) إلى الباب الجانبى وقال :

- بواسطة هذا الباب

قال (آرثر) فى توتر :

- وماذا عن الآلى ؟

أجابه (بسل) :

- سأجد وسيلة للفرار بينن هذه .

تصاعدت فى تلك اللحظة رائحة للمعدن الذائب ، وازداد شحوب وجه (هيلنز) . وهو يقول :

- سيصل ذلك الآلى إلينا حتماً .

وهنا قال (بسل) فى حزم .

- سأبدأ على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

قالها وانطلق نحو الباب الجانبى . والمشرف يهتف

- مهلا .. انتظر ..

ولكن (بسل) لم يسمعه ، فقد عبر الباب الجانبى إلى سلم

ضيق . فاده إلى مكتب المشرف ، ومنه إلى قاعة العرض .

ورأى كمبيوتر الأمن امامه ، فلمرغ إليه وهو يقول لنفسه :

- لو أمكننى بلوغ هذا لكمبيوتر . فسوف .

ولكن فجأة وقبل أن يقطع نصف المسافة ، رأى رأس

المقاتل الآلى الثانى تتحرك .. وتلقت إليه ، فتوقف مضطرباً

- هل سيصل لثانى ؟

لجانبه الجواب مباشرة ، عندما انفصل للمقاتل الآلى الثانى عن

مكته ، وتحرك حتى منتصف القاعة . ثم التفت إليه فى بطء ،

فقال (بسل) :

مهلا ليها الآلى لست لصاً أنا

ولكن الآلى لم يمهله .

لقد رفع مدفعه الآلى وصوبه إليه ..

وانطلق للنار .

★ ★ ★

سجل المشرف في قوة ، وأمسك صدره بيده في ألم ، وهو يقول :
- هذا العربي مغامر للقبية ، ولكن فرصته في النجاح ضئيلة .
سأله (قطوي) : لماذا ؟ الآلى ما يزال هنا .. يستخدم
أشعة الليزر لشق باب القيو ، وسيجد (بسل) طريقه خاليا .
هز المشرف رأسه نفيا ، وقال .

- هذا ما تتصورونه ، ولكن المقاتلين الآليين الثلاثة يتصلون
بعضهم ببعض ، ببرنامج شديد التعقيد . وقد خرج لديهم فقط
لقتلت ، لأنه لم تكن هناك حاجة لثان ، أما عندما يخرج (بسل) ،
ويحاول تدمير الكمبيوتر ، فس يخرج إلى آخر لإيقافه . وتدميره
دون إتذار .

هتف (هاينز) : وماذا سيفعل (بسل) في مواجهة الآلى الثاني ؟
تتم المشرف :

- من يدري ؟ من يدري ؟

وفي نفس اللحظة ، لنسى يدور فيها هذا الحوار ، كان
(بسل) يواجه بالفعل الآلى الثاني ، الذي رفع مدفعه نحوه .
وأطلق النار .

وقفز (بسل) جانبا ، في اللحظة الأخيرة ، ودوت
الرصاصات إلى جواره ، فاندفع خلف جهاز إلكترونى حديث .
أدار الآلى مدفعه إليه ، وأطلق النار ، فدمره تماما . وعادت
المواجهة مباشرة ، بينه وبين (بسل) ..
وتحرك (بسل) في سرعة ، والآلى يدير مدفعه إليه .

والتفت الرصاصات تطارد (بسل) ، حتى بلغ المطبخ
الإلكترونى الحديث ، فغمغم :

- قليلى .. لا يقل الحديد سوى الحديد ..

- وضغط زر تشغيل المطبخ .

وعلى الفور ، بدأ المطبخ الإلكتروني عمله ، وتحرك فرن
(الميكرويف) . واشتعل ، فالتفت المقاتل الآلى نذباته ،
وأدار فوهة مدفعه إليه ، وقد نسي تماما أمر (بسل) ، وراح
يطلق النار على أجزاء المطبخ الآلى ، ويسفها واحدا بعد
الآخر ، في نفس الوقت الذى دار فيه (بسل) حوله ، والتفت
جهاز فحص إشعاعى حديث ، وهو يقول :

هنا أيها الآلى ، قاتل دون توقف ، حتى أبلغ هدفى .

ولقى جهاز الفحص على مقربة من الآلى ، الذى استدار
إليه ، وأطلق قنار ليضا ..

واتدفع (بسل) نحو كمبيوتر الأمن ، وفحص أجزاءه في
سرعة ، ثم قال وهو يمد يده إلى أحد الأسلاك :
- لو توصلنا قيارا زقدا هنا ، فربما .

ولكن فجأة استدار الآلى إليه ، وصوب إلى ظهره ..

وفي اللحظة الأخيرة ، لمسح (بسل) صورة الآلى ، على
شاشة الكمبيوتر ، فقفز جانباً ، وقطعت رصاصات الآلى إلى
جواره ، وأصبحت الشحنة ، ونسفتها بقوة ، في حين اندفع
(بسل) نحو ركن قصي ، يحوى عددا من الأجهزة للصوتية ،
وهو يقول :

- لو انخفضت رصاصاته قليلاً ، لتسقط محرك الاسطوانة بدلاً من الشاشة ، ولتنتهي المشكلة .

واستدار إليه الآلى مرة أخرى فى ببطء ، فاستمرع (باسل) يشعل كل الأجهزة الصوتية ، وهو يقول :
- لنعشتم أن يربكه هذا بعض الشيء .

وانطلقت الأجهزة الصوتية بكل قوتها - حتى شعر (باسل) بأننييه تكادان تلغجران ، وتوقف الآلى لحظات . وقد ارتبكت أجهزة الرصد الصوتية فيه بالفعل ، وعجز عن تحديد موقع (باسل) ..

إلا أن هذا لم يوقفه ..

لقد نقل أجهزة الرصد مباشرة إلى الأجهزة الحرارية ، التي يمكنها تحديد الأجسام الحية ، بناء على ما ينبعث منها من حرارة ، واستدار مرة أخرى نحو (باسل) ، الذي استمرع بختي خلف جهاز آخر ضخم ، وهو يقول :
- كيف أمكنه تحديد موقعي الآن ؟

أطلق الآلى رصاصاته ، لتسبب أضراراً للجهاز الضخم ، وراحت تنسف أجزاءه فى عنف ، فهتف (باسل) :

- ينبغي أن أعترف أنه مقتل شرس بالفعل .. ومن الواضح أنه يستعين بأجهزة كشف حرارة ، لتحديد موقعي .

كانت الرصاصات تنهال كالأمطر ، إلا أن (باسل) احتفظ بهدونه ، وهو يتزع لحد الأسلاك الضخمة من للجهاز المحطم .

الذى لا يزال صامداً الرصاصات ، ثم يوصله بجهاز آخر صغير ، له عجلات مطاطية مرنة وتحرك ليصل الطرف الآخر للسلك بطول بلقيتيار الكهربى ، ثم التفت زجاجة مياه ، سقطت من برآك المطبخ الإلكتروني ، وهو يقول :

- فلنر كيف تنصدى لهذا أيها المقاتل الآلى

وبكل قوته ، دفع الجهاز الصغير نحو الآلى ، الذى صدّ الجهاز بقبضته فى بساطة . ثم أدار لوحة منفعه نحو (باسل) ، الذى برز من بقايا للجهاز الضخم ، وهو يهتف :

- هيا .. لتتقط هذه لها الآلى .

وألقى زجاجة الماء ..

وبوساطة أجهزة التحليل للفلانة فى تركيبه ، أدرك الآلى أن ما ألقاه (باسل) نحوه ليس سوى زجاجة مياه لا خطر منها ، فتجاهلها تماماً ، وصوب مسدسه نحو بقايا الجهاز الضخم ، الذى عاد (باسل) يختفى خلفه ، وأطلق النار

وسقطت الزجاجة على الجهاز الصغير .

وتحطمت

وسقطت منها المياه على الجهاز .

وسرى التيار الكهربى فى عنف ، عبر المياه ، التي ساعدت على توصيله .

وهوت لصاعقة كهربية على الآلى ..

واهتزت أضواء المكان فى شدة ، والآلى يرتجف فى عنف ،

بعد أن مرى التيار الكهربى فى جسده ، وأحرق دوقره
وأسلحه ، وأفسد محركه الإلكتروني ..

وهو الآلى محترقاً فى نفس اللحظة التى تقطعت فيها
الأضواء ، ثم اشتعل المحرك الإضافى آلياً ، فجنب (بامل)
طرف المسك فى التيار الكهربى ، وهو يقول لنفسه فى ارتباك :
- إن فئت لمت مجهزاً ضد التيار الكهربى أبها الآلى ..
لابد أن يدرك صاعوك هذا .

فى نفس اللحظة . كان (آرثر) يقول للمشرف فى هلع :
- لقد شقّ الآلى نصف الباب تقريباً . ماذا يفعل (بامل)
إن ؟

قال المشرف فى ضعف :
- ربما لم يد (بامل) على قيد الحياة .. ثم إنه الوحيد
الذى خاطر بنفسه ، فى محاولة لإفاننا جميعاً .

قال (هاينز) فى حدة :
- ولكنه لم ينجح .
قال المشرف فى تهلك :
- هيا .. خذ دورك إن .. من يرغب فى المحاولة ؟

تبادل الجميع نظرات خائفة متوترة ، ثم قال : (لاطونى) :
- هل يمكنك أن تلمر لنا ضعف التيار الكهربى ، الذى حدث
منذ لحظلات ؟

غصم الرجل :

- لقد توقف المولد الرئيسى ، وعمل المولد الاحتياطى
لمسبب ما .

تمتم (جان) :

- ربما فعل (بامل) هذا .

قال المشرف :

- ربما .. من يدري ؟

لما (بامل) قد أسرع إلى الكمبيوتر ، بعد تحطم الآلى
قشقى ، وهو يحمل المسك الطويل ، وراح يوصله بأجزاء
محركه الأسطوانات ، وهو يقول :

- لو لوصلنا التيار الكهربى بجزء غير مؤهل لاستقباله ،
فسيتم تدمير الكمبيوتر ، وتفتح الأبواب على الفور .
لمح من خلفه حركة خائفة ، فالتفت يتطلع إلى الآلى للثالث ،
ولكنه وجده جامداً فى مكانه ، فغصم :

- ولكن من المؤكد لئن سمعت شيئاً :
بقى جامداً ساكناً لحظلات ، يتطلع إلى الآلى للثالث فى حذر .
ثم عد يواصل عمله فى سرعة ومهارة ..

وكم تمنى لحظتها لو أن هذا الكمبيوتر يتصل بالتيار
الكهربى المعتاد ، بوساطة أسلاك عادية ، فى هذه الحالة كان
يكفى فصل التيار عنه ، ولكنه كان من طراز خاص ، يتم
تزويده ببطارية نووية دائمة ، مما يحتم تدميره ، لإيقاف عمل
برنامج .

وفجأة سمع من خلفه حركة أخرى ، فالتفت في سرعة ، ثم
تجمد في مكانه ..

كان الآلى الثالث يقف على قيد متر واحد منه ، ويتطلع إليه
بذلك البرود الآلى للجامد المخيف ..
وفجأة امتدت يد الآلى ، وقبضت على عنقه ، و ..
وراحت تخنقه

★ ★ ★

٣ - العقل .. والقسوة ..

شعر (بيسل) بأصابع الآلى تكاد تنقرس في عنقه ،
واحتبست أنفاسه في حلقه ، والآلى يضغط عنقه ، ولكنه راح
يلكم الآلى ويركله بكل قوته ، وهو يهتف في صوت مختلق :
- اتركني ليها الآلى . إنك لست مجرد آلة للقتل .

ثم يكاد ينطفئها ، حتى شعر بتناقضها مع الواقع فالذين
صنعوا هؤلاء الآليين صنعوهم كآلات للقتل بلا رحمة أو شفقة ،
أو حتى مجرد التفكير ..

ومع هذه الفكرة ، نبضت عروق (بيسل) بالغضب فراح
يلكم جسم الآلى المعنوي ، وهو يهتف :
- بل أنت مجرد آلة للقتل . آلة حقيرة للقتل .

وفجأة التقطت يده سلخاً معدنياً صغيراً ، يبرز في جزء خفي
في صدر الآلى ، فجذبه بكل قوته ، وهو يهتف .
- آلة تستحق للتدمير .

شعر بتيار عنيف يسري في جسده ، وبصاعقة تنتقل عبر
عروقه ، وتنفجر في مخه ، وانتفض جسده كله ثم انزلت
للدنيا أمامه ..

ولتنهى كل شيء ..

وفي القبر ، هتف (آرثر) في تهليل :

- الآلى شق الباب تقريباً ما هي إلا دقيقة واحدة حتى ينهار
الباب تماماً ، ونجد الآلى آمناً ، يقتلتنا ولحذاً بعد الآخر كقنران
فى المصيدة .

إنهار المشرف بدوره ، وهو يقول :

- لا فائدة لم تعد هناك فائدة .

وفجأة توقفت أشعة الليزر ، وران الصمت لحظة ، ثم تعالى
وقع أقدام الآلى وهو يتعد ، فهتف (جان)

- ماذا حدث ؟ هل سبقتنا ؟

اعتدل المشرف فى توتر ، وقال :

عجباً ! هذا لا يعنى سوى ..

توقف بقية عن الاستطرد ، فسأله (هليتز) فى توتر :

- سوى ماذا ؟ لاجب بلأله عليك .

لجأب المشرف :

- رحيل الآلى ، وعونيته إلى أعلى ، يعنى أن وجوده هناك

صار ضرورياً ، وهذا لا يحدث إلا عندما يتم تدمير الآليين
الآخرين .

برفت عينا (ليطونى) ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟ هل نجح هذا العريس (بلسل) فى تدمير

مقتلن آليين ؟

- مستحيل !

قال المشرف فى لهفة وأمل :

- هذا هو التفسير الوحيد ..

ثم أدار عينيه إلى باب القبو الخارجى ، مستطرداً :

- والأمل الوحيد .

وفى أعلى ، استعاد (بلسل) وعيه بعد لحظات من سقوطه ،

ولكنه شعر بآلاف المطارق تضرب جمجمته من الداخل ،

واهتزت الرؤية أمامه ، ولكنه استطاع تمييز الآلى الثالث ، وقد

سقط إلى جواره معطلاً ، ودخان كثيف يخرج من صدره ،

فغمغم :

- حمداً لله . ما زال هناك أمل .

حاول أن ينهض ليتم عمله ، ولكنه عجز عن هذا ، فزحف

نحو مصدر التيار الكهربى ، وهو يجذب طرف السلك ، والآلات

الصوتية تدوى فى المكان فى عنف ، وتضرب رأسه بهلرجمة

وفجأة رأى الآلى الأول ، وهو يصعد فى القبو ، ويتطلع إليه

مباشرة ، فقال فى توتر بالغ :

- كدت أنسى وجوده .. من المحتمل أنه يلتقطنى عبر جهاز

الكشف الحرارى

راح عقله يعمل فى سرعة ، بحثاً عن وسيلة للإفلات من

مصيده ، والآلى يتحرك نحوه فى بطء ، ثم قال فى توتر .

- هناك وسيلة واحدة .

وراح يحك طرف السلك فى مصدر كهربى ثم استغل

الشرارة الحادثة في إشعال قطعة من اللباد ، ولفاها نحو ستارة رقيقة ، تفصل أحد الأقسام عن الآخر .

واشتعلت المستقر فور سقوط اللباد المشتعل فوقها ، وتلججت النيران على بعد مترين من (بسل) ، وتوقف الآلى بغتة ، وراح يدير عينيه في المكان . فتمتم (بسل) في ارتياح : - نجحت . النيران للمشتعلة زابت في حرارة المكان كله . ولم يعد بإمكانه تحديد موقعى بالضبط .

تجمد الآلى في مكانه بالفعل ، وتبع (بسل) : - ولكن للمشكلة الحقيقية هي أن ذلك الآلى سيبقى . حتى بعد تدمير الكمبيوتر ، ولن ينتهي خطره . صمت لحظات ، وهو يواصل تفكيره ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، مصغفاً :

- نعم .. ربما نجحت هذه الوسيلة أيضاً ، التقط قطعة لباد أخرى ، واشعلها ، ثم ألغاها بكل قوته نحو كمبيوتر الأمن ، فسقطت إلى جواره مباشرة واستدار إليها المقاتل الآلى في بطم ، وصوب مدفعه إليها ، ثم لم يلبث أن تفنم منها في بطم حذر ، وقد عجزت أجهزته عن تحديد طبيعتها ، حتى صار قيد ربع للمتر منها ، فهتف (بسل) : استعد أيها الآلى .

وأوصل طرف السلك بالتيار الكهربى .. واستقبل كمبيوتر الأمن تياراً كهربياً ، في أجزاء غير مزهلة تلك ..

ولوى الانفجار ..

- تعجر الكمبيوتر بدوى هائل ، وشعر (بسل) بجسده يرتطم بالجدار في عنف ، وأظلمت الدنيا أمله مرة أخرى .

لم يدرك من الوقت بقى فاقد الوعي ، ولكنه استعد وعيه في بطم ، وسمع من حوله صوت المشرف ، يقول :

- لقد نمر وحده ثلاثة ألبيين هل يمكنكم تصديق هذا ؟ إجابته صوت آخر :

- هذا يعنى تدمير تسعة ملايين دولار .

هتف (آرثر) : اصمت يا رجل .

وقال (أنطونى) فى حدة : لو كنت فى موضعنا ، لما رلوتك هذه الفكرة .

وصاح : (هاينز) :

حيقتا كانت تسلوى أكثر من هذا .

قال صاحب الصوت فى استنكار :

أكثر من تسعة ملايين .

قال (جان) فى غضب :

بل أكثر من تسعة مليارات .

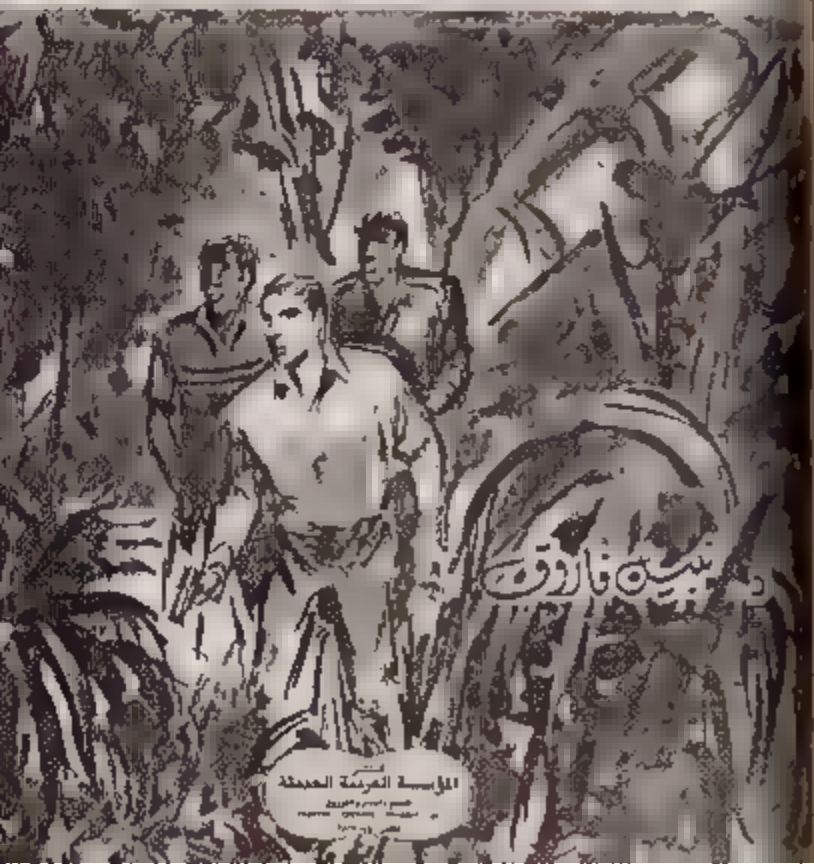
فتح (بسل) عينيه ، وهو يقول من يتحدث عن المال ؟

ثم نهض فى بطم ، واستقبله الجميع بهتافات فرحة ، وقال للمشرف :

- أهنتك أيها العربى .. لقد أنقذت حياتنا جميعاً .

قال (بسل) :

صراع في الأدغال



مكتبة دارق

المؤسسة العربية الحديثة
طبع في بيروت
الطبعة الأولى: ١٩٧٦

- الله (سبحانه وتعالى) هو الذي أنقذنا يا سيدي ، ولست
سوى وسيلة لتنفيذ مشيئته .

تطنع إليه أحد الرجال في دهشة ، وقال :

- أفتكر بطولتك أيها العربي ؟

هز (باسل) رأسه نفيا ، وقال بابتسامة هانئة :

- بل أذكر الحقيقة يا رجل .

قال رجل آخر :

- أوه حقيقة يا فتى ؟ حقيقة أنك بمنزلة ثلاثة من للمقاتلين

الآيين !

قال (باسل) في حزم :

- بل حقيقة أن الله (سبحانه وتعالى) خلق البشر ، وأنتم

صنعتهم هؤلاء الآيين ، ومن الطبيعي أن ينتصر ما صنعه الله

(عز وجل) ، على ما صنعه قبشر يا رجل .

ثم استدار إلى الأوروبيين الأربعة ، مستظرفا بابتسامة كبيرة :

- وحقيقة أن الحياة تساوى للكثير .. تساوى كل أموال الدنيا

وأكثر .. ليس كذلك أيها الصدا ؟

والفقه الأربعة والعشرون في حلقهم ، وغادر الجميع معرض

تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين ، وهم يحيطون بالبطل الذي

أنقذ حياتهم ..

البطل العربي (باسل) .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

١ - المندوب ..

ارتفع ليز طائرة مغية صغيرة ، وهي تعبر منطقة الأدغال الإفريقية الواسعة ، ثم تنطلق بمحاذاة المهر الكبير ، الذي يمتد إلى أفق البصر ، وتطلع راكبها الوحيد إلى ساعة يده في قلق ، وهو يقول لقائدها :

- أسرع يا (بوكا) - صديقي (بلسل) قال : إنه سينتظرونا في تمام الساعة والنصف . ولقد تجلورنا هذا الموعد بدقيقتين باللعن .

اهتمم الطيار ، وهو يقول :

- أهدأ يا سيد (أمين) . ليس بومسما أن ننتقل بسرعة أكبر ، فالطائرة تنطلق بأقصى سرعة بالفعل .. ولكن لطمني .. سنبلغ مطار العاصمة بعد ثلاث دقائق على الأكثر بإذن الله . وصديق (بلسل) هذا يمكنه أن يتركك خمس دقائق تأخير .. ليس كذلك ؟

ابتسم (أمين) وقال : بالطبع .. (بلسل) صديق رائع للغاية . إنني فخور حقاً بصداقته .

هز الطيار رأسه . دون أن يعلق على العبارة ، وتحرف يساراً ، وهو يستعد للهبوط ، عندما لاحظت العاصمة خلف الأفعال الكثيفة ، وبدأ يتخفّض بالطائرة بالفعل ، مضطجاً : هل ستصحبه مباشرة إلى مزرعة والدك يا سيد (أمين) ؟

أجلب (أمين) ، وهو يسترخي في مقعده :

- نعم يا (بوكا) .. لقد دعوتك لزيارة المزرعة ، وهو شغوف بروية لسانينا الحديثة في المزرعة والرى .
تمتم (بوكا) :

عظيم .. أعتقد أنها ستروق له كثيراً .

قلها ولاذ بلصمت تماماً . وهو يتخذ طريق الهبوط ، ثم اقترب من مهبط الطائرات الخاصة ، بعد أن تبادل حديثاً تعريفياً مقتضباً مع برج المطار ، ولم يعد إلى الحديث مع (أمين) إلا بعد أن هبطت الطائرة تماماً ، فضمم :

- وصلنا يا سيد (أمين) .

تطلع (أمين) إلى مساعته بلهفة ، وقال في ضيق :

- سبع دقائق تأخير يا (بوكا) ، وليس خمساً .

هز (بوكا) كتفيه ، وابتسم وهو يغادر مقعد القيادة ، ويفتح باب الطائرة الصغيرة ، مضطجاً :

إنها ليست بالفارق الكبير يا سيد (أمين) .

غادر (أمين) الطائرة في سرعة ، وانطلق إلى قاعة الزوار ، ولم يكد بصره يقع على (بلسل) ، الذي جلس بطائع جريدة إفريقية ، حتى هتف في سعادة مشوبة بلكنة اعتذار :

- (بلسل) يا صديقي .. مرحب بك هه .. لقد تأخرت عليك قليلاً .. ليس كذلك ؟

نهض (بلسل) بصافحه في حرارة ، قائلاً :

- لا عليك يا صديقي ، رؤيتك وحدها تكفيني .

تبدلاً بعض عبارات التحية ، والسؤال عن أخبار الأصدقاء المشتركين ، ثم سأل (أمين) صديقه (بامل) .

- ما رأيك الآن يا صديقي . هل نجول بعض الوقت في العاصمة ، لم نطلق مباشرة إلى المزرعة ؟

لوح (بامل) بيده ، قائلاً :

لقد شاهدت للعاصمة كلها تقريباً .

أجله (أمين) ضاحكاً :

هذا يحسم الأمر إذن .. هيا بنا .

تجهأ بخطوات رصينة هائلة نحو طائرة (أمين) للصغيرة .

واهتم (بوكا) عندما رآهما قادمين ، وغمغم :

- لقد فضلاً الرحيل مباشرة إذن .

وصعد في هدوء ليحتل مقعد القيادة ، وأدار محركات

الطائرة الصغيرة ، التي وصـر إليها (أمين) و (بامل) وقال :

الأول بالمسئمة كبيرة :

- تفضل يا صديقي . طائرتنا الصغيرة يسعدنا أن نغلك إلى

المزرعة .

ضحك (بامل) وهو يقول :

ويشرفني أنا أن استقلها

كأنا يصعدان إلى الطائرة ، عندما تنفـعت تحوهما فجأة سيارة

صغيرة ، على نحو بدا وكأنها تتعمد الاصطدام بالطائرة ، فهتف

(أمين) في قزعاج :

ما الذي يقعه هذا المائق بالضبط ؟

لم يكـد يتم عبارته ، حتى انحرقت السيارة في علف ،

وأطلقت إطاراتها صريراً مرعجاً ، قبل أن تتوقف إلى جوار

الطائرة تماماً ، ويقفز منها رجل متوسـط القامة واضح

الاضطراب والتوتر ، يرتدى حلة غالية الثمن ، ولكنها في حالة

رثة . توحى بـله مرُ بمعاناة طويلة ، كما أنه كان يحمل في يده

مصحفاً ، صونه إلى (بامل) و (أمين) في عصبية واضحة ،

وهو يقول :

- اصعدا إلى الطائرة .. هيا بسرعة .

هتف به (أمين) :

ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟ .. إنه مطار خاص ، وهذه .

فقطعه الرجل في حدة عنيفة :

قلت : اصعدا .

أمسك (بامل) يد صديقه ، وهو يقول في توتر : أطلع

أوامره ، ولا تستفزني كثيراً يا صديقي .. من الواضح أنه ليس

في حالة طبيعية .

عقد (أمين) حاجبيه في غضب ، وصعد إلى الطائرة محتقناً ،

وتبعه (بامل) في حذر ، في حين اختطف الرجل حقيبة

صغيرة من داخل السيارة ، وهو زالغ البصر ، شديد الاضطراب ،

وقفز إلى الطائرة ، وصاح في (بوكا) بقنطة .

هيا يا رجل .. ألقح .. هيا ..

سأل (بوكا) (أمين) فى توتر :

سيد (أمين) .. ما قولك ؟

غمغم (أمين) فى سخط :

أفعل ما يأمر بك به يا (بوكا) .

أغلق (بوكا) باب الطائرة فى حلق ، وبدأ يتحرك بالطائرة ،

وهو يتمتم :

لنستمع ألا نندم على قرارك هذا يا سيد (أمين) ؟

غمغم (بامل) فى ضيق ، وهو يرمى لرجل بنظرة جتبية :

ليس لدينا خيار فى الواقع يا (بوكا) .

كان الرجل فى هذه اللحظة شديد للتوتر ، ينقل بصره

فى عصبية شديدة ، من وجه (بامل) إلى الانفذة ،

والتمست عيناه فى هلع حقيقى ، عندما التهمت سيارة كبيرة

أرض المطار الخاص ، وانطلقت نحو الطائرة ، فصرخ فى

(بوكا) :

.. أسرع يا رجل .. أسرع بالله عليك .

نطقها فى لهجة أشبه بالانهيار ، حتى إن (أمين) .

حدق فى وجهه بدهشة بالغة ، فى حين سأل (بامل) :

ماذا هناك بالضبط ؟

ردد الرجل فى انهيار حقيقى هذه المرة :

أسرع يا رجل .. أسرع .

لم يكن (بوكا) يدرك بالضبط ما يدور حوله ، ولكنه كان

يعلم أنه مضطر لطاعة حامل المسدس ، فزاد من سرعة

الطائرة بتلقائية ، استعداداً للإقلاع بها ، ولكنه فوجئ بالسيارة

السوداء الكبيرة تطارده فى إصرار ، ثم أطل من نافذتها رجل

ضخم الجثة ، يحمل مدفعاً آلياً صغيراً . راح يمطر به جسم

الطائرة بالرصاصات ، فصرخ (بوكا) :

ما هذا بالضبط ؟

أما (بامل) و (أمين) والرجل ، فقد اتحنوا بسرعة ،

والأول بهتف :

من هؤلاء ؟ ولماذا يفعلون هذا ؟

صرخ الرجل فى ارتياح شديد :

فيما بعد .. فيما بعد . انطلقوا الآن .. هذا هو المهم .

صاح (بوكا) فى عصبية :

ليت الأمور تسير بهذه البساطة . إنك داخل طائرة صغيرة

يا رجل ولن تقلع قبل أن تبلغ سرعة مناسبة .

رفع الرجل مسدسه ، وهو يصرخ :

بل ستقلع الآن .. وعلى الفور .

ولكن (بامل) انقص عليه بفتة ، وضرب يده المممسكة

بالمسدس ، فأطاح به إلى آخر الطائرة ، ثم جذب للرجل إليه ،

قللاً فى صراحة :

كفى يا رجل .. لو امرك لن تعنى شيئاً ، فى مثل هذا الموقف
إظهار الرجل تملأنا هذه المرة ، وراح يهتف فى لهجة أقرب
إلى التبعاء :

نعم .. الأمور كلها لم تعد تعنى شيئاً ..

فى نفس اللحظة ، كان الرجل الضخم الجثة قد خفض فوهة
مدفعه الآلى ، والسيارة السوداء القوية تتطلى به ، فى محاولة
الطائرة الصغيرة ، وهو يحاول إطلاق النار على إطاراتها
ليمنعها من الإفلاع ..

وانتهلت الرصاصات كالمطر ، ولكن الزلاجات المنيعة لتنى
تحيط بالإطارات تلتفت للنباح كلها ، وأنقذت الإطارات ، فزادت
السيارة من سرعتها ، وتجاوزت الطائرة بهضعة أمتار ، فصغم
(بوكا) فى قلق :

فيم يفكرون بالضبط ؟

ولم يكذب بتم عبارته ، حتى اتسعت عيناه فى رعب هائل ،
عندما انحرفت السيارة الضخمة على نحو مباغت ، واعترضت
طريق الطائرة الصغيرة ..

ولم يعد هناك مفر من الاصطدام ..

★ ★ ★

كان الموقف دقيق للغاية ، حتى إن (أمين) قد أطلق شهقة
عظيمة ، وغاص بجسده كله فى مقعده ، فى انتظار الاصطدام

لوشيك ، واتسعت عينها للرجل فى رعب ، وهتف (باسل)
بملء فيه :

ألق يا (بوكا) .. ألق .

جنب (بوكا) عجلة القيادة بحركة آلية . مع هتاف (باسل)
وبنت للطائرة لحظة وكثفا سترفض الإفلاع ، وترطم بالسيارة
للسوداء الكبيرة ، إلا أنها لم تلبث أن استجابت بقتة ، ووثبت
فى الهواء وتجاوزت السيارة السوداء يستتيعتر أو اثنين ، قبل
أن تحلق فى الهواء مبتعدة .

وجن جنون ركاب السيارة السوداء ، عندما أفلتت منهم
الطائرة ، فقفزوا خارج السيارة ، وراحوا يشيخونها برصاصات
مدافعهم ، حتى ابتعت فى الألق ، فصرخ أحدهم محتفياً :

لقد أفلتوا منا .

غمغم زميله فى دعر :

إن ينظر لنا السيد (سموند) هذا أبداً

عقد الرجل الضخم حاجبيه فى عصبية ، وهو يقول بصوت
خشن :

ولكن من المحتم أن نيلفه .

وجذب بوق جهاز اللاسلكى فى غلظة ، وهو يقول :

- من الدورية الراكبة إلى المركبة الأم .. لقد أفلت الصيد ،
دخل طائرة صغيرة ذات محرك واحد ، تحمل شعار مزرعة
(كوسكا) .. أكرر .

ثم تصاعف إنعقاد حاجبيه الكثين ، حتى كاد يخفى عينيه ، وهو يتمتم :

هكذا نضمن أنهم لن يذهبوا بعيداً أبداً .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أمين) يهتف مبهوراً .

- ربّه !! لقد لجونا بأعجوبة . فى إحدى اللحظات تصوّرت أن الموت مصيرنا لا محالة .

قال (بوكا) بأنفس لا هشة :

القض للسيد (باسل) هتافه انزعنى من حالة الرعب ، التى تجملت معها أطرافى الأربعة ، وثلث قدرتى على التفكير تعاملاً اعتدل (باسل) وهو يقول :

الفضل لله (سبحانه وتعالى) وحده يا رجل .. هو نعم المولى ولهم النصير .

ثم التفت إلى الرجل الذى يتلفس فى صعوبة من فرط الإجهال ، واستطرد :

أعتقد أنك تدين لت بتفسير يا رجل .

رفع الرجل إليه عينين محمرتين ، وهو يقول فى تهيار :

ما الذى تريدون معرفته ؟

صاح به (أمين) فى عصبية :

من هؤلاء الذين يطاردوننا بكل هذه الشراسة ؟

تطلع إليه الرجل لحظة بعينين زافقتين ، ثم خفض بصره ، متمتماً :

مخابرات الجيش .

اقتسمت عينا (بوكا) فى ارتدع ، وحدق (أمين) فى وجه

الرجل فى ذعر ، فى حين انعقد حاجبا (باسل) فى شدة ، قبل

أن يقول غاضباً :

ماذا تعنى يا رجل ؟ هل ورطت معك فى قضية أمن دولة ؟؟

هتف الرجل فى سرعة :

لا . الأمر لا يعنى هذا قط .. لا شأن للدولة مطلقاً بما

يحدث .

قال (أمين) فى عصبية :

ما الذى يعنيه هذا ؟ ألم تقل : إنهم من رجال المخابرات

الحربية ؟

إزبد لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

هذا صحيح ولكنهم قلة خائنة منحرفة تصير لحساب ممتر

(انموذ) .. نائب رئيس جهاز المخابرات الحربى ، الذى

يمتثل منصفه أسوأ استغلال ، فيتعامل مع تجار السلاح ،

ويمنحهم امتيازات خفية ، ويضفى عليهم حمايته ، ويأوى

عصابة كاملة منهم ، فى مكان ما فى الأذغال ، تحت قيادة

الإرهابى الدولى (ماركوس) .

سأله (باسل) فى دهشة :

وكيف جمعت هذه المعلومات البالغة الخطورة ؟

إزبد للرجل لعابه مرة أخرى ، وقال . إنها مهنتى .

تطلعوا إليه في حيرة وتساؤل فتابع :

أنا (توماس جيفري) . مندوب الأمم المتحدة .

ارتفعت حولهم في دهشة وهتف (أمين) :

أنت ؟ لقد أعلنوا رسمياً خيراً وصونك إلى هنا .

لجابه (توماس) مرتجفاً :

هذا صحيح ، ولكن يبدو أنهم يرغبون في إذاعة خبر رحيلي بشكل مشير ، في هذه الدنيا كلها .

اعتدل (باسل) وقال في اهتمام شديد :

أعتقد أن الأمر يحتاج إلى مزيد من التفسير يا رجل .

هأ (توماس) رأسه متقلها ، وبدأ يقول :

لقد وصلت إلى هنا بطريقة رسمية بالفعل ، وبدأت على محقق في قضية تجارة السلاح ، التي انتشرت في المنطقة ، في الآونة الأخيرة ، وأدت إلى عدد من المشكلات والصعاب ، والحروب الصغيرة ، والاشتباكات المسلحة في المنطقة .. ولما كانت لدى فكرة مسبقة عن الموقف ، مع عدد من المعلومات الرسمية وغير الرسمية ، فقد اتجهت في بحثي إلى تلك الشريحة من رجال المخابرات المنحرفين ، ولم يلبث هذا أن قادني إلى معلومات أكثر خطورة ، حتى وقعت في يدي وثائق بالغة الأهمية ، تدين (أموند) مباشرة ، وتكفي لسجنه أو اعتقاله . وقبل أن أتوجه بها إلى الرئيس ، فوجئت بهم بطاروتني ، ويقتلون سلكي وحارسي الخاص ، فحطمت بالسيرة كالمجلون ، أشد للنجاة .. وكان ما كان .

ران صمت رهيب داخل الطائرة الصغيرة ، بعد أن انتهى

(توماس) من روايته حتى قاطعه (بوكا) وهو يتمتم في هلع :

— (أموند) ؟ يا للهول اقلحفظنا الله (سبحانه وتعالى) .

التفت (باسل) إلى (أمين) وقال :

أيضاً هذا أن (أموند) الذي يتحدثون عنه رجل شهير .

لجلب (أمين) بسرعة :

وبالغ الخطورة .

ثم تطلع إلى (توماس) مستطرداً في مرارة .

هل تعلم ما فعلته بناب منند (توماس) ؟ لقد جلبت علينا

غضب (أموند) السفاح . أي هول الفيتة على رعوسنا ؟

بدأ الخجل على وجه (توماس) وهو يتمتم :

لم يكن ألامى سوى هذا .. أسف .

اعتدل (باسل) وهو يقول : أعتقد أنه في ظل هذه الظروف .

ليس ألامنا سوى حل واحد .

سأله (أمين) في لهفة :

ما هو ؟

أدار (باسل) عينيه في وجوههم ، قبل أن يجيب في حزم :

أن تبلغ الرئيس نفسه بالموقف .

هوت عبارته على رعوسهم كالصاعقة ، فحنقوا في وجهه

لحظة في ذهول قبل أن يهتف (أمين) في استنكار

— هل تمزح يا (باسل) ؟

هز (ياسل) كتفيه ، وقال :

- ولماذا أمزح ؟ لقد كان السيد (توماس) في طريقه لإبلاغ الرئيس بالفعل ، عندما حدث هذا . لماذا لا تكثف جهودنا إذن للوصول إلى الرئيس ، وتسليم الوثائق كلها ، اتسى تدين (أموند) ؟

أجاب (أمين) في توتر :

لأن هذا ليس سهلا .. إنهم يطردوننا الآن . هل تظلم ؟ هل يمكنك أن تستوعب هذا ؟

قال (ياسل) :

نعم .. ولكنهم لم يظفروا بنا حتى الآن .

قال (أمين) في عصبية : هذا لا يعني شيئا . لقد هربا منهم منذ ربع الساعة فحسب ، ولم يبدؤوا عملية البحث الجاد بعد .

قال (ياسل) في اهتمام :

دعنا نسبقهم إذن .

سأله (توماس) في اهتمام أكثر :

وكيف نفعل هذا ؟

مال (ياسل) نحوه ، وكأنه يتحدث إليه وحده ، وهو يقول : سنتجه إلى أول قاعدة عسكرية في طريقنا ، وهناك نطلب الاتصال بالرئيس . لأمر يهدد أمن الدولة ، وعندئذ قاطعه (بوكا) فجأة :

إن تفلح هذه الخطة أيها العادة .

التفتوا إليه في دهشة وسأله (أمين) :

ولماذا إن تفلح ؟

ارتجف صوته ، وهو يجيب :

لأنهم عثروا علينا بالفعل .

قلها وهو يشير إلى يسار الطائرة ، فاستدارت كل العيون مع سبابته ، ومرت قشعريرة في أجسادهم . وهم يتطلعون إلى طائرة هليكوبتر حربية ، انقضت عليهم في شراسة ، و ... وطلقت رصاصاتها القاتلة ..

★ ★ ★

٢ - قلب الأدغال ..

لَوْح السيد (كوسكا) ، والد (أمين) بيده لرجل مزرعته ، وقد بدت على وجهه الزنجى قرصين علامات قلق ، وهو يقول :
- هيا .. ضعوا مزيداً من الاعلاف والمياه أمام الأبقار ..
وارسلوا فى طلب للطبيب البيطرى ، لتحديد مدى الإصابات هنا .
قبل أن تنتشر العدوى ..

سأله بمساعدة فى حيرة :
إنها مجرد إصابة عادية يا سيد (كوسكا) لا تستحق كل هذا التوتر والقلق .

هز (كوسكا) رأسه ، وهو يقول :
ليست الإصابة ما يقلقتنى يا رجل ، ولكنه غياب (أمين) .
المفترض أن يصل الآن ، مصطحباً صديقه (بلسل) .
ولست أدري لماذا لم يشر بالقلق من لجه .
ابتسم للمساعد قائلًا :

إنه قلق الأبوة يا سيد (كوسكا) اطمئن سيوصل السيد
(أمين) مع صديقه فى خير حال بلأن الله .

لم يكذب عبارته ، حتى فوجئ بسيارتين تقلحمان المزرعة ،
وتحطمان سورها فى غف ، ثم تنقضان عليه ، فصاح بمساعدة
فى ارتياح :

سيدى .. ما هذا بالضبط ؟

قبل أن يجيبه (كوسكا) ، توقفت السيارتان أمامهما ، وفلن
منهما عدد من الرجال ، على رأسهم رجل نحيل ، حاد النظرات ،
حرف فيه على الفور ذلك الإرهابى الدولى (ماركوس) ، الذى
رفع مستمعه الألى فى وجه (كوسكا) ، وسأله فى خشونة ،
وبلكنة لجنينة واضحة :

أين طائرتك الخاصة ؟

ارتجف (كوسكا) وهو يقول :

إنها ليست هنا يا سيد (ماركوس) .

سأله (ماركوس) فى غلظة :

أين هى إذن ؟ فى رحلة خاصة ؟

لجابه (كوسكا) :

هذا صحيح .. لقد استقلها (أمين) ابنى إلى العاصمة ،
لاستقبال صديق له وإحضاره إلى هنا .

ابتسم (ماركوس) ابتسامة صفراء مقببة ، وهو يقول :
يبدو أن هذه المهمة لم ترق له ، فحول الطائرة إلى مركبة
قفاز ، واشترك فى تهريب أحد أعداء الدولة .

شحب وجه (كوسكا) فى شدة وهو يقول :

أعداء الدولة ؟ مستحيل يا سيد (ماركوس) .. ليمت لابنى
أية اهتمامات سياسية أو .

قائمه (ماركوس) بصيحة غاضبة :

اصمت يا رجل .. لقد أخطأ ابنك في حق السيد (لعموند) ،
وهو لا يغير هذا أبداً .. وسيقدم عينة من غضبه .

وبإشارة من يده ارتفعت قوهات مدافع رجاله الآلية نحو
أبقار المزرعة ، والطلقت الرصاصات تعصدها بلا رحمة ، فصرخ
المساعد في هلع ، وهو يحاول منع تلك المنبحة :
لماذا ؟ لماذا ؟

ولكن (ماركوس) ألصق فوهة المسدس بصدغه قاتلاً :
اصمت يا هذا ، أو تلحق بالأبقار .

وامسك (كوسكا) يدمساعده ، وجنبه إليه ، وهو يقول في عصبية :

لا تتدخل يا رجل .. هؤلاء القوم لا يعرفون الرحمة

لكنفسى الرجال بعدد من الأبقار ، التي فترشت أرض

المزرعة ، وسط بحر من الدماء ، وعادوا إلى سيارتهم ، في

حين قال (ماركوس) في خشونة :

إنها مجرد عينة يا سيد (كوسكا) . سنجلس هنا في

لنتظار وصول الطائرة ، ولو حاول رجالك التدخل حينذاك ،

ستجد جثة ابنك طريقها وسط الأبقار النافقة .. هل تفهم ؟

لم يجب (كوسكا) بسبب تلك الغصة في حلقه ، ولكنه كان

يدرك أن (ماركوس) يعنى كل ما يقول ..

يعنيه تماماً .

وأن ابنه (أمين) في خطر هذه المرة ..
خطر بالغ للغاية .

★ ★ ★

اخترقت الرصاصات جسم الطائرة الصغيرة وعبرت إحداها

على قيد سنتيمتر واحد من أنف (توماس) ، الذي صرخ :

أسرع يا رجل .. اهرب منهم .

تجرف (يوكا) بالطائرة في سرعة ، وهو يقول في

اضطراب شديد :

فتتشم خيراً يا سيدى .. طائرنا ليست صالحة للمناورة ،

وهي تواجه هليكوبتر حربية يقودها محترف ..

أسرع (باسل) يقول :

تخفض يا (يوكا) . الخفض بالطائرة إلى أقل ارتفاع

ممكن .

أطاعه (يوكا) في آلية ، وهو يقول :

ولكن هناك قمم الأشجار .

فقر (باسل) يلتقط للمسدس الذى سقط من (توماس)

قتلاً :

أعلم هذا .

كانت هليكوبتر تنقض مرة أخرى ، عندما صوب (باسل)

المسدس إلى واجهتها ، وأطلق للنسر كانت إصابته محكمة

دقيقة ، حتى إنها لفزعت فقد الهيكوبتر ، فتحرف بحركة حادة عيفة ، ليتفادى الرصاصات ، التي أصاب بعضها زجاج النافذة ، وهو يهتف :

- أي مجنون هذا ؟ أيهاجم هليكوبتر حربية بمسدس واحد ..
قبل أن يتم عبارته ، ترتطم مروحة الهليكوبتر العنوبية بقمة إحدى الأشجار ، مع ذلك الميل المبالغت ، فتحطمت في عنف ، وصرخ الرجل : لقد خدعني هذا ..
قبل أن يتم عبارته انقلب الهليكوبتر ، وراح ترتطم بالأشجار ، وهي تهوى بينها في تخطيط شديد ، في حين صاح (توماس) مبهوراً :

مستحيل ! ماذا فعلت يا فتى ؟ إنك رائج بحق .
شمغم (باسل) :

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .
قال (توماس) في حيرة :
ما الذي تقول ؟

أجاب (أمين) مبتسماً يقول :
إن الله سبحانه وتعالى سدد خطاه .

تطلع (توماس) إلى (باسل) في قبهار وتمتم :
- يا لك من فتى عربي !

اعتدل (باسل) ولتفت إلى (يوكا) قتلاً .

والآن تطلق بأقصى سرعة يا رجل . وقننا إلى أقرب مصكر حربي .

تتحنج (يوكا) في توتر شديد وهو يقول .

أعتقد أن هذا مستحيل عملياً يا سيد (باسل) .

سأله (باسل) في قلق شريكه إيه الجميع :

لماذا تقول هذا يا (يوكا) ؟

أشار (يوكا) إلى العذابات أمامه وهو يقول :

إحدى الرصاصات أصابت خزان الوقود .. ولم تعد لدينا قنطرة واحدة منه .

قست عينا (أمين) في ملح ، وهو يهتف :
ولكننا وسط الأوغال .

هز (يوكا) كتفيه في بأس وقال :

ليس لدى ما لفعله .

هتف (توماس) :

- تحدثوا بالإنجليزية .. نست لفهم شيئاً !

ترجم له (باسل) أقوى الحديث ، فاستقع وجهه في شدة وقال :

وما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟

أجاب (باسل) في ضيق :

جه أوضح مما يمكن تفسيره يا سيد (توماس) لقد نقد

وقود الطائرة ، وهي تنزلق الآن كأنها طفلة شرعية عالية .
وتهوى في قلب الأدغال ، وكل ما يفعله الطيار هو أنه يبدل
قصارى جهده للعثور على مكان صالح للهبوط ، وسط هذه
الأفعال الكثيفة .

ازداد امتناع وشحوب وجه (توماس) ، واحتضن حقييته
الصغيرة في شدة ، ثم دفعها إلى (بامل) فجأة قائلاً :
خذ هذه .

سأله (بامل) في دهشة :

وما هي بالضبط ؟

أجابته في توتر شديد :

إنها تحوى كل الوثائق والأوراق التي تدين (ليموند)
وتكفى لمحاكمته بتهمة الخيانة العظمى .. احتفظ بها . أنا لثقت
بك أكثر من نفسي .

تطلع إليه (بامل) في دهشة بالغة ، وهو يسترجع ذكرى
مواقف أخرى شبيهة ، وهم يقول شيء ما ، عندما هتف (بوكا)
فجأة في ذعر :

لا فائدة .. لا يوجد مكان صالح للهبوط .

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطمت الطائرة بقمم الأشجار ، و
وكانت كارثة ..

★ ★ ★

كان السقوط قسرياً ومروعاً وعنيفاً ، والطائرة ترتطم
بالأشجار ويتحطم جناحها ، وتتخطب يمينا ويساراً وهي تهوى
للتصطم أخيراً بالأرض في عنف ، ويتحطم ذيلها تماماً ، ثم
تستقر وسط عاصفة من اللحان والأثرية ..

ولنقل طويلاً . بدأ الأمر وكان كل ركاب الطائرة قد لقوا
مسرهم مع التسقوط ، ثم لم يلبث بلب الطائرة أن الدفع خارجاً ،
وبرز منه (بامل) ، وهو يجر (أمين) ، وقد تمزق ربه
وسالت الدماء من بعض أجزاء في نراعه ومساقفه .
وبعدها ظهر (بوكا) ، بجرح في رأسه ، وهو يهتف :

— هل أنقذت السيد (أمين) ؟

أجابته (بامل) على الفور :

اطمن .. إنه فقد الوعي فحسب ، مع بعض الرضوض والكدمات .
تهدد (بوكا) في ارتياح هاتفاً :

حمداً لله .

صاح به (بامل) :

أحضر السيد (توماس) من الداخل ..

عند (بوكا) حليبيه وهو يقول في حدة :

هل تريد مني أن أنقذ الرجل ، الذي جلب الشؤم لرحلتنا ؟

أجابته (بامل) في صرامة :

بل أنا امرئ بهذا .. هيا يا رجل .. لا تجعل الغضب والتوتر
يفقدك آمينتك .

همهم (بوكا) بكلمات ساخطة ، ولكنه غاب قليلا لدخل الطائرة .
وعاد يحمل جسد (توماس) ، الذى بدا فاقد الوعي بدوره ،
فى حين لتوى ساقه على نحو بشع ، وقطع (بوكا) فى عصبية :
لقد أصيب بكسر فى ساقه .
أجاب (بازل) : اهمله إذن إلى جذع الشجرة البعيدة ،
وأرقله إلى جورها فى رفق ، وأحضر لنا بعض الأخشاب
الجلابة ؛ للصنع له جبيرة .
ذهب (بوكا) بالترجل إلى جذع الشجرة ، وأرقله فى حذر ،
قبل أن يسأل (بازل) :
هل ستقوم بعمل الطبيب ؟
لجابه (بازل) وهو يحاول الإمالة (أمين) :
لقد تلقيت بعض دروس الإسعافات الأولية فيما مضى .
فتح (أمين) عينيه ، وهتف فى ألم والتفعل :
ماذا حدث ؟ أين نحن ؟
هذا (بازل) من روعه وهو يقول :
لظلمن لقد نجونا جميعا تقريبا ، فيما عدا السيد (توماس) ،
الذى أصيب بكسر فى ساقه .
احتدل (أمين) وهتف :
هل تطلى لنا نجونا من الملقوط ؟
لوما (بازل) برأسه إيجابا ، وقال :

نعم يا صديقى .. بفضل الله (سبحانه وتعالى) ورعايته ،
لدى تخطيط الطائرة بين الأشجار ، إلى التخفيف من سمية
السقوط .

قلها واتجه نحو (توماس) ، فلحق به (أمين) وسأله :
هل ستصنع جبيرة لساقه ؟
نصم (بازل) :

- يمكنك أن تقول هذا .. ومن حسن حظك أن الكسر لم يكن
فى منطقة الفخذ ، وإلا لكنت حالته سيئة للغاية

وفى نفس اللحظات ، قلى بدأ فيها يصنع الجبيرة البدائية
لساق (توماس) ، بالأخشاب التى أحضرها (بوكا) ، كان
(مركوس) يلتقى خير سقوط للطائرة ، عبر جهاز لاسلكى ،
وعنوانا تتلقان جدلا وهو يقول :

إن قد سقطت تلك البطة الصغيرة ! عظيم .. عظيم .. قل
لى يا رجل .. هل جندتم موضع السقوط ؟

استمع إلى محدثه بضع لحظات فى انتباه شديد ، قبل أن
يفتر ثغره عن اهتمامه شرسة ويقول :

- كلا تركوا هذه المهمة لى .. إتنى لحب وضع اللعسات
الأخيرة بنفسى ..

وانهى الاتصال وهو يلتفت إلى (كوسك) باهتمام ساخرة
متشفية قللاً :

- قتلت المشكلة إلى حد كبير يا سيد (كوسكا) . لقد سقطت للطائرة الخاصة .

شوق (كوسكا) وهتف في لوحة :

ابنى .. (أمين) .. هل أصابه مكروه ؟

ابتسم (ماركوس) ساخرًا ، وقال وهو يتجه إلى سيارته :
ما الذى تتوقعه مع حادث سقوط طائرة ؟

انصت عينا الرجل فى هلع وارتياح ، ثم لم تلبث كل هذه المشاعر أن انزاحت جانبًا مع كل الغضب الذى غمر ملامحه وهو يصرخ :
أيها القاتل ..

والنقض على (ماركوس) فى ثورة ، ولكن هذا الأخير استدار يواجهه فى سرعة وخفة ، ولكم فى ثغره ، ثم هوى بكعب مهندس على رأسه ، فأسقطه فاقد الوعى ، وتدفق مساعده إليه هاتفا :

- ماذا فعلت بالسيد (كوسكا) ؟

هز (ماركوس) كتفيه فى لامبالاة وقال :

- إنه حسن الحظ .. لقد لفقته قوعى فحسب ، وهذا لأننى رائق المزاج الآن ، بعد أن وصلتني خبر سقوط الطائرة ، ولولا هذا لتسلفت رأسه برصاصات ممسسى هذا .

قللها وفهقه ضاحكا فى انسجام وهو يثب إلى سيارته هاتفا :
هيا يا رجل .

وغادروا للمرعى بصخب يفوق ما أحدثوه فى أفساحهم
أيها ، وتركوا خلفهم مذبحه رهيبه ، ورجلا انقطر قلبه على
لبنه الذى هوت به الطائرة وسط الحظر فى قلب الأغال

★ ★ ★

تأوه (توماس جيفرى) وهو يستعيد وعيه ، ونصب عرق
غزير على وجهه ، وهو بتلفت حوله ، هاتفا :
هل .. هل نجونا ؟

ربت (باسل) على كتفه وهو يقول :

نعم يا سيد (توماس) .. شاء الله (العلى القدير) أن
ننجو من السقوط ، ولكنك مصاب بكسر فى ساقك .

هتف (توماس) فى هلع :

والحقيقة ؟! ماذا عن الحقيقة ؟

ناولته (باسل) إياها قتلا : اطمئن ها هي ذى .

حاول أن يتحرك لانتفاظ فى لهفة ولكن ساقه ألمته ،
فتأوه بصوت مرتفع ، ودفع (باسل) للحقيقة بين نراعيه قائلا :
لا تبذل جهدا كبيرا ،

احتضن (توماس) الحقيقة ، وفحص ما بها فى اهتمام ،
قبل أن يعيدها إلى (باسل) قائلا فى توتر .
خذها واكمل المهمة .

غمغم (باسل) فى حرج :

سيد (توماس) .. لمست أعرف شيئاً عن محتويات هذه الحقيبة .
لوح بذراعيه قائلاً :

وثائق .. كلها وثائق وأبلة ، تكفى لإعدام هذا الخلق
(أموند) .. خذها وبذل قصارى جهدك لتصلبها إلى الأمم
المتحدة أو للرئيس . عدنى أن تفعل .. عدنى بالله عليك .
تصالح (ياسل) فى أعماقه :

لماذا يثق به الجميع ، على هذا النحو العجيب ؟ ولكنه أخفى
تساؤله فى داخله ، وهو يقول سنبذل قصارى جهدى يا سيد
(توماس) .

وهنا قال (بوكا) :

والآن ، وبعد هذه المشاورات .. كيف يمكننا الخروج من
هذا المأزق ؟ لقد أرسلت عشرات الإشارات اللاسلكية لتحديد
موقعنا ، وما من عجب .

أجاب (ياسل) :

ستعبر الأدغال إلى أقرب مكان مأهول .

هتف (أمين) :

نحبر ماذا ؟ ما أيسر القول وأصعب الفعل يا (ياسل) ..
الاتعلم ما يقولونه عن الأدغال بلاوى ؟

إنها مقبرة للمغامرين والقنايين .. كثيرون هم من حاولوا
اجتيازها ، وكلة نادرة من بقوا على قيد الحياة ، بعد أن فقدوا
عقولهم داخلها .

قال (ياسل) :

اسمع يا (أمين) .. لمست أدري ما يقولونه عن الأدغالكم
بالفعل . ولكننا لن نتوقف هنا ، فى انتظار من سيرسلهم
(أموند) هذا للتيقن من مصرعنا ، أو القضاء على ما تبقى
منا .. الحل للوحيد أمامنا هو أن نعبث الأدغال ، و ...

أدهشته تلك النظرة المذعورة فى عيني (أمين) ، فبئر
عبارته بقية ، واستدار يتطلع إلى ما يراه هذا الأخير ، ثم
اتسعت عيناه بدوره وهو يحرق فى تلك المخلوق الضخم ، الذى
راح يتطلع إليهم فى حذر وحشى ..

الغوريلا السوداء الرهيبة ..

★ ★ ★

٣ - الوحوش ..

سرت فشعريرة باردة في أجساد الجميع ، وهم يحقون في
للغوريلا السوداء المخيفة . التي حجتهم بدورها بنظرة باردة
قاسية قبل أن يتمم (أمين) بصوت مرتجف مرتعش :

رباه .. إلها ستفترسنا جميعا بلا رحمة .

أشار إليه (باسل) بالتزام للهدوء وهو يقول :

— الغوريلا ليست حيوانا مفترسا يا صديقي .. إنها في
المعتاد من أكلات العشب ، على الرغم من مظهرها المخيف .

قال (بوكا) في عصبية :

وهل تبدو لك كذلك ؟ هل تؤكد أنها لن نهاجمنا ؟

أجاب (باسل) : من الواضح أننا هبطنا في أرضها ، وهي

تسعى لتأكيد سيادتها ، وإرهابنا ، ودفعنا إلى مغادرة المكان .

ثم يكد يتم عبارته ، حتى أطلقت الغوريلا زمجرة مخيفة ،

ونقت صدرها بقبضتها في قوة ، فارتجف (أمين) رعبا ،

وشبهق (توماس) ، في حين قفز (بوكا) يختطف للمسدس

هاتفا في دعر :

— دع نظريتك هذه جاتينا يا سيد (باسل) .. لن تفهمها

الغوريلا .

أمسكه (باسل) في سرعة هتفا :

لا تطلق النار عليها .

ورفع يده في اللحظة الأخيرة ، وسببته تضغط على الزناد ،
فتطلق الرصاص عالي والصلب غصن الشجرة ، التي تقف
لمفلها للغوريلا ، فسقط على رأسها ، وجعلها تراجع مذعورة ،
وتطلق زمجرة أخرى ، ثم تعدو مبتعدة داخل الأدغال .

وفي غضب صاح (باسل) :

ماذا فعلت يا (بوكا) ؟

هتف (بوكا) :

لقد أبعتها .. ألم تر ما حدث ؟

صاح (باسل) . بل لقد أعنتت عن وجودنا بوسيلة واضحة

ومباشرة وصريحة . من المؤكد أن أي مخلوق يمكنه سماع

نوى الطلقة في الأدغال .

فهم (أمين) ما يضي (باسل) على الفور ، فاستمع وجهه

وهو يقول :

— رباه ! لو أن بعض رجال (أرموند) هنا

أسرع (باسل) يقول في انفعال :

فليكن .. لقد حدث ما حدث . دعونا نبتعد عن هنا بسرعة ..

هذا هو أملنا الوحيد .

قال (توماس) مرتجفا :

ولماذا عني أنا ؟

تطلع إليه ثلاثة في نصف وحيرة ، ثم قال (باسل) في حزم :

- حملك ومحاولة نقتك يؤثران سلبياً على إصابتك يا سيد (توماس) .. ولكن هناك وسيلة جيدة لحماية وأشار إلى (بوكا) قتلاً : ساعدني .

تعلمونا لننقله في حذر إلى منطقة كثيفة الأغصان ، وأخفاء (بابل) وسطها في اهتمام وغاية ، ثم ناوله الممسك . قتلاً : نحن نعرف موقعك ، وسنعود لالتقاطك . عندما ننجح في عبور الأدغال . وتلك الأغصان المحيطة بك صالحة للخل ، وهذا الممسك سيكمل لك شيئاً من الحماية .

أرما يرأسه مستسلماً في شحوب ثم قال : اللانسكي .. أحضروا جهاز اللانسكي من الطائرة . أحضر له (بوكا) ما أراد ، وهو يقف في سخط : وفهم سيفتلك هذا ؟

تجاهل (توماس) هذا القول تماماً ، وهو يقول (لبابل) في تفعل :

الحبيرة .. حائط عليها وعلى الوثائق .. هذا وحده يعمل نموتى فائدة .

أجابه (بابل) في حزم :

أعلم يا سيد (توماس) .. لقد وجدت .

وهنا قد دفع (أمين) لوجهما قتلاً في توتر :

هناك صوت سيارتك تقترب .

ثم أشار أمله مستطرداً :

- (بوكا) خذ السيد (أمين) وانطلقا عبر الأدغال ، في خط مستقيم وسألتك بك بعد قليل .

سأله (أمين) في قلق :

ولماذا لا تصحبنا ؟

صمت (بابل) لحظة ثم قال في حزم :

- ينبغي أولاً أن أحد حفل استقبال هؤلاء المجرمين ، الذين يطاردوننا .

وبدا لهم قوله غامضاً ..

غامضاً للغاية

★ ★ ★

لم يكده دوى الرصاصة يتردد في الأدغال ، حتى أشار (ماركوس) لرجاله وهتف في حزم :

- توقفوا .

توقفت السيارات على الفور ، وأرهف هو سمعه لحظات في

الاهتمام بالغ . قبل أن يقول في حزم :

هذا الاتجاه .

تطلعت السيارات مرة أخرى حيث أشار . وقال أحد الرجال في قلق :

هذا الصوت يأتي على مقربة من مخربنا الرئيسي .

تمتم (ماركوس) في توتر :

أعلم هذا .. ولكنها رصاصة منفردة . الأرجح أن أحد ركاب

الطائرة قد نجا ، وواجه أحد حيوانات الأدغال

سأله الرجل في دهشة :

هل يمكن أن ينجو من السقوط ؟

قال (ماركوس) في برود :

كل شيء محتمل .

لم تمض دقائق على قوله هذا ، حتى بلغت للسيارتان موضع الطائرة ، وقال (ماركوس) لرجاله في حزم :
- انحصروا الحطام جيداً .

أحاط الرجال بجسم الطائرة ، وراحوا يفحصونها بمنتهى الدقة ، في حين فحص (ماركوس) المنطقة نفسها في خبرة وحكمة قبل أن يرفع عينيه إلى الأمام قائلًا :
- عجباً !

لقد اتجهوا مباشرة إلى حيث مخزننا للرئيس .

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد :

هل تصدوا هذا أم ؟

لنى أحد رجاله في اللحظة نفسها قائلًا .

لم نعر على أية جثث أبهى للزعيم . واللاملكى مفقود ، كما أن خزان الوقود فارغ تمامًا .

تمتم (ماركوس) في غضب :

- إذن فقد نجوا جميعًا ، وخلو خزان الوقود أنفذهم من قفجار الطائرة ، وهم يحملون جهاز اللاسلكى الآن ، ويتجهون إلى المخزن للرئيس .

قال الرجل :

ومعهم مهندس أو بنديقة .

ازداد اعتقاد حاجبى (ماركوس) في شدة ، ثم هتف في صرامة :

هيا يا رجال .

قفز الجميع إلى السيارتين وصاح هو :

إلى المخزن الرئيسى مباشرة .

سأله الرجل ، وهم ينطلقون إلى حيث أشار :

ماذا تتوقع أبهى للزعيم ؟

أجابه (ماركوس) في حزم :

- لقد أخطئنا في اختيار طريقهم ، ولكن هذا يضعهم على أية حال ، بين المطرقة والسندان ، فلما أن نلحق بهم نقتنعهم نحن ، أو يصلوا إلى المخزن ، فيتكفل بهم حراسه هناك ، و ..
بتر عبارته فجأة ، وهو يتطلع إلى نقطة ما ، وهتف :
توقفوا .

ثم اتزع بندقيته بسرعة ، فسأله أحد رجاله :

ماذا هناك ؟

أشار إلى الأمام ، قائلًا :

إنه تلك العربى الذى قالوا : إنه كان داخل الطائرة .

وصوب بندقيته في إحكام شديد إلى حيث بدا ذلك النرى واضحًا ، وسط الأذغال ، واستطرد في سحرية :

- لقد اشتقت بالفعل للصيد .

قالها ، وضغط الزناد ، و ..

وأطلق النار على (بصل) .

★ ★ ★

لم يكد السيد (كوسكا) يستعيد وعيه ، ففى المستشفى
الملحق بمزرعته ، حتى هتف فى هلع وارتجاع :

(أمين) - ألقنوا ابنى (أمين) .

هرع إليه مساعده ، يهدئ من روعه ، وهو يقول :

اهدأ يا سيد (كوسكا) اهدأ .

هبا (كوسكا) جالسا على طرف فراشه وهو يقول :

- ماذا أصاب ابنى ؟ لقد سقطت به الطفرة .. ولونجا من

السقوط سيقتله (ماركوس) السفاح . ماذا نفعل ؟ - ماذا
نفعل ؟

قال مساعده فى قلق : يمكننا أن نرسل حملة من رجالنا ،
للبحث عن السيد (أمين) وإلقائه ، لو أنه ما زال على قيد
الحياة .

هز رأسه فى قوة وهو يقول :

- (أدموند) وزيابته لن يسمحوا لنا بهذا .. سيحصلون

لحمقت بكل قوتهم ، وربما قتلوا رجالنا عن آخرهم .

قال المساعد فى مراة :

وماذا لدينا لنفعله ، فى مواجهة كل هذا الشر يا سيد (كوسكا) ؟

هتف (كوسكا) فى انفعال :

- نبغ الرئيس . كلنا نعلم أنه لن يرضى أبداً بأفعال

(أدموند) ولا بوجود مخزن لتجارة السلاح فى قلب أدياننا .

قال المساعد فى حيرة :

ولكن كيف نصل إلى السيد الرئيس بهذه السرعة ؟

لجابه (كوسكا) فى حملن :

نطلب مقابلة عاجلة معه .

هز المساعد رأسه ، وقال :

- هذا سيستغرق يوماً كاملاً على الأقل لمراجعة إجراءات

الأمن ، وعمل التحريات اللازمة عنا ، وربما تم إسناد هذه

المهمة للسيد (أدموند) نفسه .

اتصت عينا (كوسكا) فى هلع عندما ذكر مساعده هذه

النقطة الأخيرة ، ثم لم يلبث هلعه هذا أن استحال إلى الغضب ،

وهو يقول :

ولكننى إن أترك ابنى تحت رحمتهم هكذا .

قلب مساعده كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

وماذا بيننا لنفعله ؟

اتعد حاجبا (كوسكا) فى شدة ، وهو يقول :

هناك حل آخر . لم يخطر ببال (أدموند) و (ماركوس)

قط .. هل هاسم وقوى .

ومع قوله ، بدت ملامحه شديدة للصرامة ..

وشديدة الحزم ..

سند (ماركوس) رصاصته فى إحكام شديد ، وأدرك منذ اللحظة الأولى أنه أصيب هدفه فى مقتل ، فهتف فى ظفر .

أصيته يا رجال .

ولكن الطريقة التى سقط بها الهدف ، أثارت الكثير من قلقه ، فلوح بيده قائلاً :

وبكن دعونا ننتقل إليه .

انطلقت السيارتان نحو البقعة ، التى أصيب (ماركوس) عندها هدفه ، وما إن بلغاها ، حتى قفز هذا الأخير من سيارته ، وأسرع يلحس المكين ، قبل أن يصيح فى مسخط شديد .

- إنه هدف زائف لقد وضع ذلك العربى زيه فوق غصن جاف ، ليلفت انتباهنا إليه .

ارتفع حاجبا أحد الرجال فى دهشة وهو يقول :

ولكن لماذا ؟

تراجع (ماركوس) وأدار عينيه حوله فى قلق وهو يقول :

لمست أدرى .. لقد أراد أن يجذبنا إلى هذا المكان باقذات ، أو ..

قبل أن يتم عيارته ، قطعته أحد رجاله ، هاتفاً :

الإطارات أيها اللزيم .. لقد نالت كلها .

استدار (ماركوس) فى حدة إلى إطارات السيارتين ، واعتقد حليجاء فى غضب هائل ، عندما رأى أنشوك التبقعت للحادة ، التى فرشها (باسل) فى المنطقة والتى اخترقت الإطارات واتلفتها كلها ، وصاح ثائراً :

٢١٤

ذلك العربى فعل بنا هذا .. اللويل له .

وأشار بيده .. مستطرداً :

دعونا ننتقل خلفه يا رجال .

سأله أحدهم فى حيرة :

فى أى اتجاه ؟

صمت لحظات ، وهو يهرش ثقته بسبيلته فى عصبية ، ثم

أشار إلى اتجاه المخزن ، وقال فى حزم :

هذا الاتجاه .

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقوا فيها على أقدامهم ،

لاستكمال المقاردة ، كان (أمين) يمال (بوكا) فى قلق شديد .

وهما ينطلقان ، عبر الأدغال :

نوى الرصاصات الذى سمعناه يلقى .. لاعتقد أنهم ظفروا

بصديق (باسل) ؟

هز (بوكا) رأسه نفياً ، وقال :

كلا .. لمست أعتقد هذا .. صديقك (باسل) هذا ثعلب حقيقى ..

وليس من السهل أن يظفر به .

سأله (أمين) متوتراً :

كيف تقصر صوت الطلقات إذن ؟

فتح (بوكا) فمه لتجيب ، ثم أطبقه فجأة ، مع اعتقاد

حليجيه ، وجذب (أمين) إلى منطقة متشابكة الأغصان ، قائلاً

فى صوت حازم خافت :

- لا تطلق بكلمة واحدة :

تكمش (بوكا) فى مقلقه فى صمت ، وإلى جواره (أمين) ،
الذى حيس انفسه فى شدة ، وارهدف سمعه ، ليمسح إلى
صوت الأغصان الخافت ، وهى تتكسر تحت قدمى شخص
يقرب ، ثم لم يلبث الشخص نفسه أن لاح أمامهما ، فاندفع
(بوكا) نحوه ، وانقض عليه فى عصف ، وتعلق بقلبه فقبض
ذلك الشخص على باقة (بوكا) وجذبه فى قوة ، فأدله فى
الهواء ، وألقاه أرضاً ، واستعد للانقضاض عليه قبل أن يهتف
فى دهشة :

أهو أنت يا (بوكا) ؟

لم يمانك (أمين) نفسه ، فاندفع من بين الأشجار ، هاتفاً :
- (بامل) .. صديقى العزيز .. لقد خدعتنى بهذا الزى
الذى ترتديه .. إنه يشبه زى رجال الجيش .

ابتسم (بامل) وهو يقول :

إنه كذلك يا صديقى .. كنت ارتديه فى إنشاء تدريبات الدفاع
لوطنى ، وهو صالح للمناطق الوعرة ، وكنت أحتفظ به فى
حقيبتى نهض (بوكا) ، وتلوه مرة ، قبل أن يسأله :
ولین زيك ؟

ابتسم (بامل) وقال :

صنعت به فخاً للمجرمين ، الذين يطاردوننا
ثم جنب صديقه ، وهو يستطرد :

وبهذه المناسبة ، لابد لنا أن نتحرك بسرعة كبيرة ، لقد
أنصت سيارتهم ، ولكنهم أكثر خبرة منا بهذه الأدغال .

هتف (أمين) :

من قال هذا ؟ هذه الأدغال هى موطنى الأصلى ، وموطن
أبائى وأجدادى .

ابتسم (بامل) وهو يقول :

قدنا وسطها إذن .

نفخ (أمين) صدره فى اعتداد ، وقال :

- قبعونى .

بدأ ركبهم الصغير يتقدم فى بطم ، عبر الأدغال الكثيفة ،
وهم يتجاوزون بعض الأغصان ، ويقفلون فوق الجذور
الضخمة ، ويدورون حول الجذوع ، حتى بلغوا منطقة شديدة
التشابك ، فقصم (أمين) :

فى هذه الظروف تساقى الأشجار ، ونعبرها إلى الجانب
الأخر . الذى يكون - فى المعتاد - قليل الكثافة .

قال (بامل) فى مرج :

فليكن يا صديقى .. نحن رهن إشارتك .

رفع (بوكا) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

عجباً ! كيف يمكنك أن تمزح ، فى موقف كهذا يا سيد

(بامل) ؟

ضحك (بامل) وهو يقول :

وفيم يفيد الحزن يا صديقي ؟
تسلى (بونا) الشجرة إلى جواره ، وهو يقول :

إنه لن يفيد ولكن ..
قاطعته فجأة شهقة (أمين) وهو يهتف :

انظروا .
استدار الاثنان إلى حيث يشير ، واتسعت عيونهما في شدة ،
فقد كانت أمامهما مفاجأة ..
مفجأة مذهشة ..

★ ★ ★

٤ - الرمح ..

حبس (توماس) أنفاسه ، واتكمش في مكمنه ، وهو
يراقب رجال (ماركوس) في أثناء فحصهم الطائرة المحطمة ،
وما إن ابتعدوا حتى تنفس الصعداء ، وهتف في خفوت :
حمدا لله .. تصورت لحظة أنهم سيهشرون على ، ويمزقوننى
إربا .

مضت دقائق على انصرافهم ، ثم انتفض جسده في عنف ،
مع نوى رصاصاتهم ، وتشبث بجهاز اللاسلكى ، هتفا :
يا لهم من سفاحين !

وفجأة ، استدار إلى جهاز الإرسال في انفعال ، وحدث فيه
لحظة ، قبل أن يقول فى توتر :
- لماذا لا أحاول ؟ من يدري ؟

راح يضبط الموجة ، معتصرا ذاكرته ، وأمسك بوق الجهاز ،
قللا :

- هنا (توماس جيفرى) مندوب الأمم المتحدة - أجب .
هنا (توماس جيفرى) ..

ظل يكرر النداء عدة مرات ، دون أن يتلقى جوابا ، ولكن
فجأة ، تنهأ إلى مسامعه صوت أقدام تتحرك ، على مقربة منه ،
فتوقف عن التكرار ، وأغلق الجهاز ، وعاد يحبس أنفاسه ،
وينكمش في مكمنه ، وهو يتمتم :

- رياه .. ما الذي جلبته لنفسى ؟

كن وقع الإقْدَم يتجه إليه مبشرة . فسرت فى جسده
شعريرة باردة . وتعنى من أعماقه الا يكشف للقادم مخباء .
و... وفجأة ، أطل عليه وجه غير مألوف ..

وجه زنجى . من قبائل الأدغال البدائية . بتلك قصيفات
على أنفه وجبهته ، يتطلع اليه بنظرة صامتة
وشهيق (تومس) فى ارتياح ، وهو يهتف :
لا .. لا .. للنجدة .. للنجدة ..

وربد ذلك الجزم فى الأدغال استغاثته ، ولكن ..
ما من مجيب ..

★ ★ ★

مضت دقيقة كاملة . و (بلسل) ورهيقاه يحدقون فى ذلك
المشهد المدهش أمامهم . قبل أن يفهم (بوكا) فى دهول :
- إله مخزن أسلحة .. بل جيش بأكمله .. مدافع ميدان .
وعربات مصفحة وديابات ، وطائرات هليكوبتر مقاتلة ، وقنابل
وأسلحة خفيفة .. إلها ترسلة كاملة .

عقد (بلسل) حاجبيه ، وقال :

يبدو أننا وقعنا على المخزن الرئيسى يا رفلى .

قال (أمين) فى توتر شديد :

دعونا نبتعد إذن . لقد القينا أنفسنا بين فكي الأسد

أمسك (بلسل) ذراعه فى قوة ، وهو يقول :

- التراجع الآن مستحيل . الأشرار خلفنا . وسيتجهون حتما
إلى هنا . ومنصطدم بهم مع تراجعنا .

قال (أمين) بعصبية :

ولتقدم أيضا مستحيل . لأن هذه اترسالة فى مواجهتنا

تدخل (بوكا) . قتلا :

لم لا تدور حول المكان ؟

أشار (بلسل) إلى المنطقة المجاورة ، وهو يقول :

- لأنهم أحسنوا لاختيار موقع وكرهم ، بحيث تحيط به
المستنقعات العميقة من الجانبين ، وتحيطه الأشجار الكثيفة من
الأسف والخلف .

وصمت لحظة مفكرا ، قبل أن يستطرد :

ولكن هناك ممرا احتمالا لصور كل هذه الآليات القتالية
الفضضة .

قال (بوكا) فى توتر .

عظيم .. ما رايك لو قضينا العمر كله فى البحث عن هذا
العمر ؟

تتهد (بلسل) ، وقال :

لو أنك ترفض التفكير ، فليس أمامنا سوى حل واحد

ملكه (أمين) فى لهفة :

ما هو ؟

أشار (بلسل) إلى مخزن الأسلحة ، وأجاب :

أن نهاجم هذا المكان ، ونستولى على طائرة هليكوبتر ،
تساعدنا على الفرار .

حقق الاثنان في وجهه في ذهول ، قبل أن يقول (أمين)
في حدة :

- هل تمزح في مثل هذه الظروف يا (بامل) ؟

هز (بامل) رأسه نقيًا ، وقال :

- مطلقًا . إنني أتحدث بواقعية شديدة .. من الواضح أننا

الآن في مؤخرة المخزن ، والطائرات على مسافة عشرة أمتار
منا ، ويقوم على حراستها رجل واحد ، يحمل مدفعًا آليًا ، وهو
لا يتوقع هجومنا بالتأكيد ، ولو أننا باعثناه ، واقتناه الوعي ،
قبل أن ينجح في إنذار الآخرين وتبنيهم ، فسيمكننا (بلان الله)
الاستيلاء على إحدى الطائرات ، والفرار بها من المكان كله .

وعلى الرغم من جنون الفكرة ، إلا أنها ، وفي هذه الظروف
بالذات ، بدت كأخر أمل في النجاة ، فتبادل (أمين) و (بوكا)
لقرة متوترة ، قبل أن يسال الأول :

وماذا سنفعل بالصبط ؟

ابتسم (بامل) وهو يقول :

سنشرح لكما خطتي .

كانت الخطة بسيطة للغاية ، ولقد وضعوها موضع التنفيذ
على الفور ، فتسلل (بامل) عبر الأغصان الكثيفة في خفة ،
وخلفه (أمين) و (بوكا) وهمس (بامل) للاخير :

- سننطلق في آن واحد .. أنت و (أمين) تتجهان إلى
الهليكوبتر الأولى ، وسلاحق بكما بعد سقوط الحارس .

وتوقف لحظة ليعيد دراسة المكان ، ثم هتف :

الآن .

وتطلق يحدو بكل قوته ، نحو حارس الطائرات ، الذي شعر
بوقع الأقدام التي تتجه إليه ، فاستدار بمدفعه في سرعة ، ولم
يكد بصره يقع على (بامل) حتى ارتفع حاجباه في دهشة ،
ورفع نحوه مدفعه ، هاتفا :

من أين أتيت أيها الـ ..

ولكن (بامل) قلز بكل قوته ، وقطع الأمتار المتبقية بوثبة
واحدة ، وركل المدفع الآلي من يد الرجل ، قائلا :

- مفجأة .. ليس كذلك ؟!

ثم هوى بقبضته اليمنى على فك الرجل ، وأعقب لكمته
بأخرى في معدته ، ثم شبك أصبعه ، وضرم قبضتيه ، وهوى
بهما مجتمعين على مؤخرة عنق الرجل ، الذي سقط كجوال
من الرمال ، دون أن يصدر منه أبهى صوت ..

وفي نفس الوقت الذي دار فيه هذا القتل السريع للخاطف ،
كان (بوكا) و (أمين) قد بلغا الهليكوبتر ، وقفزا داخلها .
ولختبر (بوكا) أقدامها وعصا قبليتها في سرعة ، حتى رأى
(بامل) يحدو نحوه ، وهو يقول :

- لمر المحركت بسرعة .. هيا .

ووثب بدوره داخل الهليكوبتر ، وهو يحصل المدفع الآلى
الذى تفرعه من الرجل .. و ..

وفجأة ، ظهر (ماركوس) ورجاله ، وقف هو فى صرامة :
أوقفهم يا رجال .. أريدكم أحياء .

اندفع الرجال نحو الهليكوبتر ، وهم يحملون مدافعهم الآتية ،
وقف (أمين) فى توتر شديد :

ارتفع بالهليكوبتر يا (بوكا) .. ارتفع .

صاح (بوكا) فى الهيار :

مستحيل يا سيد (أمين) .. مستحيل !

سأله (بابل) فى عصبية :

لماذا مستحيل ! لجنب عصا القيادة ، واضغط زررار المحرك ،

وسترتفع الهليكوبتر على الفور .

قال (بوكا) فى مودة بالمية :

لقد فعلت كل هذا ، ولكن الطائرة لم ترتفع ، لأن خزنها خال
من الوقود تماما .

الهار الأمل بقتة فى قلب (أمين) فشحبه وجهه ، وهو

ينكمش فى مقعده ، فى حين رفع (بابل) المدفع الآلى ، وقف :

.. فى هذه الحالة لا يصبح أماننا حل آخر .

ولقز خارج الهليكوبتر ، ليستيك مع (ماركوس) ورجاله ،

فى قتال عنيف ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى وجد فوهات المدافع

الآتية كلها مصوبة إليه ، وسمع (ماركوس) يقول فى مخزية :

انتهى الأمر يا فتى .. ليس لديك أنفى لمل فى النجاح .
كان (ماركوس) محقاً ، حتى إن (بابل) خفض فوهة
مدفعه ، وهو يقول فى حنى :

.. حسن يا رجل .. لقد ربحت المعركة .

سمع من خلفه صوتاً يقول بقتة :

كان هذا أمراً متوقفاً .

استدار (بابل) إلى القام الجديد ، ثم ارتفع حجباه فى
دهشة بالغة ..

فقد كان تلك القام هو الجنرال ..

الجنرال (أموند) بنفسه ..

★ ★ ★

امتنع وجه (بوكا) فى شدة وهو يحق فى وجه (أموند)
وتتم فى خطوات تقرب إلى الهمس :

المسحاح !

شحبه وجه (أمين) بدوره ، وهو يقول :

(أموند) نفسه .. مستحيل .

أما (بابل) فقد عقد ساعديه أمام صدره ، بعد أن ألقى

مدفعه ، وتطلع إلى (أموند) فى هدوء عجيب وهو يقول :

إن فقت الجنرال (أموند) لخطر رجل فى لدولة كلها .

أجابه (أموند) :

نعم يا فتى .. ولكنك لن تتمتع برؤيتى طويلاً ، لو أنك لم
تجيب عن أسئلتى .

سأله (بلسل) فى هدوء :
أية أسئلة ؟

لتعتقد حاجبا (أموند) فى شراسة ، وهو يقول :
أين (توماس) ؟ وأين الوثائق التى كان يحملها ؟
قال (بلسل) : من توماس هذا ؟ صاح (أموند) فى غضب :
هل تسخر منى أيها العربى ؟ ألا تترك ما يعنىنى إن أقطه بك ؟

هزأ (بلسل) كتله فى لامبالاة ، وقال :
لفعل ما يحلو لك ، ولكنك إن تحصل منى على حرف واحد .
لقد وعدت الرجل ، وإن أحنث بوعدى قط .
هتف (أموند) فى استنكار :
وعد ؟ أى قول هذا يا فتى ؟ هل تموت من أجل وعد قطعته على نفسك ؟

لجبه (بلسل) فى حزم حاسم :
بالطبع .. العربى لا يحنث بوعده قط .
قال (ماركوس) :

- دعنى أقتله يا جنرال ، وسيلنى صديقه باعتراف مفصل على الفور .
تبادل (أموند) نظرة متحدية مع (بلسل) ، ثم لوح بكفه ، قائلا :

- فعل يا رجل .. إنه يستحق هذا

برقت عينا (ماركوس) فى وحشية ، وهو يقول :
أشكرك يا جنرال .. أشكرك كثيرا .

ولرتجف جسدا (أمين) و (بوك) فى عنف ، عندما
الصى (ماركوس) مسدسه بصدغ (بلسل) ، قائلا :
قل وداعا لهذه الدنيا ، أيها الفتى العربى .
كان يحتاج إلى ثلثية واحدة ، ليقتصر الزناد ، وينسف رأس
(بلسل) .

ولكنه لم يحصل عليها ..

لقد اخترق صدره بفتة رمح طويل ، برز من ظهره ، فى
موضع القلب تماما فجحطت عينه ، وهوى جثة هامدة على
الفور ..

وفى اللحظة الثقتية ، كان جيش من القبائل الإفريقية البدائية
ينقض على المخزن ، ويمطر حراسه بالرماح والسهم ، على
نحو مباغت عنيف ..

وتعجب منه ، وعلى الرغم من قمدافع الآلية ، التى يحملها
رجال (أموند) ، إلا أنهم انهزموا شر هزيمة ، أمام ذلك
تجيش البدائى ، فيما عدا (أموند) نفسه ، الذى انطلق يعدو
مبتعدا ، واقترع مسدسا صارخا :

لا . ابتعدوا عنى . أنا (أموند) الجنرال (أموند)

ولكن (باسل) لحق به بفكرة سريعة ، وجذبه إليه ، قفلاً :
لا تذكر هذا كثيراً ، فقد أفل نجمك .

استدار (أموند) ليواجهه . وهو يحمل مسنسه ، ولكن
(باسل) أطاح بالمسدس بضربة قوية محكمة فى يصره ، ثم
هو على فك (أموند) بكلمة كالقبيلة يمينه ، وهو يستطرد :
- ولكل شيء نهاية .

ترجع (أموند) مع الضربة ، ثم تقض مرة ثالثة على
(باسل) ، صارخاً :

لا يمكنك أن تفعل هذا بى أنا الجبل (أموند) .. أعظم
رجل فى الدولة ،

أمسك (باسل) معصمه فى خفة ، ولوى نراعه خلف ظهره
فى حركة سريعة ، وهو يقول :
- العظمة لله وحده أيها المكابر ، أما البشر فالزوال هو
مصيرهم .

ولكن (أموند) انتزع من جيبه فجأة قبلة يدوية ، جذب
فأولها بأسسه ، وهو يصرخ كالمجنون :

فلنكن . لو أثنى ساموت ، فلن أنوق قموت وحدى .
ولكن (باسل) انتزع منه القبلة فى قوة ، وألقاها بكل
قوته نحو المستنقع ، الذى يحيط بالمخزن ، قفلاً ومن سينحك
الفرصة للفعل ؟

تفحرت القبلة فى قلب المستنقع بنوى مكتوم . وأنهار
(أموند) ، وهو يهتف :

- مستحيل ! مستحيل ! أنا رجل للدولة القوي .. أنا الأقوى .
دفعه (باسل) لأمله ، وهو يقول .

لم تعد كذلك يا رجل . لقد تخلصت من الحقيقة ، ولغنتنى
لأعمل فى جيبى كمية من الوثائق والألمنة ، تكفى لإعدامك كخائن
لبلدك .
وهنا ارتفع صوت يهتف :

راجع يا فتى . كنت أعلم فك أهل لها .
التفت (باسل) بسرعة إلى مصدر الصوت ، وأدهشه أن
يجد (توماس) أمامه ، فوق حفرة مريحة ، بين عدد من
البدائيين ، فصاح به :

سيد (توماس) ! ماذا تفعل هنا ؟
أجابه (توماس) فى سعادة وهو يشير إلى البدائيين .
هؤلاء الأبطال تقنوني ، وحملوني إلى هنا .. صدقتى
يا فتى .. إنهم أكثر أهل المنطقة تحضراً .

ظهر (أمين) ، وهو يهتف فى سعادة وزهو .
إنهم أهلى يا (باسل) .. قبيلة والدى . فتى نشأ فيها ،
ويتنسب إليها .

رفع (باسل) حاجبيه ، وهو يهتف :

جاء (كوسك) من خلف إينه ، وأحاط كتفه بذراعه في حنان وفخر ، وهو يقول :

- لعم أيها العربي . هؤلاء قومي . لقد نجأت إليهم ، عندما شعرت باليأس من كل هذا . وهكت ذاك ترى ما قطعوه . لقد حرروا جميعاً . فعلوا ما عجز عنه جيشنا . انتزعوا الشر من جذوره .

وأضاف (بوكا) في سعادة :

- الأعظم لهم اتصلوا بالرئيس مباشرة ، وأبلغوه بالأمر كله . وهناك فرقة من الحرس الجمهوري في طريقها لى هنا الآن . انهار (أموند) تماماً ، وهو يستمع إلى كل هذا ، وراح يردد في مرارة .

- مستحيل ! مستحيل أن يحدث لى كل هذا .. لنا (أموند)

لنا الأقوى .. أت كل شيء في هذا الممكن .

مط (كوسكا) شفتيه ، وهو يقول :

ممكن .. لقد أصيب بالجنون .

ولكن (أموند) صرخ :

لا .. لست مجنوناً . أنا الجبرال (أموند) لنا أقوى رجل في البلاد .

وظل يردد هذه الصرخات ، حتى وصل رجال الحرس

لجمهوري ، وأحاطوا معصيه بالأغلال ، ليظنوا انتهاء عصر الجنرال (أموند) ..

عصر السفاح ..

★ ★ ★

صافح (أمين) صديقه (بامل) في حرارة شديدة ، في مطار العاصمة ، وهو يقول :

- أرجو أن تكون مزرعتنا قد راقت لك يا (بامل) . صديقى .. زيارتك لك كانت أفضل ما أصابنا هذا العام .. لقد حررتنا من خوف ثقيل ، وقضيت على الحائن ، وفتحت أبواب الأمل من جديد .

أجاب (بامل) :

- وهى أفضل رحلاتى أيضاً يا صديقى .. لقد التقيت بك خلالها ، وزرت مزرعتكم ، وقابلت رئيس الجمهورية نفسه ، وحصلت منه على وسام الشجاعة . إنها رحلة رائعة بالفعل . ابتسم (أمين) ، وهو يقول :

- عد علينا مرة أخرى يا (بامل) ، بعد عام واحد ، وستجد أن أشياء كثيرة قد تغيرت ، بعد ما فعلت .

قال (بامل) ، وهو يبادلته ابتسامته :

- إنها مشينة الله يا صديقى . قدر الله ، وما شاء فعل . وعندما حلقت طائرة (بامل) ، عائدة به إلى وطنه ، كانت

رواية محمد المصطفى

(قصة العدد)

المواجهة الأولى



سيرة نازوق

المؤسسة العربية الجديدة

مطبعة
في بيروت - لبنان

عينا صديقه (أمين) مفروقتين بالدموع ، وهو يودع صديقه
العريس ، الذي كان له أكبر الأثر ، في القضاء على هؤلاء
الوحوش ، الذين هددوا طويلا أمن وطنه ..
وحوش الأعداء ..
الحقيقيين .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) . ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) حرف (المون)، يعنى انه فئة نادرة، أم للرقم (واحد) فيعنى انه الاول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص . فهو يجيد استخدام جميع أنواع الاسلحة، من المسمم إلى قاذفة القنابل. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إيجائه التامة لسبب لغات حية، وبراعته الفالقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقبادة السيارات والطائرات. وحتى الفواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة. لقد اجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى من (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة تلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. تيميل فاروق

سلسلة روايات رجل المستحيل

روايات بوليسية تشااب راحمة بالأحداث المشوقة

المواجهة الأولى

قصة العدد

يقلم

د. تيميل فاروق

المؤسسة العربية للدراسات
والبحوث

1997/1998

1997

١- ذكريات ..

التقط (قدرى) : خبر التزييف والتزوير فى المخبرات العامة المصرية نفساً صيقاً ، وهو يحرك أصابعه فى الهواء ، ليكسبها الخفة والمرونة اللزمتين . قبل أن يلتقط مفكاً دقيقاً من أمامه ، ثم ينحن ليحكم رباط مسمار صغير للغاية ، فى آلة تصوير إلكترونية جديدة ، وهو يضمم :

- هذا عيب الأجهزة الحديثة . أى خطأ بسيط يفسد الأمور كلها .

انتهى من إصلاح آلة التصوير فى سرعة ومهارة مدهشتين . ثم راح يثبت فى موضعها ، ويوجهها نحو بطاقة من بطاقات الهوية . للخاصة بجهاز (الموساد) الإسرائيلى ، والتي يدعون أنها غير قابلة للتزوير . قبل أن ينقل صورتها إلى شاشة الكمبيوتر ، ويعمل على تكبيرها ، وهو يفحص كل سنتيمتر فيها باهتمام بالغ ، و ..

وفجأة ، سمع تلك الطرقات ، على باب معمله الصغير ، فمط شفتيه ، قاتلاً :

- ادخل .

كان منهما فى فحص بطاقة (الموساد) ، عنص سمع قلباً يفتح ، ووقع أقدم يقترب منه فى هدوء ، ورفع عينيه إلى صاحبها ، قاتلاً :

- قرى ما الذى ..

قبل أن يتم عبارته ، وقع بصره على وجه القادم ، فتهاوت أسنانه ، وهتف فى سعادة غامرة ، وهو يهب من مقعده فى حماسة :

- (أدهم) !؟ هذا لله على سلامتك .

صاحبه (أدهم صبرى) فى حرارة ، وهو يقول :

- كيف حالك يا صديقى . مضت فترة طويلة ، منذ التقينا آخر مرة -

ربت (قدرى) على كتفيه فى سعادة بالغة ، قاتلاً بابتسامة عريضة :

- آنا هنا دائماً يا رجل .. أنت الذى لم يعد يستقر فى (مصر) إلا لملأ .

ابتسم (أدهم) ، وهو يجذب مقعداً ، ويجلس قاتلاً .

- كنت تعلم حتميات الأمور يا صديقى ! فالصراع لا ينتهى

أبداً ، مع أجهزة المخابرات الأخرى ، ومنظمات الجوسوسية ، وحتى بعض المنظمات الإجرامية ، التى وجدت فى التجسس وسرقة المعلومات مجاًلاً غنياً ، وسيلة للثراء الفاحش .

بعض النظر عما يؤدي إليه هذا من كوارث وحروب دموية رهبة .

ريت (قدرى) على كتفه مرة أخرى ، مضطجاً :

- كان الله (سبحانه وتعالى) فى عونكم جميعاً .

ألقى (لاهم) نظرة على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يسأله :

- إنها واحدة من بطاقات (الموساد) .. ليس كذلك ؟!

أوماً (قدرى) برأسه ، قائلاً :

- بنى - إتنى أخصصها جيداً ، تمهيداً لصنع نسخ مطابقة

منها .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- يقولون : إنها غير قابلة للتزوير أو التقليد .

فهقه (قدرى) ضاحكاً ، وهو يجيب :

- لا تصنق كل ما تسمعه يا صديقى كل شيء قابل للتقليد .

المهم أن تمتلك المهارة والتكنولوجيا اللزمتين

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :

- ثم إنه من المحتم أن تبذل قصارى جهدنا لتقليدها ، حتى

نستفيد بهذا فى عمليات قائمة .. أليس كذلك ؟!

التصمت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

عاد (قدرى) إلى فحص الهوية ، وهو يسأله :

- كيف كانت مواجهتك الأخيرة مع (الموساد) ؟!

أجابه (لاهم) بابتسامة هائلة .

- جيدة .

كان (قدرى) يدرك جيداً أن (لاهم) لن يفتح عن

تفاصيل مهمته أبداً ، حتى مع قوة صداقته وارتباطهم . لذا

فقد ابتسم . وهو يواصل فحص الهوية فى اهتمام ، قائلاً :

- من المؤكد أنها كانت تختلف تمامًا عن مواجهتك الأولى

معه ، عندما التحقت بالمخابرات العلمية (*) .

ترنث (لاهم) لحظة ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً :

- الواقع أنها لم تكن مواجهتى الأولى معهم .

تصمت ابتسامة (قدرى) ، وهو يقول :

- آه . فهمت . أنت تقصد أن تلك المواجهة الأولى كانت

أيام عملك ، فى القوات الخاصة ، قبل انضمامك رسمياً إلى

جهاز المخابرات (*) ، أليس كذلك ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يهز كتفيه ، ويبتسم ، قائلاً .

- الواقع أن تلك أيضاً ليست مواجهتى الأولى مع

(الموساد) .

(*) راجع قصة (خط قلب) للمعامرة رقم ٣٢ ، من سلسلة (رجل

المستحيل)

(***) راجع قصة (الخطوة الأولى) للمعامرة رقم ٣١ ، من سلسلة

(رجل المستحيل)

توقف (قدرى) عن عمله ، والتفت إليه فى دهشة ، قائلًا :
- ليست موجهتك الأولى مع (الموساد) ؟ متى كنت تلك
للمواجهة الأولى ؟

تسعت بتسعة (لدهم) ، وهو يلوح بيده ، قائلًا :
- قبل ذلك بكثير .

تضاعت دهشة (قدرى) ، وهو يحنق فى وجهه ، ثم لم
يلبث أن مال نحوه ، ولشاز بيده ، قائلًا :

- قل لى يا رجل : أهلك شيء لا أعلمه فى هذا الشأن ؟

أطلق (لدهم) ضحكة قصيرة ، قبل أن يجيب :
- الواقع أن أحدًا لا يعلمه سوى .

أراح (قدرى) هوية (الموساد) بعيدًا ، وهو يستدل
لبوجهه فى لهفة وفضول ، متسائلًا :

- أهو شيء يمكنك أن ترويّه لى ؟

صمت (لدهم) بضع لحظات أخرى ، وهو يتطلع إلى عيسى
(قدرى) مباشرة ، وبدأ من الواضح أنه يترجم الأمر فى رأسه
جيدًا ، قبل أن يستعيد لبسسته ، قائلًا .

- باتأكد يا صديقى .. من يمكننى أن أتمنه على ذكريتى
مواك .

هتف (قدرى) فى حماسة :

- عظيم .. كلّى أذان مصغية .

لجابه (لدهم) :

- فليكن يا صديقى ، ولكنتى واثق من أن ما سأخبرك به
سيدعشك حتمًا .

سأله (قدرى) فى لهفة :

- هل كنت المواجهة عنيفة إلى هذا الحد ؟

هز (لدهم) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- ليست هذه هى المشكلة .. إنها الفترة ، التى حدثت فيها
هذه المواجهة .

سأله (قدرى) فى فضول شديد :

- ولماذا ؟

نهض (لدهم) من مقعده ، وراح يتحرك فى معمل (قدرى)
الصغير فى هدوء ، وهو يقول :

- كنت تعلم أن والدى (رحمه الله) قد أخضعنى لتجربة

خلسة منذ طفولتى ، عندما قرّر أن يصنع منى رجل مخبرات
مثاليًا ، فقد بدأ يدربنى على أعمال المخبرات ، منذ كنت فى

الثلاثة من عمرى ، وكان هدفه أن أجيد مهارات متعددة بلا حدود ،
عندما أبلغ الخامسة والعشرين من عمرى^(*) . ولأن إجادة عدد

من اللغات الحية ، كان أحد أهداف التدريب ، فقد اعتاد والدى

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) العدد رقم ٢٠ ، من سلسلة (رجل
مستحيل)

أن يصحبنى معه . فى رحلاته المتعددة ، إلى دول للعالم
المختلفة ، كوسيلة للاندماج مع تلك المجتمعات . واكتساب
لهجتها المحلية ، ومعرفة عاداتها وتقاليدها .
ثم صعدت لحظة ، شرد بصره خلالها ، وكأما يستعيد
ذكرياته البعيدة ، قبل أن يتابع :

- وفى تلك المرة ، سافرت بصحبته إلى (باريس) .
وترافقت على شفتيه ابتسامة شاردة . وهو يكمل :
- كنت حينذاك فى السابعة عشرة من عمري .
هفت (قدرى) :

- يا إلهي ! هل حدثت مولجتهك الأولى مع (الموساد) .
وأنت بعد فى ذلك العمر .
التفت إليه (أدهم) ، وأشار بسبأته ، وهو يتسم مجينا .
- بالضبط .

تصمت عينا (قدرى) عن آخرهما ، وهو يحتق فيه بذهول ،
قبل أن يهتف بكل حماسة ولهفة الدنيا ، وهو يقفز من مقعده :
- لا يمكننى الانتظار أكثر . قص على ما حدث يا (أدهم)
بأنه عليك .

بدت عينا (أدهم) شاردين بضع لحظات ، بعد أن هتف
(قدرى) بعبارته . وكأما يستعيد كل تلك التفاصيل ، ثم لم يلبث
أن استعاد اهتمامه ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

قلها . وعاد إلى مقعده المواجه لصديقه (قدرى) ، وأخذ
يروى قصة مولجته الأولى مع (الموساد) .
ويكل التفاصيل .

★ ★ ★

« ها هي ذى (باريس) يا (أدهم) .. »

نطق (صبرى) ، رجل للمخابرات المصرى العبارة ، وهو
يربّت على كتف ابنه (أدهم) ، وسيارة السفارة المصرية
تتطلق بهما من المطار ، فى طريقها إلى مبنى السفارة ، فى
قلب للعاصمة الفرنسية ، فأجابه ابنه فى هدوء رصين ، بفوق
عمره بعدة سنوات :

- إننى أحفظها عن ظهر قلب .

ابتسم (صبرى) ، وهو يقول :

- تحفظها من الناحية النظرية فحسب يا ولدى . لقد شاهدت
عنها عشرات الأعلام التسجيلية والروائية ، وتحفظ خريطتها
عن ظهر قلب .. أسماء للشوارع ، والمباني ، وحتى المتاجر
الشهيرة ، ولقد اجتزت الاختبارات المتقدمة للغة الفرنسية
بنجاح مدھش . ولكن كل هذا يحتاج إلى ما نطلق عليه اسم
(التدريب الصلى) ، وهذا يعنى أن تتطلق فى شوارع (باريس)
الحقيقية . وأن تحب فيها كما يحيا أهلها . تتحدث بلسانهم ،

ويتنظر بعينهم ، وتسمع بأذانهم .. هذا وحده يجعك قادراً على القول بأنك تحفظ (باريس) عن ظهر قلب . هل تفهم ما أعنيه ؟

تطلع للشباب إلى المدينة ، عبر نافذة السيارة ، وهو يغمغم :
- بالتاكيد يا أبى .. بالتاكيد .

لنقسم والده ، وهو يرتك على كتفه مرة أخرى ، ثم استرخى في مقعده ، قليلاً في حزم ، وكلما يصدر أول مرة إلى أحد رجاله :

- عندما نبلغ السفرة ، سنفترق عند مدخلها ، فسادخلها كما للقيام بعملى مع الملحق العسكرى ، أما أنت ، فاتطلق لى قلب (باريس) ، ونفذ ما أكرهتك به .

سأله (آدم) فى رصنة :

- ومتى يلبقى أن أعود ؟

أجابته فى حزم :

- سنستقل القطار إلى (مارسيليا) صباح الغد .

أوما (آدم) برأسه متفهماً ، وعاد يتطلع إلى المدينة فى اهتمام ، فتابع والده :

- لهمم ألا تتورط فى أية مشكلات .

غمغم (آدم) :

- بالتاكيد .

لم يتبادلا كلمة إضافية ، حتى بلغت السيارة مبنى السفارة المصرية . فأشار (صبرى) إلى السائق بالتوقف ، ثم التفت إلى أبنته ، قائلاً :

- تذكر .. القطار سينطلق إلى (مارسيليا) فى الخامسة من صباح الغد .

لنقسم (آدم) ، وأوما برأسه متفهماً ، ثم نمن كفيه فى جيب سترته الجلدية ، وغادر السيارة . واتطلق بخطوات واسعة سريعة فى شوارع العاصمة الفرنسية ..
(باريس) .

كان يشعر بشغف شديد ، ولهفة غير مسبوقة . وهو بجول فى تلك الشوارع والطرق ، التى يحفظ مساراتها وأسمائها عن ظهر قلب ، دون أن يراها ولو مرة واحدة ..

وبعقلية نادرة مدهشة ، راح يستبدل كل ما حفظه من معلومات نظرية بما يملأ به عقله من معلومات حية جديدة ، وهو يتحرك فى سُرعة عبر العاصمة الفرنسية ، وكأنما يرغب فى التهام أكبر قدر ممكن منها . قبل أن يضطر إلى العودة ، خاصة وأن الشمس قد بدأت رحلة المغيب بالفعل ، لتضاعف من روعة وجمال المشهد ..

وأخيراً ، ومع أضواء الغروب الأخيرة ، وصل إلى ما تمنى رؤيته ، منذ هبطت الطائرة بوالده وبه فى (باريس) ..

برج (إيفل) (*) ..

وفى أنهار ، راح يملأ عينيه وعقله وكيته كله بذلك
المشهد الفريد للبرج ، والشمس تحضر فى الأفق من خلفه ،
وأخذ عقله يحصى الساعات القليلة المتبقية ، على موعد
رحيلهم إلى (مرسيليا) . ويتساءل عما إذا كان الوقت
سيسمح له بمشاهدة كل ما حلم برؤيته فى (باريس) ، أم أنه
سيضطر إلى تركها ، قبل أن يشبع كيته منها .

وكرد فعل تلقائى لتدريبته الطويلة ، راح عقله يدرس
ويحفظ كل ما حوله ، وأطلقت أذناه تلتقط كل ما يمر به من
أحداث ، ليتشرب اللهجت الفرنسية ، ويضمها ، ويزيد بها
خبراته الصيقة ، على الرغم من سنوات عمره القليلة ، التى لم
تتجاوز الأھولم السبعة عشر بعد ..

كان الأمر يختلف تماماً عن سماع شرائط اللغة الفرنسية ،
أو مشاهدة الأفلام الروائية الطويلة ، أو ..

توقفت أفكاره كلها بغتة ، وأتشجنت حوسه كلها دفعة

(*) برج (إيفل) بعد شهر معلم (باريس) السيلحية ، التى يسعى
للبها كل زائر للعاصمة الفرنسية ، وهو برج تم صنعه بالقصر من الصليب .
باستثناء قواعده ، ولقد صنعه وأشرف على تنفيذه المهندس الفرنسى
(ألكسندر جوستاف إيفل) (١٨٣٢ - ١٩٢٣ م) وبنع ارتفاعه حوالى ٣٢٨ م
ولقيمت صدقته محطة للأرصاد الجوية ، وفخرى لاسلكية

واحدة ، عندما تملأ إلى أذنيه بلا مقدمات حديث هامس ، يدور
بين رجلين ، مرّاً إلى جواره لحظة واحدة ..

وبكل مشاعره ، التفت يلقى عليهما نظرة طويلة صيقة ..
هذا لأن تلك الحديث الهامس ، الذى التقطت أذناه منه
عبارة واحدة ، لم يكن يدور باللغة الفرنسية ، التى قطع كل هذه
المسافة ليرسها ويهضمها ..

بل كان يدور بلغة أخرى تملأ ..

باللغة العبرية ..

اللغة الرسمية الإسرائيلية ، التى أصر والده على تلقينها
لباها ، مؤكدا أنها اللغة الأولى ، التى لا بد وأن يجيدها كل
رجل مخبرات مصرى وعربى ..
ولكن طبيعة اللغة لم تكن تكفى وحدها لإثارة انفعاله على
هذا النحو ..

لولا العبارة التى سمع أحد الرجلين يهمن بها لزميله
العبارة التى ميز منها كلمتين ، تكفيان لجذب كل اهتمامه ..
كلمة (فلسطين) ..
وكلمة (اغتيال) ..

ودون أن يتروك لحظة واحدة ، انطلق (أدهم) خلف
الرجلين ، دون أن يلقى نظرة إضافية واحدة على برج (إيفل) ،
الذى عاش بحلم برؤيته طويلا .

شيء ما في أعماقه ، جعته وثقاً من أن هذين الرجلين
يسعيان لاغتتيال شخصية فلسطينية ، تصاب في (بريس) ، أو
تزورها في الوقت الحالى على الأقل .

لذا فقد راح يتبعهما في اهتمام حذر ، وهما يواصلان
حوارهما الهامس ، قبل أن يشير أحدهما لزمينه ، الذى تقصص
عنه في مرعة ، وقطع الطريق ، عند منطقة عبور المشاة ،
إلى الجانب الآخر ، حيث توقف بعض السياح ، لالتقاط صور
الغروب مع الهرج ..

وأدار (أدهم) بصره بين الرجلين في توتر ، وهو يتساءل :
ليهما ينهى أن يتتبع ؟! ذلك الذى يواصل طريقه - لم الذى عبر
الطريق ؟!

وقبل أن يحار في تخلا قراره طويلاً ، لنتبه إلى أن الرجلين
يتابعان ببصرهما رجلاً هادئ الملامح ، يرتدى حلة بسيطة ،
ويسير في رصانة واضحة ، عند الجانب الآخر من الطريق ،
الذى انتقل إليه الرجل الثانى ..

وينظرة واحدة ، تعرف (أدهم) ذلك الرجل الرصين على
الفور .

نقد شاهد صورته ، في أحد ملفات ولده ، منذ عدة أسابيع ،
ويعلم أنه أحد كبار الممولين ، في منظمة التحرير الفلسطينية ،
الذين تسعى (إسرائيل) للقضاء عليهم ، منذ زمن طويل ،
بعد ما تجشمتهم بسببهم من خسران فادحة ..

وهذا لم يعد لديه أننى شك ..
بقها عملية اغتيال منظمة .

وزلا (أدهم) من سرعة خطواته ، وهو يتحرك نحو الرجل
الأول ، الذى توقف ، وراح يتابع الفلسطينى في اهتمام ، ويده
تدس خلف سترته ، على نحو يوحى بأنه يلتقط مسدسه ، فى
حين تحرك الثانى ، على الطرف الآخر للطريق ، وكأنه يهم
باعتراض سهيل للرجل ..

ولندفع (أدهم) بكل قوته ، نحو الرجل الأول ، وهو يسحب
مسدسه في حذر ، ثم وثب ليرتطم به فى عنف ، على نحو
مباغت ، اختل معه توازن الرجل ، وسقط أرضاً فى قوة ، وهو
يطلق سبائلاً منخفاً ، لم ينتظر (أدهم) ليمسحه ، وهو يعدو
بكل قوته عبر الطريق ، متجاهلاً أبواق السيارات الغاضبة
المعترضة ، وصيرير بطرات السيارات ، التى توقفت فى اللحظة
الاخيرة ، قبل أن ترتطم به .

ومع ذلك الهرج المفاجئ ، استدار العارة كلهم إلى ما يحدث ،
ولرقت حوليهم فى دهشة ، مع مشهد (أدهم) ، وهو يثب
عبر مقنعة إحدى السيارات ، ويدور حول مقنعة سيارة أخرى ،
توقف صاحبها بصعوبة ، ثم يتدفع كالمصاروخ نحو الإمبراطلى
الثانى ، الذى تراجع فى شيء من الدهشة ، وسحب مسدسه ،
هاتفاً :

.. ما الذي ..

قبل أن يتم عبارته ، كان (أدهم) يشب نحوه كالقهد ، ويكيل
له لكمة كالقنبلة ، اضحت به مترين إلى الحلف ، قبل أن يسقط
على ظهره وسط المارة .

وقبل حتى أن يستوعب الجميع الامر ، كان (أدهم) يندفع
نحو المسئول الفلسطيني ، هاتفاً :

.. أسرع يا رجل .. إنهم هنا لاغتيالك .

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما ، وهو يهتف بدهشة باللغة :

.. اغتيلى أنا ؟!

ولما لم يكن هناك مجال للشرح والتفسير ، فقد جذب (أدهم)
يد الرجل ، وهو يدعو بكل قوته ، هاتفاً في حزم يفوق عمره
بسنوات وسنوات :

.. أسرع أولاً ، وستحدث فيما بعد .

انطلق الاثنان يحدوان ، في شوارع (باريم) ، في حين
هتف أحد الرجلين لزميله بعبرة عبرية ، قبل أن يطلق صف
خلفهما ، وكل منهما يسحب مسدسه ، المزود بكاتم للصوت ،
في نفس اللحظة التي تحركت فيها سيارة سوداء كبيرة ، من
نهاية الشارع ، لتطلق بدورها خلف (أدهم) ورفيقه
الفلسطيني ..

وانطلقت صرخات بعض المارة في الشارع ، مع تلك



واندفع (أدهم) بكل قوته ، نحو الرجل الأول ، وهو يسحب مسدسه من
حذو ، ثم وثب ، ليرتطم به من عطف .

المطرودة ، فى حيز راح عقل (أدهم) يسترجع خريطة (باريس) فى سرعة مذهشة ، ويحذّر موقعه الحالى منها . محاولاً تمييز مبنى بعينه ، كان يحمل علامة خاصة . فى الخريطة التى حفظها عن ظهر قلب .

مبى له مدخل أمامى ، يطل على هذا الشارع ، واخر خلفى ، أسفل سلمه ، يقود إلى شارع جنبى ضيق .. وفجأة ، لمحت عيناه المبنى ..

وفى نفس اللحظة ، توقفت تلك السيارة للموداء الكبيرة أمامه ، وانفتح بابها الخلفى بحركة حادة . وقفز منه رجل ضخّم الجثة ، أصلع الرأس ، هتف فى صرامة ، بنّقة فرنسية منمّية ، وهو يستلّ معبداً مشابهاً ، مزوّداً أيضاً بكتف للصوت ، ويشير للفلسطينى :

- ابتعد يا ولد ، ولا تورط نفسك فى الأمر .. إنا نريد هذا وثب (أدهم) بنّقة ، مع الحروف الأخيرة لكلمات الرجل ، وركل المعبد من يده فى قوة ، وهو يهتف .
- غدنا معاً ، أو نتركنا معاً .

وانقضّ الفلسطينى بدوره على الأصلع ، وكال له لكمة كالقنبلة ، هاتفاً :

- هل سمعت ما قاله الفتى ؟!

كانت اللكمة من القوة ، حتى إنها ألقت الأصلع خلفاً فى

قوة ، فارتطم بالمسيارة ، ثم ارتدّ إلى الأمام ، ليستقبله (أدهم) بكلمة أخرى ، جعلته يرتطم هذه المرة بسائق السيارة ، الذى حاول الخروج لتجديته ..

وقبل أن يسقط الاثنان أرضاً ، أو يصل زميلاهما ، تطلق (أدهم) ورفيقه عدوان عبر الشارع ، والأول يشير إلى تلك المبنى المتميّز ، هاتفاً :

- اتبعنى .

عبرا للشارع بسرعة كبيرة ، واتطلق الرجلان خلفهما ، ولحدهما يصيح بزميله بالعبرية :

- ما دام الفتى مصراً .. اتقلها معاً .

وعلى الرغم من وجود كاتم الصوت ، المزوّدة به مسدسات رجال (الموسد) ، شعر (أدهم) برصاصة تمرق على مسافة منتمترات قليلة من لئنه ، وسمع آهة ألم ، أطلقها الفلسطينى ، فهتف ، وهو يحثه على الجرى أكثر وأكثر :

- تمسك يا رجل .. تمسك لثانيتين لصاحبتين فحسب . هتف به الفلسطينى ، وهو يلهث فى قوة :

- لا تقلق نفسك بشئى .

بلغا مدخل تلك المنزل المتميّز ، فى نفس اللحظة التى أصيب فيها بإطاره برصاصة أخرى ، من رصاصات رجال (الموسد) ، قوثبا داخله ، و (أدهم) يهتف :

- لا تتجه نحو السلم .. هناك مخرج خلفي -

تبعه الرجل إلى ممر صغير أسفل السلم ، فذهب إلى ذلك الشارع الجانبى الصيق ، ولكن ما إن عبرا إليه ، حتى هتف الفلسطيني :

- رباب ! إنه زقلى بمنخل واحد .

انتبه (أدهم) ، فى تلك اللحظة فقط ، لى أن جداراً قد أقيم عند الناحية اليمنى للشارع ، ليحوكه إلى ممر مغلق . ذى منخل واحد ..

وفى نفس اللحظة ، التى انتبه فيها إلى هذا ، لتقطعت أقدام صرير إطارات للسيارة السوداء الكبيرة ، وهى تتوقف عند المدخل الوحيد للشارع ..

وقبل حتى أن يتوقف للصرير ، كان (أدهم) يهتف برفيقه :

- إلى الجدار .. أسرع .

كانت هناك عدة صناديق صغيرة ، ملاصقة للجدار ، فوشب الاثنان فوقها ، وقفلا يتعلقان بالجدار ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها راكب السيارة وساقها منها ، وهتف الأصملى فى غضب ، وهو ينتزع مسدسه ، المزود بكتم للصوت :

- ها هما ذن .

دفع (أدهم) رفيقه فى قوة ، ليتجاوز الجدار ، ويثب إلى الجانب الآخر منه ، ثم استقر هو عضلات دراعيه ومساعديه ، وجذب جسده إلى أعلى ..

وأطلق الأصملى رصاصات مسدسه ، التى ارتطمت بالجدار ، ثم هتف ، وهو يستند مسدسه إلى (أدهم) فى إحكام :

- فليكن يا فتى .. أنت أرتتها .

تحرك (أدهم) فى سرعة ، ودفع جسده إلى أعلى ، وهو يتعلق بقائم خشبي صغير ، و ...

وفجأة .. تعظم للقائم الخشبي بلا مقدمات .

واختل توازن الشاب بفتة ..

ووجد نفسه يسقط أرضاً فى هتف ..

وعلى الرغم من قوة وعنف اصطدامه بالأرض ، وثب (أدهم) واقفاً على قدميه بسرعة مذهلة ..

وارتطمت عيناه بعينى الأصملى ، وفوهة مسدسه المصوئية إليه فى إحكام شديد ، وبغتسامته الصفراء الشامخة الساخرة ، وهو يقول :

- وقعت يا فتى .

وضطعت سبائته الزناد ..

بمنتهى الحزم ..

والنقطة .

والإحكام .

★ ★ ★

- كيف عجز عن إصابته إذن ؟
 هز (أدهم) كتفيه ، وشرد ببصره بصع لحظت ، قبل أن
 يدبر عينيه إلى (قدرى) ، قاتلا يلبسامة هامة :
 - الحكمة تقول - اسع يا عبد ، وسيعلونك الله (مسيحه
 وتعالى) .

غمغم (قدرى) فى خشوع :
 - ونعم بقله .
 ثم عاد يتساعل بنفس اللهفة :
 - ولكن كيف ؟
 شرد (أدهم) ببصره بضع لحظات أخرى ، وكأما يستعيد
 تركيزه للفنيمة ، قبل أن يقول فى حزم :
 - سأخبرك .
 قالها ، وعاد يواصل قصته كما اعتاد ..
 بكل التفاصيل ..

★ ★ ★

لم يكن هناك عامل واحد ، يمكن أن يمنع الأصبع من إحادة
 التصويب ، وإصابة هدفه فى مقتل ..
 لقد كان واحدا من أشهر قتلة (الموساد) المحترفين ،
 وأبرزهم فى إصابة الهدف ..
 وكان مسممه مصوبيا إلى ذلك الهدف بالحكام ، وسبيلته تهم
 باعتصار الزبد ، و (أدهم) محاصر بيته وبين الجدار ، و .

٢ - الشاب ..

تتلخص جملة (قدرى) فى عنف ، عندما بلغ (أدهم) ذلك
 الجزء من روايته ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف
 فى قهقهة :

- يا رب العالمين !! وكيف نجوت من هذا الأمر يا صديقى ؟
 إننى أعلم أن الإسرائيليين يجيدون التصويب إلى حد كبير ،
 وخاصة قتلهم المحترفين !
 لبتسم (أدهم) وهو يقول :
 - هذا ما تذكره دعواتهم ، وما تروى به أفلامهم ورواياتهم
 يا صديقى ، ولكن دعنى أستعير كتمانك .

ومال نحوه ، واتسعت لبتسامته ، مع استطرافته :
 - لا تصدق كل ما تسمعه .
 قلها ، وأطلق ضحكة قصيرة ، وهو يعتدل فى مجلسه ،
 مضيقا :
 - ولكن هذا لا يمنع من أن ذلك الأصبع كان يجيد التصويب ،
 بحكم مهنته وخبرته الطويلة .
 سأله (قدرى) فى لهفة :

وفجأة ، تندفع الإسرائيليون الأخران ، عبر المخرج الخلفى للبنانية ، إلى ذلك الشارع الضيق ، ولحدهما يهتف فى حدة وحنق :

- لقد قرأ من هنا بالتأكيد ..

ومع تدفعا لهما المباغتة ، صنع جسداهما حيزاً ، يحول بين الأصبع وهدفه ، فصاح فى سخط غضب :

- ابتعدا .. إتكما تفسدان كل شيء ..

ولم ينتظر (أدهم) ، حتى يتم الأصبع هدفه .

بل ولم ينتظر حتى عندما بدأه ..

فما إن اندفع الإسرائيليون إلى الشارع الجانبى ، حتى درس عقله ، الموقف كله ، فى ثانية واحدة ..

ووضع فكرته موضع التنفيذ ، مع اكتمال تلك الثانية .

وكالصاروخ ، تندفع نحو الجدار ، ووثب فوق كومة المصناديق المصاغة له ، وما إن لامستها فتمماه ، حتى وثب مرة أخرى فى خفة مذهشة ، وتعلق بالجدار ، وقلز إلى الجانب الآخر منه ، والأصبع يتدفع نحوه ، ويدفع زميليه بعيدا ، ليسمح لنفسه الطريق ، وهو يصرخ :

- ابتعدا .. إنه يهرب .

ومع صرخته ، أطلق مسدسه رصاصة ..

وثانية ..

وثالثة

وسمع (أدهم) صوت لوتظام الرصاصات الثلاث بالجدار ، وهو يهتف بذلك للفلسطينى :

- أسرع بالله عليك .. أسرع .

صرخ ، لأصبع فى غضب ، عندما التقطت أثناء هذا الهتاف - يا للصخافة !

ثم امتدار إلى الرجلين ، صاخا :

- فليرجع أحكما خلفه ، ليعد الثانى إلى الشارع الرئيسى ، وسنطلق لنا مع قسيارة . لنقطع عليه الطريق ، عند مخرج الجانب الآخر .

همهم الرجلان بكلمات غير مفهومة ، إلا أنه لم يسمعهما ، وهو يدعو نحو السيارة ، فتنى تطلعت فور قلزه فيها .

لما الرجلان ، فقد هتف أحدهما ، وهو يتدفع نحو الجدار :

- هل رأيت ما فعله ذلك الفتى ؟ إنه ليس عادياً أبداً ؟

لجانبه زميله فى خشونة :

- إنه مجرد مراهق ، دفع للخوف مريذاً من (الأرييلين) (*)

فى عروقه ، فهذا يضع لحظات أشبه بالمسوبرمان ، وأرأهك على أنه يتنفض رعباً وفزعاً الآن !

(*) الأرييلين همون يتم إتجه فى مضاع للعدة النظرية (فوق للتكوية) . ويتصاعد إفرزه فى لحظات للخطر والتوتر والإنفعال . فليزيد من ضغط الدم ، ويغفل القلب . ومعدل التنفس ، وقوة انقباض العضلات ، على نحو موزقت

هتف الأول قى حقل ، وهو يثب إلى الجدار :

- ولكنه أخذ ذلك الفلسطيني على أية حال

مطّ اللتى شفتيه ، وجذب إبرة مسنسه ، وهو يقول قى غضب :

- ليس بعد .

وفى نفس اللحظة . لتى تطلق كل منهم فيها قى هدفه .

كلى (أدهم) يعدو مع المسئول الفلسطيني . عبر شوارع صغيرة ضيقة ، وهو يقول قى توتر .

- سينطلقون لحصلنا حتما . هذا أملوبهم .

لتفت إليه للفلسطينى . قللا فى دهشة :

- أملوبهم ؟! وما أدراك انت بأملوبهم ؟! هل نعلم من هؤلاء

القوم بالضبط ؟!

ساعده (أدهم) على عبور حبلز صغير ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .

هتف الرجل ، وهو يمسك كتفه المصابة فى صعوبة .

- أى تأكيد ؟! إته ليس فيلما سينملىب يا لتى . قك تولجه

واقعا عتيفا ومخيفا . فى مثل عرك هذا ، قد لا يمكنك استيعاب

طبيعة هؤلاء القتل . ولكننى أعلم جيذا أنهم من لد

قاطعه (أدهم) فى حزم :

- نست أعتقد أن لدينا الوقت لمنقشة هذا الأمر

التفت للفلسطينى بسرعة إلى حيث ينتظر (أدهم) ، ولمح

السيارة السوداء الكبيرة تعبر الطريق ، نحوهما مباشرة ، فهتف :

- رباه ! لقد عثروا علينا .

تلقت (أدهم) حوله ، فى توتر بالغ ، والسيارة تقترب فى

سرعة لكثـر ..

وأكثر .

وأكثر ..

وفى دلخلها ، استل الأصنع مسنسه المزود بكاتم للصوت ،

وهو يهتف بالسائق ، فى حدة وعضب :

- ها هم ذلن . انطلق نحوهما مباشرة ، وحاول أن تحافظ

على توازن السيارة ، حتى لا أخطئ التصويب

لم يسمع (أدهم) الشاب هذه العبارة ، إلا أنه لم يكـد يلمح

السيارة ، وهى تندفع نحوهم ، حتى جذب زميله الفلسطيني ،

هاتفا :

- أومكك العدو ؟!

أجابه الرجل . وهو يمسك كتفه المصابة ، ويعدو إلى جواره :

- لديك اقتراح آخر .

كان الشارع الصغير يضم عددا من البنايات القديمة للغاية ،

وقد تركمت بعض العدد والالات أمام إحداها ، على نحو يوحى

بأنها تخضع لنوع من أعمال الترميم ، و .

وفجأة ، ظهر الإسرائيليون الاخران . عند النهاية الأخرى للشارع ..

وارتفع مسدسهما فى سرعة .

ولتطقت الرصاصات .

وسقط (أدهم) ورفيقه بين شقى الزحى .

ولصحا محاصرين بين الإسرائيليين الأربعة ..

وبسرعة مذهلة ، تلفت (أدهم) حوله ..

وفى أعماقه ، ترددت تطيمات والده ..

« لا تفقد أعصابك قط ، مهما تعقدت الأمور من حولك .. »

« تعلم كيف تتخذ قراراتك من واقع الموقف والتهيلة المحيطة .

وبمئذى الدقة .. والسرعة .. »

« الفارق بين النصر والهزيمة قد يكون ثقبية واحدة

يا (أدهم) .. »

« نعم .. ثلثية واحدة .. »

هذا ما تردد فى ذهن الشاب ، وهو يحسم أمره ، ويجذب

رفيقه إلى تلك البناية تحت الترميم ، هاتفا :

— من هنا .

كانت الرصاصات تنتثر حولهما فى كل اتجاه . مع قفزات

السيارة العنيفة ، فوق مخلفات الترميم ..



هذا ما تردد فى ذهن الشاب ، وهو يحسم أمره ، ويجذب رفيقه إلى تلك البناية تحت الترميم ..

وصرخ أحد الإسرائيليين ، من الناحية الأخرى . فى غضب
هائل :

- توقّف يا رجل .. سيقتلنا طوشك هذا .

خلف الأضلع فوهة مسنمه . وهو يهتف .

- هل تقترح أن نتركهما يفرّان ؟

توقّف للرجل ، وألقى نظرة على البناية القديمة ، التى
اختفى داخلها (أدهم) ورفيقه ، ثم التقط من جيبه سيجاراً ،
فى هدوء مستفز ، وأنسطه ، ونفث نحاته فى عمق ، قبل أن
يتنسم ، قائلاً :

- لن يمكنهما الفرار من هنا .

هتف الأضلع فى حدة :

- ولماذا أيها العبقري ؟

نفث الرجل بخن سيجاره مرة أخرى . قبل أن يجيب :

- لقد أخطأ الاختيار ، فهذا المبلى لا يظنّ لأعلى هذا

الشارع وحده ، وبم تراه أمامك هو مدخله ومخرجه الوحيد .

والتمعت إبتسامته ، وهو يضيف :

- كل ما علينا إنّه هو الانتظار ..

ثم أشعل قذاحته ثنية ، والتمعت عيناه على صوء ذبالتها
المفارقة . وهو يكمل فى وحشية عجيبة :

- مع قليل من الجهد .

نطقها ، فالتمعت عيون الجميع ، حتى بدعوا أشبه بنلاب
مقترة . فى قلب الليل ..

ليل (باريس) ..

★ ★ ★

« الواقع يا (صبرى) لأننى أعجز عن فهمك تماماً .. »

نطق الملحق العسكرى المصرى للعبارة فى توتر ، وهو
يجلس مع (صبرى) فى مكتبه ، داخل مبنى السفارة المصرية .
فى (باريس) ، ولوح بكفه ، هتف :

- كيف تترك ابنك وحده . فى ليل (باريس) ، وهى أول
مرة يزور فيها المدينة ؟

ابتسم (صبرى) . واسترخى فى مقعده بهدوء ، قائلاً :

- لا تقلق بشأن (أدهم) .. إنه يجيد التصرف وحده .

قال الملحق العسكرى فى تنفعل :

- أعلم أنه يجيد الفرنسية ، ولكن (باريس) ليست مشكلة
لغة فصص ، إنها ..

قاطعه (صبرى) فى حزم :

- دعه يتعلّم .

هتف الملحق العسكرى :

- يتعلّم ماذا ؟

أجابه فى حزم أكثر :

- مواجهة الحياة .

حق في الملحق العسكري لحظة بدهشة مستترة ، قُبِع
في لهجة قوية :

- كلال يظن أن الحياة ليست رحلة طريفة ، كما قد تبدو
لبعض . إنها معركة . معركة يفوز فيها الأقوى والأصلح
فحسب .. ونحن نواجه عدواً شرساً عتيقاً ، إذا ما واجهته .
فلن يكون هناك مجال للشفقة أو الرحمة ، لذا فمن المحتم أن
يتعلم المرء كيف يواجهها ، وكيف ينتصر في المواجهة ، إذا
ما صار القتال حتمياً .

قال الملحق العسكري :

- أينطبق هذا على فتى في السبعة عشرة مثله ؟

صمت (صبرى) بضع لحظات ، قبل أن يتسم ، قاتلاً .

- سيدهشك أن (أدهم) يجتاز الآن مرحلة التدريب الرابعة .

تسعت عينا الملحق العسكري بدهشة بالغة ، وهو يهتف :

- كم ؟

كرّر (صبرى) ، في شيء من القهقهة :

- الرابعة .

تراجع الملحق العسكري ، مغفماً في دهشة وتبهر :

- مستحيل !

أشار (صبرى) بسببته ، قاتلاً في حماسة :

- ابنى قهر المستحيل يا رجل ، واجتاز مرحلة التدريب
الأولى ، وهو في العشرة من عمره فحسب ، ونجح في
المرحلة الثانية في الثالثة عشرة ، أما المرحلة الثالثة فـ .
قاطعه الملحق العسكري : متسائلاً في انفعال .
- (صبرى) .. اجتاز المرحلة الرابعة يعنى أن الشخص
يجيد قـ ...

جاء دور (صبرى) ليقاطعه ، وهو يقول في فخر :

- إنه يجيد كل المهارات اللازمة .

تسعت عينا الملحق العسكري أكثر ، وهو يقول ، ملوئاً

بيده إلى أعلى :

- وماذا عن قـ ...

قاطعه (صبرى) مرة أخرى ، بنفس الانتماء الحاتية

الفخور :

- إنه يبرز في القفز بالمظلة يا رجل .

هتف الملحق العسكري :

- ما شاء الله .. ما شاء الله ..

ثم عاد يهز رأسه ، مستطرداً :

- ولكن هذا لا يمنع من أنك تتمتع بقلب فولاذى يا رجل !

فلو أننى فى موضعك ، لقتلتى القلق على ابنى .

أشاح (صبرى) بوجهه ، ليتطلع عبر النافذة ، وهو يقول

في حزم :

- إنها الحياة يا رجل .

لم يدر الملحق العسكري أن هذه اللهجة الحازمة تخفى
السبب الحقيقي ، الذي أشاح (صبرى) بوجهه من أجله
لقد أراد أن يخفى شعوره الأقوى بالقلق على ابنه ..
بل بالهلع ..
الشديد ..

★ ★ ★

عضد المسلول للفلسطيني شفتيه من قوط الأكم ، وهو يمسك
كتفه للمصابة ، قللاً في توتر :
- آه .. لهذا لم يتبعونا إلى هنا إنه مبنى منعزل تماماً ،
لا سبيل للخروج منه ، سوى عبر مدخله الرئيسي ، ثم إن كل
شيء هنا متهاك تمام ، حتى إننى أتوقع أن تنهار الأرض
تحت أقدامنا ، فى أية خطوة تالية .

تعتقد حاجبا (أدهم) الشاب ، وهو يغمغم :

- هناك وسيلة ما حتماً ، للخروج من هنا
تطلع إليه للفلسطيني بضع لحظات فى صمت . قبل أن يسلطه .
- أنت متفائل دائماً هكذا ؟

أجابه (أدهم) :

- ليس تفاؤلاً يا عمها . هذا ما علمنى إيساه أبى

الآن استسلم لليأس قط ، مهما بنت الحلقة محكمة من حولي .

لنصمم الرجل فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- حكيم هو والدك .

غمغم (أدهم) ، وعقله ما زال يبحث عن وسيلة ، للخروج
من تلك المصيدة :
- بالتأكيد .

كان الموقف يبدو معقداً محكماً بحق ..

للمبنى متهاك بلفعل ، كما يقول رفيقه ..

وكل شيء فيه أقرب إلى الانهيار ، مع نوك حركة عنيفة

والإسرائيليون الأربعة ينتظرونها فى الخارج ، و ...

قبل أن تنصل أفكاره ، هوجى للفلسطيني يهتف فى حدة
محنقة :

- ألا يوجد جهاز شرطة فى هذا البلد ؟! لقد أطلقوا علينا
النار فى قلب (باريس) !! لن تهرع الشرطة للتحقيق فى
الأمر على الأقل ؟!

قال (أدهم) فى توتر :

- من المؤكد أنها قد فعلت ، ولكننا لن نشترك فى المطاردة
بالتأكيد ، ولن

- بقر عبارته بقة ، واعتقد حليجاء فى شدة ، وهو يهتف :

- رباه ! الشرطة !

سلقه الرجل متوتراً :

- ماذا عنها ؟!

هتف (أدهم) في حملة :

- إنها تهرع إلى موقع الحادث حتماً . أليس كذلك ؟!

قال للرجل في حلق :

- هذا م يفترض .

لوح (أدهم) بسببته ، قاتلاً :

- هذا يعني أنها ستهرع إلى هنا ، لو أن هناك ما يجذب

انتباهها بشدة .

عط الفلسطينى شفتيه ، مغمضاً :

- وما الذى يمكن أن يجذب اهتمامها هنا ؟ إنه شارع خلفى

صغير ، تقاد مباله القديمة تنهار وحدها .

قال (أدهم) فى حزم :

- ربما بعض ألمنة الذهب .

بُهِت للرجل للجواب ، فحذل فى وجهه ، متساقلاً :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (أدهم) بنفس الحملة والحزم :

- لو أننا بلغنا سطح المبنى ، ونجحنا فى إشعال بعض قنبران

هناك ، سيجذب هذا انتباه لبعض حتماً ، ولن تلبث الشرطة أن

تهرع إلى هنا ، مع سيارات الإطفاء .

هتف الرجل ، وقد تنقعت إليه عدوى الحملة :

- بالتأكيد للفكرة عبقرية بحق ، حتى إننى

بتر عبارته بقعة ، واتسعت عيائه عن آخرهه ، وتحول

حمليه إلى شيء من الذعر ، وهو يقول :

- حتى إننى أشتت رائحة الدخان بالفعل .

ومع آخر حروف كلمته ، التقطت أنف (أدهم) للريحة ..

رائحة الدخان ..

وفى الثانية التالية مباشرة ، رأى ألمنة الذهب ، التى

تنصاعد من الطابق السفلى ..

لقد سبقه الإسرائيليون هذه المرة !

استخدموا فكرته ، للقضاء عليه وعلى رفيقه الفلسطينى ..

أشعوا قنار فى المبنى ، ليضوهب أمام خيارين لا ثالث

لهما ..

إما للبقاء ، والموت بألمنة الذهب ..

أو الفرار ، والموت برصاصاتهم ..

وفى توتر بالغ ، نهض المسلول الفلسطينى من مكانه ،

وهو يهتف :

- يا للأوغاد !

كانت ألمنة الذهب تنتقل فى سرعة ، من طابق إلى آخر ،

ملتزمة الأخشاب الجافة القديمة ، ودرجات السلم المتهاكلة فى

طريقها ..

ولم يعد هناك سبيل للهبوط ، بأى حال من الأحوال .

وهذا يعنى أنه لم يعد هناك خيل ..

إن يمكنهما حتى الموت برصاصات الإسرائيليين
سيموتان حتما بالسنة للهب

إلا فدا ...

وفى توتر شديد ، هتف (أدهم) ، وهما يصعدان فى

درجتي السلم المتهاككة فى سرعة :

- للصعود إلى السطح إن يعنى شيئا . المبنى أقصر كثيرا

مما حوله ، ولن يمكننا التفقر من سطحه إلى أى سطح آخر

صاح الفلسطينى :

- والتيران سنبقى بسرعة مخيفة .

هتف (أدهم) :

- هذا ما لم نختق بسحب النخان أولا .

قلها ، وسئل فى عنف ، مع سحب النخان ، التى تتصاعد

إلى أعلى ، بكثافة أكبر .

وكبير .

وكبير .

وفى شدة ، راح الاثنان يسهلان ، وهما يواصلان الصعود

بلا أمل ..

وهتف (أدهم) ، وهو يلتقط متدليه من جيبه :

- حاول أن تحيط أنك وفك بمنديك يا عماد ، حتى لا نخنقك

سحب النخان .

سئل الرجل فى عنف ، وهو يهتف :

- لقد فطت .

وسئل مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- دون فائدة .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان

الإسرائيليون الأربعة يراقبون المبنى من الشارع الصغير ،

وكبيرهم يقول مبشعا ، فى ظفر شامت :

- ترى كم تحتاج السنة للهب ، لتلتهم قلوب من العرب !؟

قلها ، وراح يقهقه بصوت مرتفع ، والسنة للهب تواصل

صعودها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

٣ - الذهب ..

« بلر التهوية .. »

هتف (أدهم) الشاب بالعبرة ، وهو يدعو مع رفيقه ، في درجات سلم شارف الانهيار ، فالتفت إليه الرجل ، متمملاً في توتر شديد :

- ماذا تقول ؟!

أشار (أدهم) بيده ، هاتفاً :

- تلك المباني القديمة كانت تعتمد على نظام بسيط للتبريد وانتفاة ، عبر سلسلة من الأنابيب للواسعة ، التي تنتشر في كل طابق ، والتي ترتبط ببعضها ، عن طريق بلر تهوية ، تمتد من السطح إلى قعر المبنى ..

سأله الفلسطيني ، ولقح النيران يبلغه بالفعل :

- ماذا تعني ؟!

أجاب (أدهم) ، وهو يندفع إلى نهاية الطابق :

- أعني أننا لو عثرنا على بلر التهوية ، يمكننا الهبوط عبره إلى القعر ، حيث سيخفف تأثير النيران .

هتف الفلسطيني :

- وحيث سنجد مخرج الطوارئ للتقيدى .

قال (أدهم) ، وهو يفحص الجدار في سرعة .

- بالضغط .

كانت لمسة الذهب تواصل التهامها نكل ما يعترض طريقها . بلا رحمة أو هوادة ، وكلاهما ينق الجدار بيده ، بحثاً عن مدخل البلر ، حتى هتف (أدهم) :

- إنها هنا .

ثم اتفح إلى حبلز السلم ، وجذبه في قوة .

واسرع الفلسطيني يعاونه بأقصى قوته .

وتحطم جزء من الحاجز في عنف ، اختبر معه توازنهما ، فسقطا أرضاً ، ولكنهما نهضا يحملانه في سرعة ، وهتف (أدهم) :

- سنضرب به الجدار ، كما كانوا يفعلون بأبواب الفلاح ،

في العصور القديمة ، حتى تصنع فتحة . يمكننا الهبوط عبرها إلى بلر التهوية .

هتف الفلسطيني في حماسة :

- هيا بنا .

اندفعا إلى الأمام بأقصى سرعتهما ، حاملين حبلز السلم ، وضربا به الجدار مرة ..

وثانية ..

وثالثة .

وفي حق ، هتف الرجل :
 - عجباً ! المعنى كله يوشك على الانهيار ، والجدار يتصدق
 وكأنه حائط من الصلب ، و...
 قبل أن يتم عبارته ، ارتطم الحنجر بالجدار مرة أخرى ..
 وانهار جزء من الجدار ..
 ومع انهياره للمباغت ، اختل توازنهما مرة أخرى ..
 وفي هذه المرة ، تدفع جسدهما إلى الأمام ، بفعل القصور
 الذاتي (*) ..
 واصطدم الفلسطيني بـ (ادهم) من الخلف في عنف ، فهتف :
 - آه .. مخرقة ..
 ولكن جسد (ادهم) قفز إلى الأمام ، دون أن يملك التوقف .
 وقبل أن يتمالك نفسه ، وجد جسده يندفع عبر تلك الفجوة
 في الجدار ، إلى بحر التهوية العميقة ..
 ثم يهوى فيها بهتة ..
 ويمتدح الصرخة ..

★ ★ ★

لم يكد البلاغ يصل إلى وحدة الشرطة الرئيسية في (باريس) ،
 حتى اندفع أحد الرجال إلى حجرة المفتش (رونييه) ، وهو يهتف :

(*) القصور الذاتي مصطلح شائع من قانون (نيوتن) الأول للحركة .
 وهو يشير إلى الخاصية ، التي تحاول المحافظة على جسم المسكن في حالة
 سكون ، أو دفع الجسم المتحرك إلى مواصلة حركته في خط مستقيم



وقبل أن يندفع جسده ، وجد جسده يندفع عبر تلك الفجوة في الجدار ،
 إلى بحر التهوية العميقة

- مبنى يحترق ، فى منطقة الترميمات القديمة .

انسعد حاجبا المفتش (رونه) ، وهو يقول فى عصبية :

- يحترق ؟! فى هذه اللحظة .

هتف الرجل :

- هل تبلغ وحدة الإطفاء ؟!

صاح به المفتش فى عصبية :

- وهل تحتاج إلى أمر لتفعل ؟!

انطلق الرجل لتنفيذ الأمر ، وإبلاغ وحدة الإطفاء ، فى حين

ازداد انعقاد حاجبى المفتش (رونه) ، وهو يضم :

- ما الذى يحدث ههنا الليلة ؟! بعضهم يتجاوز حدوده بالتاكيد ..

أولاً : إطلاق النيران فى الشارع ، ثم المطرودة غير المفهومة .

وبعدها هذا الحريق . سم ؟! نعم .. لقد تجاوز بعضهم حدوده .

استغرق فى التفكير بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن التقط

مستدسه الكبير من درج مكتبه ، ونسبه فى حزامه ، وهو ينهض

مستطرداً :

- وهذا يحتاج إلى تدخل شخص خبير .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها بسيارته ، متجها نحو

موقع الحريق ، كان جسد (أدهم) الشاب يهوى فى بحر

التهوية ، و ...

وفجأة ، وثب الفلسطينى إلى الأمام ، وقدفعت يده اليمنى

تسبقة فى سرعة خرافية ، لتقبض على معصم (أدهم) ..

فى اللحظة الأخيرة ..

وتوقف جسد الشاب دفعة واحدة ، وتحرك ليرتطم بجدار

البئر فى عنف ، والفلسطينى يهتف :

- تثبتت هى جيداً ..

أمسك (أدهم) اليد الممدودة إليه فى قوة ، قبل أن يدفع

ظهره إلى جدار البئر ، ويدفع قدميه إلى الجدار المقابل ،

ويهتف :

- أنا بخير الآن .. يمكنك أن تتركنى .

خضع الفلسطينى ، وهو يفلت يده :

- حمداً لله .

سأله (أدهم) :

- هل يمكنك الهبوط ، بنفس الأسلوب الذى استخدمته ؟!

نظع إليه الرجل فى توتر ، وتحسن كتفه للمصافحة مرة

أخرى ، قبل أن يتمتم فى عصبية :

- يبدو أنه ليس لدى خيار يا هتى .

كانت السنة الذهب تتجه نحوه مباشرة ، فأسرع يهبط إلى

البئر ، ويلصق ظهره وقدميه إلى جداره ، كما يفعل (أدهم) :

لذى قال :

- أعلم أن هذا مؤلم للغاية ، مع إصابة كتفك ، ولكن ليس

أماناً من سبيل سواء ، فحاول أن تحتمل يا عماد ، وستبلغ

للقبو بهد كليل .

غمغم الفلسطينى فى عصبية :

- ما لم تشويقنا للتيار أولاً .

لم يطق (أدهم) على العبارة ، وهو يهبط بهذه الوسيلة المعقدة ، داخل بلر التهوية ، التى بلغت حرارتها حداً لا يطاق ، وامتنعت داخلها سحب بخان على نحو كثيف عنيف ، مما جعل العرق يغمر لوجوهه ، ولفح التيار يلهب الجلود ، و ..

وفجأة ، غمغم الفلسطينى فى رأس :

- يا إلهى ! لم يعد بإمكانى الاستمرار ،

قالها ، وتراخت عضلاته بقعة واحدة ..

وهوى جسده ..

وارتطم بجسد (أدهم) فى عنف ..

وبسرعة مخيفة ، هوى جسدهما فى بلر التهوية ، التى

بدت بلا قرار ..

وبلا أمل ..

★ ★ ★

« العاشرة والنصف مساءً ، و (أدهم) لم يعد بعد .. »

تمتم الملحق العسكرى المصرى بالعبارة فى ثوتر ، وهو يلقي نظرة على ساعته ، فالتقط (صبرى) نفساً عميقاً ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وهو يقول فى حزم ، بنل قصارى جهده ليكتسبه :

- لا تقلق نفسك بشئ .

حنق فيه الملحق العسكرى بدهشة ، قبل أن يقول فى استنكار :

- خطايب (صبرى) .. خطأ يا رجل . أعلم أنك ترغب فى أن تمنح ابنك رجولة مبكرة ، وفى أن تجعل منه رجل المخبرات المثالى ، الذى تحلم به أية أجهزة مخبرات فى العالم ، ولكن هذا لا يعنى أن تلقى به فى قلب الخطر ، على هذا النحو .

غمغم (صبرى) ، وهو يراقب فى قلق شديد ، ذلك الوهج

الأحمر ، فى سماء (باريس) ، عبر نافذة مبنى السفارة :

- (باريس) ليست ساحة حرب يا رجل .

هتف الملحق العسكرى :

- ربما كان هذا صحيحاً فى المعتاد ، ولكن ليس فى هذه

الليلة . ألم تسمع خبر إطلاق النيران ، الذى تم بالقرب من

البرج ؟! هل ترى ذلك الوهج فى السماء ؟! إنه يعنى حدوث

حريق فى مكان ما .. هل تعلم كم حريقاً تشهده (باريس) فى

العام كله ؟! هذا لا يتجاوز واحداً أو اثنين ، فما بالك بحدوثه ،

فى نفس ليلة إطلاق النار ؟! ألا يمكن أن يعنى هذا شيئاً ؟!

أجاب (صبرى) فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم استدرك بسرعة ..

.. ولكنه مجرد استنتاج محض ..

لوح الملحق العسكري بيده ، هاتفاً :

.. حتى ولو افترضنا هذا .. ألا ينبغي أن تشعر بالقلق لتأخر
لينك .

أجابته (صبرى) فى توتر :

.. إنه يعلم أننا سنستقل قطار (مارسيليا) ، فى الخامسة
صباحاً .

هتف الملحق العسكري :

.. قطار ماذا ؟! أليس هذا أنه يمكنه البقاء فى الخارج ،

دون أية اتصالات ، حتى الخامسة من صباح الغد ؟!

غمغم (صبرى) ، محاولاً الفرار من هذا الحوار :

.. لو اضطرته الظروف لهذا .

صاح به الملحق العسكري ، وقد نفذ صبره :

.. لا يا (صبرى) .. لن يمكننى أن ألهم أسلوب تفكيرك هذا

أبداً . إنك يا رجل .. كيف تتركه وحده فى قلب

(باريس) ، وأنت تغف هنا ، و ...

التفت إليه (صبرى) بحركة حادة ، قائلاً :

.. وماذا لو لم تكن هنا ؟!

بهت الملحق العسكري للسؤال ، فغمغم :

.. ماذا تعنى ؟!

أجابته (صبرى) ، فى توتر زائد :

.. لو أنك لم تستوعب الأمر بعد ، فلتعلم أن (أدهم) ليس

هنا فى رحلة سياحية ترفيحية .. إنه تدريب محض .. المقترض

أن ينضم فى المجتمع الباريسى ويتعايش معه ، كما لو كان

جزءاً منه ، ولكى يتجح هذا التدريب ، لابد وأن أنسى وجوده

وينسى وجودى تماماً . لا ينبغي أن يجرى أية اتصالات بى .

إلا كوسيلة أخيرة . أخيرة جداً . وهذا لأننى لن أكون هنا ،

عندما يولج عملياً حقيقة .. لن ألتواجد للسعى خلفه وإفادته .

لابد أن يعتمد على نفسه تماماً

غمغم الملحق العسكري :

.. وماذا لو كان بحاجة إلى المال مثلاً ؟!

أجابته فى حزم :

.. عليه أن يبحث عنه بنفسه .

وبدل جهداً خرافياً ، ليخفى ارتجافه شفتيه ، وهو يتمتم .

.. هذه مهمته .

حدج الملحق العسكري بنظرة تجمع بين الدهشة والإعجاب

والإبهار ، قبل أن يتمتم :

.. لو أن هذا ما تصنعه بابتك حقاً ، فليست لدى ذرة واحدة

من الشك . فى أنه سيصبح يوماً واحداً من أخطر رجال

المخابرات فى العالم .

غشم (صبرى) :

- ليس هذا ما أسعى إليه ب صديقى .. لست أريده واحداً
من أخطر رجال المخابرات .

ثم أشرح بوجهه ، ليعود إلى التناذرة ، ويراقب وهج النيران
فى السماء ، متابعاً فى حزم وصرامة :

- بل أريده ببئذئ الله (سبحانه وتعالى) ، لخطر رجل
مخابرات .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم أشد .

- على الإطلاق .

★ ★ ★

كان السقوط قوياً عنيفاً ..

ولكنه لم يستغرق وقتاً طويلاً ..

فقبل أربعة أمتار من الصق ، كان هناك حلجز خشبى .

وضعه صال الترميم ..

وارتطم الاثنان بذلك الحلجز ، الذى تحطم فى عصف ،

نيواصلا الهبوط لأربعة أمتار أخرى ..

وهناك ارتطما بحلجز خشبى آخر ..

وفى هذه المرة ، كان دوى الارتطم عيقاً .

للغاية .

ولكن عبور الحلجز الخشبي الآخر قادهما إلى ممر مقل ،

لزلزلق عليه جسدهما فى عصف ، حتى سقطا بقعة فى القيو

وخارج المبني ، التفتت آذان الإسرائيليين الأربعة صوت

الارتطم ، وتحطم الحواجز الخشبية ، فهتف الأصابع فى توتر :

- ما هذا ؟؟

تبادل أربعهم نظرة متوترة ، قبل أن يغشم المسائل فى

تردد :

- إنها أجزاء من المبني القديم ، تنهار بفعل النيران .

أشار إليه ققدم . وهو يقول فى صرامة :

- لقد سمعت صوت ارتطم ، يتصاعد من القيو ، والأجزاء

المنهارة لا يمكنها السقوط هناك .

ثم قعد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- إلا إذا

نطقها ، وهو يسحب مستسه فى حركة حادة ، فسأله

الأصابع فى عصبية :

- إلا إذا ماذا ؟؟

تحرك الإسرائيلي فى حذر ، نحو مخرج القيو ، وهو يجيب :

- إنه احتمال ضئيل ، ولكن ماذا لو ..

لم يتم عمله ..

ولكن رفقه أركوا ما يعنيه ..

وبشارة سريعة صامتة ، ودون أن يتبادل أحدهم حرفاً واحداً ،

شأن كل المحترفين ، انفصل الأصابع والمسائل عن الآخرين ،

وانطلقا يعدوان إلى الشارع الخلفى ، حيث مخرج الطوارئ للقبو ، فى حين أسرع قائد العملية وزميله إلى مدخله الرئيسى ، والآخر يقول فى حدة :

- فلننتك تؤكد : إن للبنية مدخلا واحدا .

غمغم القائد فى خشونة :

- هذا لا يتضمن القبو .

قال الآخر ، فى سخرية عصبية :

- حقا ؟

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أدهم) الشاب ينهض من سقطته ، وهو يشعر بالآلام مبرحة ، فى كل عظمة من جسده ، ويعد يده لرفيقه ، قفلا فى قلق واضح :

- أنت بخير ؟

التقط الفلسطينى كله ، وهو يقول :

- إتنى لم ألق مصرعى والحمد لله (العلى القدير) :

فارتطامنا بتلك الحواجز الخشبية خفف من عنف السقوط ، ولكن كفى المصيبة لم تعد تصلح للعمل على الأرجح .

كان للدخان الكثيف يغمر القبو ، الذى تلتهم النيران سقفه ، فى طريقها إليه ، وعلى الرغم من هذا رأى (أدهم) فى وضوح الدماء التى تضر كتف رفيقه ، فقال متوترا :

- أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل .

أخرج لرجل منديلا كبيرا من جيبه ، وهو يقول :

- ستكفى ضمادة الآن .

عاونه (أدهم) على تضميد جرحه ، وهو يقول :

- المهم أن نخاطر هذا القبو بسرعة ، فالنيران لن تثبت أن

تمتد إليه عندما تنتهى من التهام الطويل العليا ، و ..

قبض الفلسطينى على يده بفتة فى قوة ، وهو يضع سبائته

على شفتيه ، متطعنا إلى مدخل القبو ، فى توتر بالغ ، فبتر

(أدهم) عبارته دفعة واحدة ، واستدار يتطلع إلى المكان بدوره ..

كان هناك ظلال كبيران ، يتحدران إلى المكان . على نحو

يوحى بأن هناك رجلين يستعدان للهبوط فى القبو ..

وفى يد كل ظل منهما ، كلى هناك ظل لعمدس كبير ..

والى (*) ..

وكان هذا يضى أن يعود الحصار إلى صورته الأولى مرة ثانية .

وأن يعودا إلى الخيار الأول ..

لمسنة للهب ..

أو رصاصات العدو ..

ولم يكن من الممكن أن يسمح (أدهم) الشاب بهذا أبدا ..

ليس بعد كل ما لحظناه ..

(*) المصممت الآلية - هى مصممت كبيرة الحجم مميذا ، مرواة بخزانة

رصاصات تشبه بخزعة المدفع الآلى ، ويمكنها إطلاق النار على نحو متواصل ، وبسرعة تقارب سرعة المدافع الرشاشة

وكل ما أصابه ..

لذا ، فقد التفت قطعة كبيرة من الخشب ، من أرضية القبو ،
وهو يشير إلى رفيقه الفلسطيني ، هامنا .
- انتقلني هنا ،

هز الرجل رأسه نفيًا في حزم ، ولتقط بدوره لوحًا من
الخشب ، هامنا :

- ما زالت يدي اليمنى تعمل بكفاءة ..

لم يطق (أدهم) ..

ولم يحاول إثنائه عن عزمه ..

كل ما فعله هو أن تحرك في حذر ، نحو مدخل القبو ، في
نفس الوقت الذي راح فيه للظلام يهبطان في حذر زائد
بدوريهما ، و ...

وفجأة ، انهار جزء من سقف القبو ..

ومع انهياره ، وعلى الرغم من أن الإسرائيليين لم يكونا قد
لمحا (أدهم) ورفيقه بعد ، إلا أن ذلك الانهيار للعباغت ، مع
ما أحدثه من دوى وغبار ، جعلهما يضطبان زنادى مستمسيهما
في حركة غريزية ، وهما يتراجعان في سرعة .

واتطلقت الرصاصات داخل القبو

كالمطر ..

وبسرعة مذهلة ، جنب (أدهم) رفيقه ، وتبطح كلاهما
أرضًا ، والرصاصات تعبر فوق رأسيهما ، وتزها يخرق أنفيهما ..

وفي حدة ، صاح الأصنع بالعبرية :

- لن نفلتا . إنها نهايتكما .

غمغم الفلسطيني .

- إيه يقول إن ..

قناطحه (أدهم) :

- لقد فهمت .

قال الفلسطيني في دهشة :

- ولكنه نطقها بالعبرية .

أجابه (أدهم) في حزم :

- ليست هذه هي القضية الآن ، فليتحذث بما يحلو له ،

ولكن المشكلة أننا محاصران مرة أخرى .

مع آخر حروف عبارته ، انهار جزء آخر من سقف القبو ،

وتساقطت النيران من الجزء المنهار ، وراحت تشتعل في بقايا

الأخشاب والحطام ، فهتف الفلسطيني بصوت مكتوم ، وهو

يحكم متنبه على لُفهِ وفمه :

- رباه ! إني أختق .

تعلد حلقب (أدهم) ، وهو يقول في صرامة :

- لا مفر من المواجهة إذن .

هتف الفلسطيني في عصبية :

- ويم سنواجههم ؟! إنت لا تمتلك سوى قطع الخشب القديمة

هنا .



كانت الرصاصات قد توقفت ، مع تراجع الإسرائيليين خارج القبو ،
نهض كل منهما في حزم

أجلبه (أدهم) في حزم :

- هذا أفضل من البقاء هنا والافتتاق بمسحب النخان ، أو
الموت بالسنة القنار .

صمت الفلسطيني لحظة ، قبل أن يتمتم ، بصوت رجل حسم
أمره :

- أنت على حق .

ثم لمسك قطعة الخشب في قوة ، مستطرذا :

- هنا بنا .

كانت الرصاصات قد توقفت ، مع تراجع الإسرائيليين خارج
القبو ، فنهض كل منهما في حزم ، وقال (أدهم) :

- إنهم يتوقعون خروجنا في أية لحظة ، ولكن من المؤكد
أن التضاضتنا ستدجنهم ، فلن يتوقعوا قط أن تبادر لفريسة
بهجوم كهذا .

رفع الفلسطيني أحد حاجبيه ، مضغفاً :

- مصطلحاتك أتيقة يا فتى .

غمغم (أدهم) :

- هل نعتقد أن الوقت يناسب هذا الإطراء ؟!

هز الفلسطيني رأسه ، مضغفاً :

- إنه ليس إطراء .

ثم شد قبعته على قطعة الخشب ، مستطرذا :

هيا نولجيه تلك المسدسات الإسرائيلية الأربعة .

أشار (أدهم) بمسبوقته ووسطاه ، قتلاً :

- مسدسان فحسب .

تمسك الفلسطيني في حيرة :

- وكيف تنق بهذا ؟!

أجابته في سرعة ، وهما يواصلان تقدمهما ، نحو المخرج

الخلفي للقبر ، وسط سحب الدخان ولفح النيران :

- إنهم من المحترفين ، ونيسوا أغبياء بالتاكيد ، ومادام

للقبر مخرجان ، فسيفك اثنان منهم عند كل مخرج .

أشار الفلسطيني بإبهامه خلف ظهره ، متمتماً :

- ولكن انهيار السقف أغلق أحد المخرجين .

أجابته في حزم :

إنهم لا يدركون هذا بعد .

ثم أضاف ، بعد برهة من الصمت :

- من حسن حظنا .

كانت النيران تنتشر في سرعة ، دخل قبرو المبنى القديم ،

والدخان يتكاثر في شدة ، إلى حد لا يصلح معه التنفس ، حتى

من خلف تلك للمناديل الواقية . لذا فقد حسم الاثنان أمرهما ،

وهاتف (أدهم) :

- الآن ..

قلها . فتنطلقا بقطعان المسافة ، التي تفصلهما عن المخرج .

بأقصى سرعتيهما ، ثم اندفعا خارج القبر ، وكلاهما يرفع

سلاحه البدائي ، ويطلق صيحة قتالية قوية ، و ...

وفي لمح البصر ، ارتفعت في وجوههم فوهات مسدسات

قوية ..

وكان (أدهم) على خطأ هذه المرة ..

فلم يكن هناك مسدسان فحسب ..

بل أكثر من هذا ..

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

٤ - ليلة باريسية ..

تململ (صبرى) فى فراشه ، داخل الملحق المكنى للسفارة المصرية فى (باريس) ، وجلجلاه للنوم تملأاً ، من شدة قلقه على ابنه ، الذى لم يعد بعد ، على الرغم من أن عقارب الساعة تشير إلى ثمانية والرابع صباحاً .

وفى توتر بالغ ، نهض يجلس على طرف فراشه ، وتمتم - ترى أين أنت يا (أدهم) ؟ -

كان يدرك جيداً أن ابنه ، على الرغم من سنوات عمره السبع عشرة ، ليس مراهقاً عابثاً .

لقد أخضعه لبرنامج تدريبي خاص للغاية ، منذ كان فى الثالثة من عمره ..

وهو الآن مقاتل صنديد ، لا يشق له غبار .

ولكنه مازال ابنه ..

إنه يعلم قدرته على التعامل مع أصعب الظروف .

حتى فى قلب (باريس) ، التى يزورها لأول مرة .

إلا أنه لا يستطيع منع نفسه من القلق ..

خاصة وأن (أدهم) لم يحاول الاتصال مرة واحدة ..

أو أن هذا ما ينبغى أن يفعله ..

من المؤكد أن تلخره فى العودة لا يعود إلى التيهاره بليل

(باريس) الساحر ..

هناك سبب آخر حتمًا ..

والسؤال هو : ما السبب ، الذى يمنع شيئاً مثله من قضاء

ليلته فى فراش ناعم وثير ؟؟

ما السبب ؟؟

فى نفس اللحظة ، التى طرح فيها (صبرى) سؤاله هذا

على نفسه ، كان المفتش الفرنسى (رونيه) يشعل سيجارته ،

وهو يحجج (أدهم) ورفيقه بنظرة صارمة ، فى مركز الشرطة ،

يقول فى حدة :

- هناك سبب حتمًا لكل هذا ، وقصتكما لم تنجح فى إلتاعى

هذا .

قال المفتشون فى صرامة :

- ولكنها الحقيقة

هذه المفتش رأسه فى عنق ، قاللاً :

- الحقيقة دائماً لا تحتاج إلى كل هذه التعقيدات . لقد

أرغنا إلى حيث مبنى يحترق ، وكان الشارع خالياً من أى

شئة محترقين ، فمن نتحدث عنهم روفيتكما الطريفة ؟؟ كما أن

شارع الخلفى كان خالياً أيضاً ، وفجأة ، تدفعتما خارج قبو المبنى

محترق ، وكل منكما يخفى وجهه بمنديل كبير ، كالمصوص

في أفلام رعاة الأبقار ، ويحمل لوحاً من الخشب ، بهم
بتحطيمه على رؤوسنا ، لولا أن رفع رجالى منسختهم في
وجوهكم .

قال (أدهم) ، في هدوء عجيب ، وبلاغة فرنسية سليمة :
- كنا نقتلكم بعض هؤلاء للقتلة المحترفين .

لغت المفتش بخان سيجارته في حدة ، هاتفاً :

- هل سنعود مرة أخرى إلى هذه القصة المخرقة ؟!

تبادل (أدهم) نظرة صامتة مع الفلسطيني ، قبل أن يشير
إلى كتف هذا الأخير ، قائلًا :

- صديقي مصاب برصاصة في كتفه ، ويحتاج إلى الإسعاف .
جلس المفتش خلف مكتبه ، وهو يشير بيده ، قائلًا في
صرامة :

- ليس الآن

قال الفلسطيني في حلق :

- ماذا تعني بأنه ليس الآن ؟!

أجاب المفتش في حدة .

- أحضى أنه من الضروري أن نحصل على بعض الأجوبة
لولا .

قال أدهم في غضب :

- لست أظن هذا الإجراء قانونيًا ، لو حتى إسماعيلًا .

قال المفتش في صرامة :

- يمكنك أن تظن ما يحلو لك .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطردًا في حدة :

- من أين أنت يا فتى ؟!

أجاب الفلسطيني :

- إنه من ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يجيب في سرعة :

- من (ليل) .

تعقد حاجبا المفتش ، وهو يقول في غضب :

- هل تحاول إقناعي بأنك فرنسي ؟!

كثت لهجة (أدهم) ، وهو يجيب في سرعة :

- إني كذلك ؟!

أرداد تعقد حاجبي المفتش ، في غضب أكثر ، وهو يتطلع

إليه بضع لحظات ، في صمت تام ، قبل أن يقول في صرامة :

- هل تتصور أن هذا الادعاء سيمساعدك على نحو ما ؟!

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يجيب في هدوء ، وبلاغة

فرنسية سليمة :

- بل أتصور أنني سأحصل على حقوقى القانونية ، في كل

الأحوال .

قال المفتش في غضب :

.. هكذا ؟

ثم أشار بيده إلى أحد رجائه ، وهو مستطرد :

- أين تقيم في (ليل) إذن ؟

بدأ الاهتمام على ذلك الشرطى ، الذى أشار إليه المفتش ،

ولم يرغب هذا عن عيني (أدهم) وذهنه ، وهو يجيب فى ثقة :

- فى الحى الغربى .. شارع (مونتجونمين) .. رقم (١٧) .

رفع المفتش أحد حاجبيه ، وهو يقول فى خبت .

- عظيم .. صف لنا الشارع الذى تقيم فيه إذن

تضاعف اهتمام الشرطى ، وهو يقترب منهم ، ويرهف

سمعه أكثر وأكثر ، (لا أن (أدهم) بدأ شديد الثقة ، وهو يقول :

- إنه شارع صغير . يبدأ من منزل لجنرال الشيخ (برونو) .

ويتهى عند تقاطع شارعى (ناهليون) و (بوليفار) ، وهو

يضم سبع بنايات فحسب ، ومطعم صغير ، و ..

سأله الشرطى فجأة :

- أتقصد مطعم العجوز (فيوليت) ، الذى يقيمون فيه شرائح

السمك فى الصباح ؟

كان للفلسطينى يستمع إلى الحوار منذ البداية ، ولدهشه

كثيراً أن التحل (أدهم) للهوية الفرنسية ، وتساءل عما يحاول

حمانيته بادعائه هذا ، إلا أنه لم يحاول التدخل فى الأمر ، بأى

حال من الأحوال ، ولكن ما إن تلقى الشرطى سؤاله ، حتى

هوى قلبه بين قدميه ..

لقد تطرق الأمر إلى تفاصيل صغيرة .

ونصيحة ..

تفاصيل يسعون بها لكشف إدعاء (أدهم)

وتساءل الفلسطينى فى قلق عارم : كيف يمكن أن ينجو

كشاب من هذا الفخ ؟

كيف ؟

وبكل قلقه وتوتره ، تعلقت عيناه بشفتى (أدهم) ، الذى بدأ

هائلاً واثقاً ، وهو يجيب بالفرنسية :

- (فيوليت) وشرائح سمك فى الصباح ؟؟ يبدو لنا

لا نتحدث عن المطعم نفسه يا سيدى ، فالمطعم الذى أعرفه

يمتلكه (بيرت) وزوجته (برجيت) ، وهو لا يقدم شرائح

السمك فى فيه وجبة .

اتعقد حاجبا المفتش ، وهو يتطلع إلى الشرطى ، الذى

انقسم ، وأشار بابهامه ، قتلاً :

- يقضبط .

ثم لوح بيده ، وهو يعود إلى مكتبه ، مستطرداً :

- إنه من (ليل) .

ازداد تعقداً حاجبى المفتش ، وهو يتطلع فى شك إلى

علامات الانبهار ، التى ارتسمت على وجه الفلسطينى ، الذى

لم يلبث أن اتبته إلى الأمر ، فاعتدل فى سرعة ، وتحنج متعماً :

- هل اطمأن قلبك ؟!

رمقه المفتش بنظرة شك أخرى ، قبل أن يدبر عينيه إلى (أدهم) ، ثم يلتقط سماعة هاتفه ، ويتأوله بإها ، قللاً .

- يمكنك أن تظمن ولديك إذن .

تجاهل (أدهم) سماعة الهاتف ، وهو يقول :

- لسنا نمتلك هاتفاً .

سأله المفتش في حدة :

- وماذا عن الأصدقاء ، والجيران ، وذلك المطعم الصغير ؟

أجابته بنفس الهدوء :

- والدو يعلمان أنني سأقضى ليلة في (باريس) ، ولاداعي

لإفلاتهما ، في هذه الساعة .

رمقه المفتش بنظرة أكثر شكاً ، ثم لم يلبث أن أعاد السماعة

إلى موضعها في حلق ، قللاً :

- هكذا .

ثم أشاح بوجهه ، وراح يفكر في عمق ، وهو يحق نقفه

بسيوفته ، فقال (أدهم) في شيء من الصرامة :

- دعني أذكرك بأن رفيقي مصيب ، و ...

قاطعه المفتش في حدة :

- اصمت .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطرداً في صرامة :

- تنتظروا هنا .. سأعود إليكما بعد قليل .

ولتفع إلى حجرة مجاورة ، لها باب من الزجاج الشفاف ،

وللتقط سماعة هاتفها ، وراح يتحدث عبره في لفعال واضح ،

جهل للفلسطيني يميل على (أدهم) ، ههههه .

- ما الذي أثار غضبه إلى هذا الحد ؟!

أجابته (أدهم) . وهو يراقب المفتش في اهتمام :

- إنه ليس عاضداً فحصب .. إنه يعاني تفعالاً شديداً .

تسأل للفلسطيني في حيرة :

- ولماذا ؟!

تتعد حنجراً (أدهم) ، وهو يضخم :

- لمست لمرى .. ربما .

قبل أن يتم عبارته ، أنهى المفتش معادثته ، ثم التفع خارج

للحجرة الجقبية ، وهو يقول في صرامة :

- هيا بنا .

سأله الفلسطيني في دهشة :

- إلى أين ؟!

أجابته في حدة ، لم يكن لها ما يبرزها :

- سنعلن موقع الحادث .

سأله (أدهم) في حذر :

- المبنى المحترق ؟

أجابه في حلق عجيب :

- بل موضع إطلاق النار .

قالها ، ثم أشار إلى شرطى آخر ، هاتفا .

- (لويس) تعال .. ستصحبني في هذه المعينة .

هتف للشرطى القريب :

- (لويس) ؟ عجباً ! كنت أظنك تفضل العمل معه .

ضمغم المفتش في صرامة :

لا تدخل للمشاعر الشخصية في العمل .

صوب (لويس) مدممه إلى (أدهم) والفلسطينى .

وقادهما إلى واحدة من سيارات الشرطة ، من الطراز الأمريكى ،

الذى يعمل المقعدين الأسامين عن الأريكة الخلفية للسيارة

بشبكة قوية من الصلب ، بحيث تتحول خلفية للسيارة إلى سجن

محدود ، نفعهما للجنوس فيه ، ثم اتخذ مقعد القيادة ، وهو

يسأل المفتش :

- إلى أين ؟

صمت المفتش لحظة ، قبل أن يجيب في توتر :

- سنعود إلى حيث تم إطلاق النار .

ضمغم (لويس) :

- عظيم .

ثم تطلق بالسيارة على الفور ..

ولم يتبادل (أدهم) ، ورفيقه حرفاً ولحذاً طوال الطريق ..

كأن يعلم أن هذا الإجراء قانونى ومألوف تماماً ..

إلا أن شيئاً ما فى أعصابه ، لم يكن يشعر بالارتياح ..

شيء ما جعله يشعر بتوتر بالغ ، وجعل قلبه يحلق فى

قوة ..

وعنف ..

وقلق ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

« كم أشعر بالجوع ! »

قلقه (قبرى) ، وهو يرئى على كرسيه الضخم ، قبل أن

ينفض إلى البراد الصغير فى حجراته ، سائلاً (أدهم) :

- ما رايك فى شطيرة من اللحم البارد ؟

يتصم (أدهم) ، مجيباً :

- أشكرك .. لقد تناولت إطفارى منذ ساعة واحدة

قال (قبرى) فى سرعة :

- ولنا أيضا .

ثم تخضب وجهه بحمرة الخجل ، وهو يضيف :

- ولكنك تطعم أُنلى أشعر بالجوع ، و ...

فأطعمه (أدهم) ، وابتسامته تتسع أكثر :

- أظن .

عاد (قدرى) إلى مقعده ، وراح يلتهم شطائر اللحم البارد

فى نهم ، وهو يسأل (أدهم) بشغف :

- ألا تبدو لك هذه القهالة تقليدية للغاية ، مع عنف الأحداث

منذ البداية !!

سأله (أدهم) :

- أية نهاية ؟

توقف (قدرى) عن الأكل ، وهو يسأل :

- ألم يطلق المفتش سراخما بعدها ؟

هز (أدهم) رأسه نفراً بابتسامة هائنة ، فهتف (قدرى) :

- لا تقل لى - إن الإسرائيليين أعدوا كميناً لسيارة الشرطة !!

تسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

- لم يكونوا بحاجة إلى هذا ؟

لتلقى حاجبا (قدرى) فى حيرة ، وهو يغمغم :

- ما لذى يعنيه هذا ؟



« كم أشعر بالجوع ! »
قاله (قدرى) ، وهو يربط على كرسيه لصنم .

أجاب (أدهم) في هدوء :

- يعنى أن الأمور لم تسر بهذه البساطة يا صديقى
أزاح (قدرى) شظيرة اللحم جتبا ، وهو يسأل فى نهقة

كبيرة :

- ماذا حدث إذن ١٢

اتسعت ابتسامته (أدهم) أكثر ، وهو يقول :

- سأخبرك .

ثم عاد يروى ..

بالتفصيل ..

على الرغم من أن سيارة الشرطة كانت تتجه بالفعل نحو
تلك البقعة ، التي حاول عندها الإسرائيليون اغتيال الممثل
الفلسطينى ، إلا أن (أدهم) لم يشعر بالارتياح قط .
شيء ما جعله يتوتر فى مجلسه ، على الأريكة الخلفية
للسيارة ، على نحو شعر به رفيقه ، فقال على أنه يهمس :

- ماذا هناك ١٢

همس (أدهم) ، وهو ينوى معصمه على نحو شديد
المرونة ، داخل الأغلال الحديدية ، التي أحاط بها (لويى)
معصيه خلف ظهره ، فى محاولة للتخلص منها :

- لمست أبرى .. لمست أشعر بالارتياح .. هذا المقتش

لا يتصرف على نحو طبيعى .

سأله الفلسطينى فى قلق :

- كيف ١٢

أجابه (أدهم) :

- كان ينبغى أن يتخذ الإجراءات الرسمية منذ البداية ، وأن

يسجل كل الأسئلة والأجوبة . كما كان من الضرورى أن

يستدعى رجال الإسعاف من أجلك ، ولكنه لم يفعل كل هذا .

سأله الفلسطينى :

- وما الذى يعنيه كل هذا فى رأيك ١٢

هز رأسه ، قائلا :

- ربما يعنى أنه رجل مهمل بطبعه .

ثم تعهد حليياه ، مستطردا :

- لو أنه يتحلى وجود أية أوراق رسمية ، تشير إلى

وجودنا .

اتسعت عينا الفلسطينى ، وهو يهتف :

- رباه ! أنظم ما الذى يعنيه هذا .

لارتفع صوته مع هاتفه ، فالتفت إليهما المقتش ، قائلا فى

حدة صارمة عصبية :

.. اصمتا .

ثم رمق (أدهم) بنظرة غاضبة ، مستطردا :

.. أليس من العجيب أن يتحدث فرنسي مثلك العربية ؟؟

هز (أدهم) رأسه ، مجيبا :

.. إننى لم أتحدث العربية .

والتحد حاجبا المفتش فى شدة ..

وكذلك فعل للفلسطينى ..

فقد قلبه بغثة إلى أن (أدهم) على حق ..

حتى وهو يشعر بالتوتر ، لم يلبس حذره ودقته لحظة واحدة ..

تماما كما لو كان محترفا ..

بشدة ..

وكان من الواضح أن هذا يحقق المفتش . فذى نقل بصره

بينهما فى توتر بالغ ، قبل أن ينتفت إلى (لويس) ، فقللا فى

صرامة :

.. انحرف إلى اليمين ، ثم إلى أول شارع إلى اليسار .

تبادل (أدهم) ورفيقه نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأول :

.. إطلاق النار تم فى الشارع الرئيسى .

صاح به المفتش :

.. اصمت ..

ولكن (أدهم) لم يصمت .

لقد واصل فى استماتة محاولته للتخلص من القيود ، وهو

يقول :

.. المفترض أننا هنا لمعينة الموقع .

صاح به المفتش فى حدة وعصبية زائدتين :

.. قلت : اصمت .

التفت إليه الشرطى ، وهو يقول فى حيرة ، مطربا توجيهات

رئيسه :

.. ولكنهما على حق أيها الرئيس .. لماذا سنحرف إلى ...

لقطعه المفتش فى عصبية أكثر :

.. نفذ الأوامر بحسب .

ضمغم (لويس) فى توتر :

.. كما تحب إليها الرئيس .

وانحرف إلى اليمين ، ثم إلى اليسار ، فتأدهم هذا إلى شارع

جديد ، من شوارع (باريس) القديمة ، ينتهى بجدار آخر من

الطوب ، فضمغم (لويس) ، وهو يوقف بسيارة :

.. إنه شارع مغلق .

فتح المفتش باب السيارة ، وهو يقول فى توتر .

.. بالقصبط .

تبعه (لويس) خارج السيارة ، وهو يقول فى عصبية .
سيدى المفتش .. أعلم أنك رئيسى المبلشر ، ولكننى أكره أن
أساق إلى عمل ما كالأنعام . أريد أن أعرف لماذا نحن هنا
التقط (رونه) نفساً عميقاً ، فى محاولة للسيطرة على
أعصابه الثائرة ، قبل أن يقول فى عصبية :
- أعطنى مسدسك .

التفت عينا (لويس) فى دهشة ، وهو يقول :
- أعطك ماذا ؟
أجابه فى حدة :

- مسدسك يا رجل . مسدسك . فلم تسمعنى ؟
حدثى (لويس) ، فى وجهه لحظة ، قبل أن يهز رأسه ،
مفصفاً :

- لست لأهم شيئاً .. ما تطلبه ليس قانونياً .
العقد حاجباً للمفتش فى غضب ، فانتزع (لويس) مسدسه ،
وناوله إياه ، مستطرداً :
- ولكننى لن أحاول إغضبك .

التقط المفتش المسدس فى عصبية ، وفحص خزائنه فى
توتر ملحوظ ، جعل (لويس) يسله فى حذر :
- هل تشك فى شئ ما ؟

رفع المفتش عينيه إليه لحظة ، قبل أن يشير بإبهامه إلى
السيارة خلفهما ، وهو يقول فى انفعال :
- أنت تعلم أن إهمالك يستفزنى دائماً ، ولكن ليس إلى الحد
الذى يمكن لهنين استقلاله ، وسرقة مسدسك من حزامك ، مع
محاولتهما الفرار .
سقطت فك (لويس) السفلى ، من فرط دهشته ، وهو
يقول :

- ماذا تقول ليها المفتش ؟! ماذا تعنى ؟!
واصل المفتش حديثه للعصبى ، وكأنه لم يسمعه :
- إهمالك جعلهما يسيطران على الموقف ، وعندما حاولت
مقاومتهم ، أطلقا النار عليك ، مما دفعنى إلى قتلهم .
هتف (لويس) :

- ماذا تقول يا سيدى ؟! أهذا ما كنت تتوقع حدوثه ؟
رفع المفتش الممسك ، قتلاً فى عصبية شديدة :
- بل ما ينبغي حدوثه .
أفرك (لويس) الأمر ، فى تلك اللحظة فقط ، فوثب محاولاً
الفرار ..

ولكن المفتش ضغط زناد المسدس بالفعل .
وانطلقت الرصاصة ..

وفى مشهد مخيف ، أُلهم عيني (أدهم) ورفيقه ، نمتفت
الرصاصه رأس (لويس) المسكين ، لذى هوى جنة هلمدة فى
عنف ..

وبكل الفعالة ، صرخ للفلسطينى :

- كنت على حق .. قته فح .

ولم يجب (أدهم) .

لقد تجمعت مشاعره كلها ، وهو يحكى فى الرجال الأربعة ،
الذين برزوا من خلف مجموعة ضخمة من الصناديق ، فور
سقوط (لويس) ..

من القتل الإسرقيين ..

المحترفين .

★ ★ ★

٥ - المواجهة ..

نهض (صبرى) من فراشه ، وألقى نظرة شديدة التوتر
على ساعة يده ، لتى أشارت عقاربها إلى الثلثة والنصف
صباحا ، وغصم فى عصبية :

- لقد تجاوز الأمر حدوده .

قلها ، ويده تلتقط ساعة الهاتف المجاور للفراش ، و ...

« مهلا يا (صبرى) .. »

تطلعت الصيحة فى أعماقه ، فتجمعت يده الممبكة بمساعة
الهاتف ..

« لا تفسد كل ما صنعت .. »

« لقد قتلت لتصنع منه ما صار عليه الآن .. »

« ولا قيمة لكل هذا ، دون تدريب عملى جاد .. »

« ثم إنك لن تبقى إلى الأبد ، لتشعر بالخوف عليه وترعاه .. »

« فتركه يواجه الحياة وحده .. »

« والخطر أيضا .. »

« فتركه يتعلم كيف يقتل .. »

« وكيف ينجو .. »

ميرت في جمده قشعريرة باردة ، كأي أب يشعر بالخوف
والقلق على ابنه ..

أو كأي قائد ، يشعر بالقلق على أفضل رجلاه ، عندما تتأخر
أخباره ..

وفي خطوات بطيئة ، اتجه إلى النافذة ، وتطلع منها إلى ليل
(باريس) ، مضغماً :

- إنه يعلم أن القطار سيتحرك في الخامسة .

وصمت بضغ لحظات ، ثم كرر :

- إنه يعلم .

ثم أغلق عينيه ، وبذل جهداً للسيطرة على تفعاله الجارف ..
جهداً خرافياً ..

★ ★ ★

ابتسم قائد الإسرائيليين في ظفر ، وهو يتقدم نحو المفتش
(روليه) ، قائلاً :

- أحسنت يا رجل .. هكذا سيبدو الأمر منطقياً للغاية ..

محولة فرار ، انتهت بالفشل ، بعد مصرع أحد رجال تشرطة ..
صورة مثالية للغاية .

قال المفتش في عصبية :

- المهم أن ينتهي الأمر في سرعة .

اتسعت ابتسامة الإسرائيلي ، وهو يستل مصممه ، قائلاً :

- اطمئن .

ثم أشار إلى رفاقه ، فاستل كل منهم مصممه ، واتجه
أربعتهم نحو السيارة ، والأصمغ يقول سالخراً :

- يا للعرب ! أزهقنا بالمسعى خلفهما طوال الليل ، ثم انتهينا
إلى المصير ذاته .

هتف بهم المفتش ، في هذه اللحظة :

- مهلاً :

استدار إليه الأربعة ، فقال في عصبية :

- حتى يصبح الأمر منطقياً ، لا بد من قتلها بمسئس .

رفع قائد الإسرائيليين حاجبيه ، قائلاً :

- آه .. أنت على حق ..

ثم اتعد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد في صرامة :

- لو أن أمرك بهمنا .

تصمت عينا المفتش في ارتياح ، وتراجع هاتفاً ، وهو يرفع

مصممه (لويس) ، الذي يمسك به :

- ماذا تعني ؟

قبل أن تضغط مذبذبة الزناد ، انطلقت رصاصة صامتة من

مصممه الأصمغ ، اخترقت منتصف جبهة المفتش ، فجحظت

عيناه عن آخرهما ، وهبمت شفتاه بشيء ما ، قبل أن يسقط

كالحجر ، فابتسم السابق في سخرية ، مضغماً :

— يا للغبى ! هل تصور أننا سنترك شاهداً خلفنا ؟؟

قلب قلاده شفتيه ، متممًا :

— أحمق .

قلتها ، واستدار مع رفائقه مرة أخرى إلى السيرة . و ..

واتسعت عيونهم في غضب ذاهل ، والأصابع تصرخ .

— ماذا ؟؟

فلأمام عيون أربعتهم ، كان (أدوم) ورفيقه يعدوان بكل

قوتهما ، نحو ذلك الجدار الحجري ، وقد تخلصا من قيودهما .

ونجحا في فتح باب سبابة الشرطة ، الذي لا يمكن — عمليًا —

فتحه من الداخل ..

وهتف للسائق :

— مستحيل ! كيف فعل هذا ؟؟

صاح قلاده ، وهو يرفع فوهة مسدسه في سرعة ؟؟

— هل ستسأل ؟؟

قلتها ، وأطلق رصاصات مسدسه للصمته ، على نحو تتزعزع

رفائقه من ذهولهم ، فارتفعت فوهات مسدساتهم بدورهم .

واتطلقت الرصاصات ..

ولكن كومة أخرى من الصناديق حمت (أدوم) ورفيقه ،

ولثاني يهتف :

— للتأريخ بعيد نفسه . سنضطر للقفز فوق جدار حجري

مرة أخرى .

هتف به (أدوم) ، وهو يعاونه على عبور الجدار ، ووقع

أقدام الإسرائيليين الأربعة يقترب من موضعهما ، خلف كومة

الصناديق ، في سرعة :

— للتأريخ لا يعود نفسه قط .

قفز فلسطيني إلى الجانب الآخر من الجدار ، وراح يعدو

نحو ما بدا له أنه يشبه بمخزن بضائع كبير ، في حين وثب (أدوم)

يتعلق بالجدار ، ثم يدفع جسده إلى أعلاه ، وهو يكمل :

— [لا تتعلم مما سبق .

برز الأصابع في هذه اللحظة ، وهو يهتف :

— ها هو ذا .

ثم أطلق رصاصته ..

ولكن (أدوم) وثب في خفة ، وتجاوز الرصاصة ، فصاح

الأصابع في حنق :

— لقد أفلتت .

أجابه زميله في حزم :

— ليس بعد .

ثم أشار بسبابته إلى الجدار ، مستطردًا :

— إنهما لم ينجوا ، وإنما صاروا مجننين لدخل مخزن بضائع

ضخم ، وهو لا يحوى — بخلاف هذا الجدار — سوى مخرج

واحد ، ضد الشارع الرئيسي ، وهو باب من الصلب بقليل ضخم ،

وربما يستحيل تحطيمه ، ولا توجد سوى نوافذ مغلقة يقضبان
من القولاة .

وتلقت عيناه ، وهو يضيف قى شراسة :

- وهذا يطلى أنهما لن يخرجنا من هذا المكان على قيد
الحياة قط .

تبادل الثلاثة الآخرون نظرة شديدة التوتر ، وتحنج لحدهم
فى عصبية ، ولوح الثأرى بمسدسه ، فى حين قال الثالث ، فى
عصبية واضحة :

- هلا أصبحت صا لديك يا (داريل) .

مط الإسرائيلية (داريل) شفتيه ، وبدا بوضوح أنه قد
مجموعة الاغتيل ، وهو يشعل سيجاره الضخم وينفث دخانه
فى قوة . ثم يشير بيده ، قائلا فى حزم صارم ، وهو يتطلع إلى
الأصبع الضخم والسلق :

- ابقى هنا مع (كاهان) يا (بنيامين) ، وابقيا على حذر
متحفظ طوال الوقت ، وإذا ما حاول الفلسطينى أو الفتى الخروج
من هنا ، اقتلوهما على الفور ، أما أنا و(إيراك) ، فسننتقهما
إلى الداخل .

وداعب مسدسه ، وهو يستنرد فى سخرية شرمة :

- ولو مار كل شيء على ما يرام ، فلن تروهما مرة أخرى ..

أبدأ .

تبادل الأصبع ابتسامة سالخرة مع السائق (كاهان) ، قبل
أن يقول فى ثقة :

- إن فلن نراها أبداً يا أنون (داريل) .

لوما (داريل) برأسه موافقا ، ثم أشار إلى زمينه ، واتجها
معا نحو الجدار ، فهتف الأصبع (بنيامين) خلفهما :

- ومذا عن الشرطة للفرنسية ؟ لقد أطلق ذلك المفتش
قتار فى الشارع .

أشار (داريل) من خلف ظهره ، قائلا :

- اظمن .. سيتولى رفيقنا الأمر .

قالها ، وقفز يتعلق بجدار بدوره ، ثم وثب مع زمينه
(إيراك) إلى للجانب الآخر منه ، وكلاهما يستل مسدسه
لمزود يكتم للصوت ، استدلا الخوض معركةهما مع (لاهم)
ورفيقه الفلسطينى ، غير المسلحين ..
مركتهما الأخيرة .

★ ★ ★

تحصن (لاهم) إصابة رفيقه الفلسطينى فى اهتمام بالغ ،
وهو يقول فى توتر :

- الرصاصة اخترقت كتفك الأيسر ، وخرجت منه بالفعل ،
ولكنك بحاجة إلى بعض الضمادات والتطهير .

غمغم الفلسطينى :

- لا تقلق بشأنى .. يمكننى أن أعمل لبعض الوقت .

تتهذّب (أدهم) ، وهو يتلفّت حوله ، قائلاً :

— يبدو أنّه ليس أمامك سوى هذا ، فتحنّ لدخل مخزن بضائع على الأرجح ، ومن الواضح أنّه ليس له مخرج من هذه التحفة ، فبابه من الصلب القوي ، ومخلق بإحكام شديد ، والنوافذ مغلقة بفضبان من الفولاذ ، حتى أنّه ليدعّشني أن أمكننا دخوله من الجانب الآخر بهذه البساطة ، بمجرد القفز عبر جدار من الطوب .

انقسم الفلسطيني قائلاً :

— من الواضح أنّه ليس هناك وطن للقصور والإهمال يا فتى .

نُشّر (أدهم) بيده ، قائلاً :

— ليست هذه هي القضية الآن يا صاه .. للمشكلة الحقيقية

هي أنّه ليس لنا من مخرج ، سوى ما أتيننا منه ، وهؤلاء الإسرائيليون لن يسمحوا لنا بالعودة منه أبداً . بل وسيدعّشني لو لم يتطبّونا إلى الدخول لإكمال مهمتهم .

سأله الفلسطيني في حذر :

— وكيف علمت أنهم إسرائيليون ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ومن سواهم يتبادل أحاديثه بالعبرية ، ويسعى لاغتيال أحد مسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية .

استعت عينا الرجل في دهشة ، وهو يهتف .

— هل تعرّفتي ؟ عجب ! إن صورتي لم تتّشر من قبل قط ؟!

أجاب (أدهم) في سرعة .

— لم تعرّفك شخصياً ، ولكنني خمنت الأمر ، من لهجتك

الفلسطينية . ومحاولة الإسرائيليين لاغتياك .. كان استنتاجاً

موفقاً .. أليس كذلك ؟!

حنّ الفلسطيني فيه بضعة لحظات في حذر قلبي ، قبل أن

يسأله :

— أنت مصري .. أليس كذلك ؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً . دون أن يلبس ببنت شفة ،

سأله الرجل في حذر أكثر :

— كم يبلغ عمرك ؟

أجابه (أدهم) في سرعة

— أنا في السابعة عشرة من عمري

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة بالغة ، وهو يقول .

— فقط ؟؟ عجباً ! إنك تبدو أكبر من هذا ببضع سنوات

انقسم (أدهم) ، قائلاً :

— هل يوحى تكويني الجسماني بهذا :

هزّ الرجل رأسه ، مضطرباً ، وهو يشير إلى رأسه :

- ليس التكوين الجسماني فحسب ، ولكن عقلك وأسلوبك أيضاً .. إنك .. إنك .

حار لحظة ، ولكنه يبحث عن كلمات مناسبة لوصف ما يشعر به ثم لم يلبث أن هتف :

- إنك تبدو متميزاً ، بالنسبة للمراقبين في مثل عمره .
ابتسم (أدهم) ، وهز كتفيه ، دون أن يجيب ، فمد الرجل يده إليه ليصافحه ، وهو يقول :

- اسمي (مازن) ، ويلقبوني بلبي جـ ...
فقطعه (أدهم) فجأة ، وهو يشير بيده في حزم هلمس :
- مهلاً .

ثم تحرك على أطراف أصابعه في خفة ، وألقى نظرة على مدخل المخزن الخلفي ، قبل أن يتراجع ، هاتفا بصوت خافت :

- لقد كنت على حق .. بهم هنا .
هتف (مازن) :
- الإسرائيليون ؟

أولاً (أدهم) يرأسه إيجاناً ، وقال في حزم :
- نعم .. الاثنان اللذان حاولا اغتيالك هنا ، وأعتقد أن الآخرين بحرسان المخرج الخلفي ؛ لمنعا من الفرار ، في حين سيبحث عنا هذان ؛ للقضاء علينا قضاءً مبرماً .

قال (مازن) في عصبية :
- إننا لا نملك أية أسلحة .

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يراقب الرجلين ، اللذين راحا يتحركان في حذر داخل المخزن . وكل منهما يحمل مسدسه الممزود بكتف للصوت ، ومصباحاً يدوياً قوياً ، ثم لم يلبث أن قال في حزم :

- من قال هذا ؟
ثم تحرك في خفة ، والتقط أحد صناديق البضائع المحيطة بهما ، وراح يحلّ للحبل الذي يلتف حوله ، في سرعة ومهارة ، و (مازن) يراقبه في دهشة ، قبل أن يسأله :

- من علمك هذا ؟
صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يجيب بالهتامة باهتة :
- دروس الكشافة (*) .
هز (مازن) رأسه ، قهلاً :

(*) الكشافة حركة رياضية اجتماعية تربية ، تقوم على تنظيم اللشكاريين في فرق ، تحت إشراف قائد مدرب ، يفرض عليهم مدته ، ويلاحظ سلوكهم ، وينقلهم مجموعة من المهارات للاعتماد على أنفسهم ، والتعاون مع الآخرين ، وللتنضحية في سبيل المجموع ، والحركة الكشفية ليس لها طابع ديني ، أو سياسي ، أو مذهبي ، أو حضري . ولقد أسسها اللورد الانجلوي (بالإنجليزية) (١٨٥٧ - ١٩١٦ م)

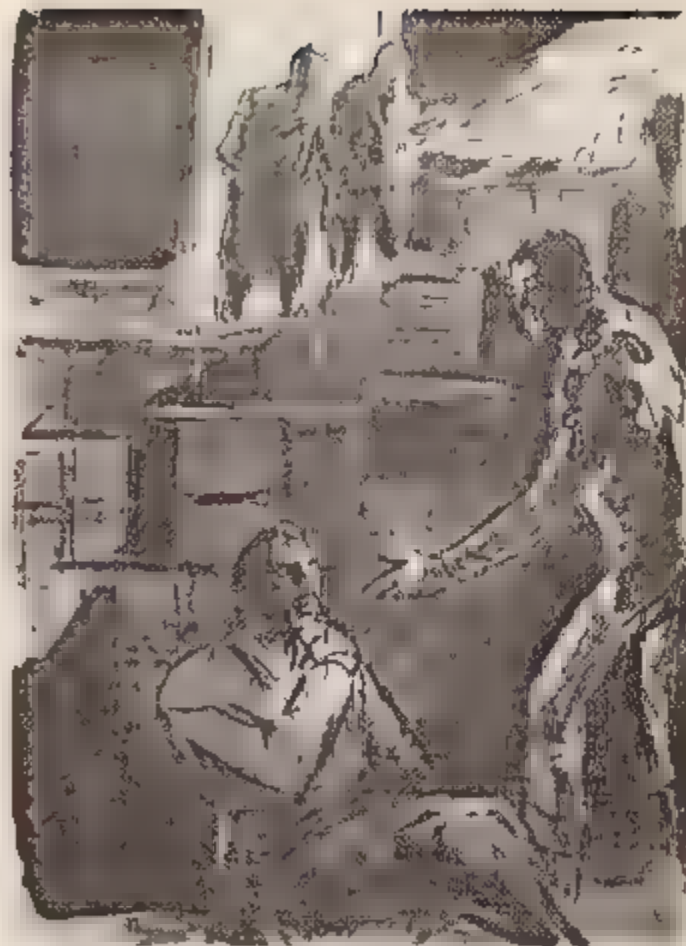
- كلاً . لنا كشف قديم ، وأعلم جيداً أن ما تفعله يفوق
المهارات الكشفية بكثير . لقد تم تكريتي على يد خبير .. اليس
كذلك ؟

صمت (أدهم) بضع لحظات أخرى ، ثم تجاهل الأمر كله ،
وهو يلتفت إليه ، قائلاً في حزم لا يناسب عمره :
- اسمعني جيداً يا سيد (مازن) . أعلم جيداً أنك أحد
القادة وأن طبيعتك تستحقك على المقاومة والنضال ، ولكن
إصابتك الحالية تمنعك من التعامل بالقوة اللازمة ، مع هؤلاء
القتلة ، لذا فاق أرجوك أن تبقى هنا ، وتلتزم الصمت والهدوء
للتأمين ، حتى يمكنني التخلص منهما .
هتفت (مازن) معترضاً :

- هل تعني أن تواجه قاتلين محترفين وحدك ؟ هذا مستحيل
يا فتى .. إتنى لن ...

قاطعه (أدهم) في حزم :
- أرجوك يا سيد (مازن) .. لا وقت لمناقشة هذا ، ولكن
تأكد من أنني قادر على مواجهة هذا الأمر .. سنقتل .. لنحن
ثقتك ، وأعدك ألا أخذلك قط .

حنق (مازن) في وجهه بدهشة ، وشعر بقلبه ينتفض في
أعصابه ، مع تلك الرجولة المبكرة ، التي تفوح رائحتها بقوة



صمت (أدهم) لحظة ، وهو يراقب الرجلين ، اللذين راحا يتحركان في
حذر داخل الحزن ..

من ذلك الشاب الوسيم للواقف أمامه ، وهم بالاعتراض مرة أخرى على قيلمه بدور سلبى فى الأمر ، إلا أن شيئاً ما فى أعماقه ، لو فى لهجة (ادهم) وأسلوبه ، جعله يغضب :
- لا بأس .

ثم غلبته طبيعته العنيدة ، فاستطرد فى حزم :
- ولكننى سأبتذل ، إذا ما حتمت الظروف هذا أوما (ادهم) برأسه ، قفلاً بابتسامة هائلة :
- اتفقنا .

فألفها ، ثم تحرك فجأة فى سرعة ونشاط ، ووثب نحو كومة من صناديق البضائع ، وراح يتسلقها فى خفة ، فى نفس الوقت الذى قال فيه (إبراك) نزميله (داريل) فى توتر ، وهو يشير مصبلحه لليدوى فى المكان :
- نست أرى أو أسمع شيئاً .. هل تعتقد أنهما نجحاً فى الخروج من هنا ؟؟

أجاب (داريل) فى حزم ، وهو يشير فوهة مستعمه فى حذر :
- مستحيل ! أنا أعرف هذا المكان جيداً ، ولا يوجد سبيل للخروج ، سوى هذا الذى جاء منه .

غمغم (إبراك) :

- ألا يدهشك عدم وجود أى حراس ، فى مخزن كبير كهذا ؟؟
لقد استطعنا الدخول إليه فى سهولة ، وأى نص كان يمكنه فعل هذا أيضاً .

أجابه (داريل) :

- كلاً .. هذا لا يدهشنى على الإطلاق ، لأن كل هذا من إعدادنا نحن .

هتف (إبراك) بدهشة بالغة :

- من إعدادنا نحن ؟؟

أوما (داريل) برأسه ببجلاً ، وهو يقول بشيء من الزهو :
- نعم يا رجل . نحن رشونا طاقم الحراسة ، ليغادر المكان كله الليلة ، لأننا كنا نخطط للاختباء هنا ، بعد اختيال تلك الفلسطينيين ، ولولا هذا لوجدت طاقم حراسة فى تلك الشارع نصف المظلي ، ورجلين من رجال الحراسة دخل المخزن نفسه .

تمتم (إبراك) ، وقد منحه هذا مزيداً من الثقة :

- رائع . كم يستعنى أن يخطط الرؤساء الأمر بهذه الدقة ، لم يكذبتم عبارته ، حتى أنه صوت من أعلى ، يقول فى صخريّة :

- اللهم أن يتحوّل التخطيط إلى تنفيذ ناجح .

كانت العبارة للسخرى باللغة العبرية نفسها ، التى يتحدثان

بها ، فتحرك كلاهما في سرعة ودخشة وتوتر ، وارتفعت فوهتا
ممنميهما ، و ...

وفجأة ، لاحظت أنشودة حبل بنزاع (داريل) ، ثم لتفتت
حول ساعده في قوة ، قبل أن يجنبها (آدم) بكل قوته ، من
فوق مجموعة كبيرة من صناديق البضائع ..

وتطلقت شهقة ألم ودخشة من حنجرة (داريل) ، عندما ارتفعت
أقدام بضعة مستثمرات عن الأرض ، قبل أن يفلت (آدم)
للحبل فجأة . فисقط الإسرائيلي ، ويرنطم بالأرض في عنف .
لما (إيزاك) ، فقد رفع فوهة مسدسه ، في توتر لا محدود .
وراح يطلق رصاصاته الصامتة في عصبية ، نحو قمة
الصناديق ، وهو يبحث ببصره وضوء مصباحه اليدوي عن
(آدم) ، الذي اختفى تمامًا ، في حين راح (داريل) يحل
الأنشودة من حول ساعده ، وهو يهتف في غضب هادر :

— هذا الفتى ليس علفيًا ، إنه يتحدث العبرية ، ويجيد
مهارات لا قبل لشاب عادي بها .. إنه ليس مجرد مراهق
مذعور كما تصورنا .

هتف (إيزاك) ، وهو يتلفت حوله ، في عصبية بلغة .

— ألم لك هذا من قبل ؟؟

هب (داريل) واقفاً ، وهو يقول في حدة :

— ولكنه لن يفلت منا .. لنصم أن اقتله ، قبل أن ينتصف
للليل .

غصم (إيزاك) في عصبية :
هذا لو عثرنا عليه أولاً .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبرته ، كان (آدم)
يتحرك في سرعة ونشاط ، لينتزع واجهة أحد مصابيح الإضاءة ،
ويجنب السلك الكهربائي من دخله ، ويوصله بمسك آخر طويل ،
عثر عليه وسط البضائع . ثم يجذب إليه عربة معدنية ، من تلك
العربات المستخدمة لنقل البضائع . وراح يوصل بها أحد
أطراف السلك ، في سرعة وإهتمام ، وهو يتمم في شيء من
المسخرة :

— من المؤكد أن لقائنا القادم سيكون صدمة لهؤلاء
الإسرائيليين .

نطقها ، ثم اعتدل ، وضرب العربة المعدنية بقدمه في قوة ،
لتدفع إلى زاوية من زوايا أكوام صناديق البضائع الكبيرة ،
وتعتم :

— والآن ، علينا أن نستغل ذلك للغضب الهادر ، الذي أشعلناه
في أعناقهم .

وتدفع متجاوزًا العربة ، وقفز عبرها ، و ...

ولجأة ، وجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام (داريل) و (إيزاك) .
ونجزء من الثانية ، ارتسمت دهشة بالغة على وجهي
الرجلين ، إلا أنهما تجاوزا تلك الدهشة بسرعة خرافية تتناسب
محترفين مثلهما ، وارتفعت فوهات مسدسيهما نحو (أدهم) ،
لى أن واحد تقريبًا .

ثم انطلقت الرصاصات للصمته ..

وبمنتهى الغزارة ..

والعنف

★ ★ ★

٦ - الصدمة ..

كل شيء كان يعتمد على التوقيت الدقيق ، لى هذه المرة ..
فعلى الرغم من أثر المفاجأة ، الذى ارتسم على وجه
(أدهم) ، إلا أنه كان يتوقع وجود (إيزاك) و (داريل) ، لى
ذلك الموقع بالذات ، عندما قفز إليه ، وعندما رسم على وجهه
تلك الدهشة الزائفة ..

وعندما ارتفعت فوهات مسدسيهما نحوه ، وثب بكل قوته ،
عائدًا إلى موضعه ، وتغذى تلك العربات المعدنية ، وهو يقفز
ليتصلق كومة الصناديق مرة أخرى ..

وانطلقت رصاصات الرجلين ، بمنتهى الغزارة والعنف ،
لتخترق عشرات من صناديق البضائع ، دون أن تصيب
رصاصه واحدة منها (أدهم) ..

وبكل الغضب والاتفعال ، انطلق الرجلان خلف (أدهم) ،
و (داريل) يصرخ :

- لن نقتل مرة أخرى أبدًا .

صاح به (إيزاك) ، وهو يدور حول كومة الصناديق
الكبيرة :

- أقسم أن أطلق النار عليه ، عندما ..

قبل أن يتم عبارته ، فوجئ بالعوية المغطية أمامه ، وحاول تفلاذ الاصطدام بها ، إلا أن المسافة التي تفصله عنها لم تسمح له بالتوقف المباغت ، فامتدت يده تمسك بها بحركة آلية ، و ...

وانطلقت من حلقه صرخة ألم عذبة ، وجسده كله ينتفض في قوة ، مع سريان التيار الكهربى فيه ، وطار المسدس من يده ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتجفت أطرافه كلورق خفيفة في مهب الريح ، ثم هوت في المكان فرقة مكتومة . سقط (إيزاك) بعدها أرضاً ، وبخان خفيف يتصاعد من شعره .. واتسعت عيـد (داريل) ، في توتر بالغ ، وهو يتراجع في حذر عصبى . وبتلفت حوله ، هاتفاً في غضب سلخط :

- ذلك الفتى ليس عادياً .. ليس عادياً أبداً .

تلفت حوله في عصبية بالغة ، ولقى نظرة أخرى على زميله الملقى أرضاً ، ثم لم يلبث أن أطفأ مصباحه الينوى ، وهو يتمتم :

- ما دمت لا أراه ، فلا ينبغي أن يراى .

سرت في جسده موجة عارمة من التوتر ، وهو يمسير داخل المخزن ، وبين أكوام الصناديق الكبيرة ، بمنتهى الحذر والقلق ، وأذناه تحاولان رصد أية حركة من حوله ..

وفجأة . التفتت لئناه صوت أنفاس تتردد .

أنفاس شخص مرهق أو متعب ، على مسافة ثلاثة أمتار منه فحسب .

وبمنتهى الحذر والحرص . صوب (داريل) مسدسه ، نحو مصدر الصوت . واستعد بمصباحه الينوى ، وقلبه يخفق في عنف

ثم فجأة ، رفع مصباحه ، وأضاءه ، وهو يهتف :

وقعت يا فتى .

اتحد حاجبه في شدة ، عندما أدرك أنه بصوب مصباحه إلى (مازن) . وليس إلى (أدهم) . إلا أن هذا لم يمنعه من اتخاذ وضع للتصويب في سرعة ، و .

وفجأة . وبلا مقدمات هوت على رأسه صاعقة ..

صاعقة بشرية ، تحمل اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وقبل أن يستوعب عقل (داريل) ، المحترف الأمر ، كانت قبضة (أدهم) للشاب تحطم ألفه بكمة كالقنبلة . ثم تندفع قبضته لثانية لتهوى على فكه كمطرقة من الصلب ..

وتراجع (داريل) مع عنف اللكمتين وقوتيهما . واتسعت

عيناه في ألم ودهشة . وهو يقول :

- لا . ليس من الممكن أن يفعل شاب في عمرك هذا بى

تندفع (مازن) نحوه ، وهو يهتف :

ما رأيك إذن في قبضة ناضج ؟

قالها ، وهوى بقبضته على فك الإمبراطلى كصاعقة هائلة ،
لنترعته من مكفه ، وألقت به ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ليرتطم
بكومة من الصناديق ، ثم يسقط أرضاً ، وتهوى كومة الصناديق
فوقه في عصف ..

وفي ظفر ، هتف (مازن) :

« لقد فعلناها يا فتى .

ارتسعت ابتسامة هائلة على شفتي (أدهم) ، وهو يستعيد
لغة الحبال ، ثم يقيد (داريل) و (بيرك) في إحكام ، قائلاً :
« لست أحب أن أفسد إحساسك بالظفر يا سيد (مازن) ،
ولكن المشكلة لم تنته بعد ، فمزال الأصبع ورفيقه ينتظرنا ،
عند المخرج الوحيد المتاح للمكان .

لتعقد حاجب (مازن) ، وهو يقول :

« لم أتس هذا يا فتى ، ولكن من حلى أن أسعد بانتصارنا

على هذين اللوغدين .

فبتسم (أدهم) ، قائلاً :

« بالتأكيد .

ثم التقط مسدسى (داريل) و (إيزاك) ، وناول أحدهما
لرفيقه ، قائلاً :

« من المؤكد أنك تجيد إطلاق النار أليس كذلك ؟

لارتسعت ابتسامة عجيبة على شفتي (مازن) ، وهو يجيب :

« ترى هل سيدهشك أو يحبطك ، لو جاء الجواب بالنفى

يا فتى ؟

ارتفع حاجبا (أدهم) بدهشة حقيقية ، ثم انحفضا وهو
يتمتم :

« بل سيدهشنى هذا فحصب يا سيدي ، وسيثير في نفسى

عشرات التمازلات بالتأكيد .

قصعت ابتسامة (مازن) ، وهو يقول :

« ربما تزول دهشتك لو علمت أنني بالفعل أحد مسئولى

جبهة التحرير الفلسطينية ، ولكننى لست ، ولم أكن يوماً من
حاملى السلاح ، فسلحى يختلف تمامًا عما يستخدمه هؤلاء .

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

« إننى أحارب بالقلم .

غمغم (أدهم) ، وهو ينظر إليه فى انبهار :

« حقاً ؟

هز (مازن) كتفيه ، قائلاً :

« نعم .. حقاً يا فتى .. إننى للمسئول عن صياغة كل البيانات ،

التي تقدم وتشرح قضيتنا للعالم أجمع ، ومن الواضح أن
الإسرائيليين قد أدركوا أخيراً أن القلم لا يقل خطورة عن المدفع ،

وإلا ما سعوا لاغتيالى .

ولفقه (أدهم) بإيماءة من رأسه ، وقال فى رصانة مذهشة :

- ليس يؤمن دالماً بأن القلم سلاح أمضى من السيف .
تطلع إليه (مازن) لحظة ، على الضوء الخافت ، قبل أن
يغمغم في إعجاب حنون :

- كم أتمنى أن ألتقي بسبك .

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- من يدري ؟ ربما يحدث هذا ذات يوم

ثم استعاد حزمه ، وهو يشير إلى مخرج المخزن ، مستطرداً :

- ولكن المهم الآن أن نجد وسيلة للخروج من هنا .

لرّج (مازن) بسمسه ، قائلاً :

- على الأقل ، يمكننا أن نحارب ، في سبيل هذا .

تطلع (أدهم) لحظة في صمت ، قبل أن يقول :

- ربما كانت هناك وسيلة أفضل .

نظر (مازن) إلى عيبيه مباشرة ، محاولاً قراءة ما يدور

في عقله ، إلا أن وجه (أدهم) بدا له جامداً ، هادئاً ، غامضاً .

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

انقضى (بنيامين) نظرة متوّرة على ساعته ، وهو يتلفت إلى

السائق (كاهان) قائلاً في عصبية زائدة :

- لماذا تأخراً إلى هذا الحد ؟ إنها العاشرة مساءً . كان

ينبغي أن ينتهي الأمر قبل هذا بكثير .

قال (كاهان) ، وهو يدخن سيجارته في توتر مماثل .
- لا يمكن مظنم كما تعلم . ولا يمكنهما إضابته ، حتى لا يجذبيا
الانتباه إليهما ، وهذا يعني أن يستغرقا بعض الوقت ، في
المسعى خلف الرجل والغتي .

هزّ (بنيامين) رأسه في عصبية ، قائلاً :

- ليس إلى هذا الحد .

لم يكذب عيارته ، حتى سمع صوت (داريل) يأتى من

خلف الجدار ، وهو يعمل بشدة . هاتفاً بصوت مختلئ :

- أسرعوا .. إنا نحتاج إلى مصاعنكم .

هتف الأصلع ، وهو ينتزع مسدسه :

- كنت أعلم أن هناك لمراً غير طيبعى .

أما السائق ، فالتقى سيجارته ، واستل مسدسه ، هاتفاً :

- أسرع يا رجل .. إلهما يحتاجان إلينا .

انطلق الاثنان نحو الجدار ، وقلز الأصلع يتعلّق به ، وهو

يهتف :

- لو أن ذلك للفلسطينى قد لصبيهما بأدنى سوء ، فأقسم

أن ..

كان يعبر الجدار ، وهو يهتف بعبارته ، وقبل أن يكملها ،

سمع صوتاً من تحته مباشرة ، يقول في حرم :

- هل يزعجك الفلسطينى إلى هذا الحد ؟

هبط الأصلع ببصره إلى ما خلف الجدار مباشرة ، ووقع
بصره لحظة على (مازن) ، قبل أن يهوى هذا الأخير على
وجهه بلوح من خشب صناديق البضائع ، بكل ما يملك من
قوة ..

ونوى في المكان صوت ارتطم مكتوم ، عندما أصاب اللوح
وجه الأصلع ، الذي اختل توازنه ، فسقط إلى الجانب الآخر
للجدار ، وارتطم بالأرض في عصف ، في نفس اللحظة التي
اندفع فيها (أدهم) نحو الجدار ، من الاتجاه العكسي ، وفتز
فوق كومة أخرى من الصناديق ، على الجانب الآخر ، ليثب
ملها عبر الجدار ، ويهبط على مسافة متر واحد من (كاهان) ،
الذي انفتت إليه بمسندسه ، هاتفا في عصبية غاضبة :
- أيتها اله ...

قبل أن ينطقها ، كان جسد (أدهم) يدور في الهواء ،
بحركة قتالية مذهشة ، ثم تثب قدماه ، لتركلا المسندس من يد
الإسرائيلي ، ونضربا وجهه في اللحظة ذاتها ..
ومع دوى صوت ارتطم مكتوم آخر ، هب (كاهان) من
سقطته ، وهو بهتف :

- مستحيل ! لا يمكنك أن تهزمني أيها الفتى . إني ..
ولم يمنحه (أدهم) الفرصة لإتمام هذه العبارة أيضا ..
لقد وثب مرة أخرى بقدميه معا ، ليركل قف (كاهان) وفكه

ركلتين سريعتين متعاقبتين ، دفعا الرجل في عصف ، ليرتطم
ظهره بالجدار في قوة ، وعندما ارتد عنه ، استقبلته لكمة
(أدهم) في ثغره مباشرة ، ليهوى هذه المرة فاقد النطق .
ومن أعلى الجدار ، ارتفع صوت تصفيق حار ، يمتزج
بصوت (مازن) ، وهو يقول :

- رافع يا فتى .. لولا أنني رأيت هذا بنفسى لما صدقته
لقد هزمت محترفا يفوقك حجما بمرتبتين على الأقل ، وقلدت
صوت آخر بدقة ومهارة مذهبتين .
هز (أدهم) كتفيه ، قللا :
- كان هذا من قبل المصافحة .

هتف (مازن) ، وهو يهبط إلى حيث يقف (أدهم) :
- مصافحة ؟! محال يا فتى صحيح أنني نسمت مقاتلا ،
ولكن هذا لا يمنعني من تمييز المحترفين ، عذرا لتلقى بهم ،
وتقليد صوت ذلك الإسرائيلي ، لم يكن من أعمال الهواة .

ثم تطلع إلى عيني (أدهم) مباشرة ، مستطردا :
- ومزلت أصر على أنك تخفى شيئا .
بنت له ابتسامة (أدهم) غامضة ، وهو يقول :
- وهل يمكن لمن في مثل عمري أن يخفى شيئا ؟
تطلع (مازن) إلى عيني لحظة ، ثم لم يلبث أن أطلق
ضحكة عالية مجلجلة ..

ضحكة جاوبها (أدهم) بابتسامة هائلة ، على الرغم من
أنها قد ترددت في المكان كله ، حاملة كل دهشة والتفعل
(مازن) ..

وكل إعجابه ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

امتنت يد (مازن) تصافح (أدهم) ، بكل تقدير وإعجاب ،
للمام مبنى السفارة السورية في (باريس) ، وهو يقول :
- أشكرك كثيراً يا فتى .. لقد أنقذت حياتي ، وغيّرت الكثير
من نظرتي للأمور ، ولا يمكنك أن تتصوركم قمتي أن للتقى
ثانية ، في ظروف الفضل .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- صدقتي يا سيد (مازن) .. أنا أيضاً أتمنى هذا .

ثم سأله في اهتمام :

أنت والى من أنك ستجد الأمان هنا ؟؟

نوماً (مازن) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- بكل تأكيد .. (سوريا) هي وطني الثاني بعد (فلسطين) ،

فلنا قديم بها منذ زمن طويل ، ولى فيها عشرات الأصدقاء ،

وعلى رأسهم الملحق العسكري بالسفارة هنا .

بدا الارتياح على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

- عظيم .. أعتقد أن هذا يعنى أن نفترق هنا .



فركل أنف (كاهان) وفكه ركلتين سريعتين متعاقبتين ، دفعتا الرجل في
صنف ، ليرتطم ظهره بالجدار في قوة ..

غمغم (مازت) :

- للأسف !

ثم تنهد ، وهو بصافح (أدهم) ثانية ، قائلاً :

- لن أسمى هذه الليلة ما حييت ، وأتمنى من كل قلبى أن تنقل تحياتى إلى والدك ، الذى لم ألتق به قط .. أخبره أن لديه أفضل ابن فى الدنيا كلها .

اتسعت لهتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

- سأحاول .

تصافحا للمرة الثالثة ، ثم افرقا عند هذه النقطة ، ومن (أدهم) كفيه فى جيبى سترته الرياضية البسيطة ، وهو ينطلق فى شوارع (باريس) ..

ولكن بروح مختلفة تماماً ..

الآن فقط ، لم تعد (باريس) مجرد حلم راوده ، منذ سنوات عديدة ..

لقد صارت أيضاً حلبة لأول مواجهة حقيقية له مع (الموسك) ..

وأول انتصاراته ، فى هذا العالم الغامض المثير ..

الآن فقط يشعر بأن تدريباته لم تعد مجرد نظريات ، ومحاولات للفهم والاستيعاب وحفظ المعلومات ..

لقد خاض تجربة فعلية مع العدو ..

وانتصر ..

وياله من شعور !!

شعور سيطر على كياته كله ، وجرف أمامه كل المشاعر الأخرى ، حتى إنه تجاوز برج (إيفل) ، الذى طالما حلم برؤيته ، دون أن يلقي عليه نظرة واحدة ، من فرط نشوة ..

وفى محطة قطار (باريس) ، كان القلق يعصف بنفس (صبرى) ، وهو يتطلع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الخامسة إلا خمس دقائق ..

خمس دقائق فحسب ، وينطلق القطار فى رحلته إلى (مارسيليا) ..

ولم يظهر (أدهم) بعد ..

وعلى الرغم من كل النظريات التى يؤمن بها ، والتى عمل كثيراً لتحقيقها ، راح قلبه يرتجف فى صدره ..

أين لونه إذن ؟

أين ؟

واتطلق عقرب الدقائق يعدو كجواد جامح ..

ولم يتبقى سوى أربع دقائق ..

ثلاث ..

اثنان ..

دقيقة واحدة ..

واتطلقت صفارة القطار ..

لقد حان موعد تحركه ..

ولم يظهر (أدهم) بعد ..

وهو قلب (صبرى) بين قدميه ، عندما تحرك القطار بالفعل ، و ...

وفجأة ، ظهر (أدهم) ..

ظهر عند مدخل الرصيف ، وانطلق يدعو بكل قوته نحو القطار .

وبكل لهفة الدنيا ، تبعه (صبرى) ببصره ، ثم اندفع إلى باب القطار ، ومذ يده ، هاتفا :

- هنا يا (أدهم) ..

وقفز (أدهم) ..

وانتقلته يد والده ..

وجذبه إلى داخل القطار ..

ودون أن يتبدل كلمة واحدة ، التفت عيونهما طويلاً ..

ثم اتجه (صبرى) مع ابنه إلى مقعديهما ، وجلسا متجاورين ..

وبعد برهة من الصمت ، قال (صبرى) ، وقد نجح أخيراً في السيطرة على انفعالاته :

- حمداً لله على سلامتك .

ابتسم (أدهم) ، وهو يسترخى في مقعده ، قائلاً :

- أشكرك يا أبى .

ترنّد (صبرى) لحظة ، ثم سألته :

- هل راق لك (باريس) ؟

اسبل (أدهم) جفنيه ، وهو يقول :

- من المؤكد أنها تجربة فريدة ، لن أنساها أبداً .

ابتسم (صبرى) فى ارتياح ، قائلاً :

- ستكون هناك تجارب أخرى فى المستقبل ، فمازالت هناك مهارات شتى لاكتسابها ، وبلاد أخرى لتزورها ، وتمتزج بشعوبها وعاداتها وتقاليدها . المهم أن تكون قد أبتعدت عن المتاعب هذه المرة .

صمت (أدهم) بضع لحظات ، فتح خلالها عينيه ، ثم عاد يسبلهما فى استرخاء . قائلاً :

- لم يكن هناك ما يستوجب القلق .

قلها ، وابتسامته تتسع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

« إذن فوالدك (رحمه الله) لم يعلم بأمر تلك المواجهة ، قط .. »

هتف (قدرى) بالعجارة ، فى مزيج من الدهشة واللهفة ،
فابتسم (أدهم) ، وهو ينهض ، قائلاً :

- قلت لك : إن أحداً لم يعلم بهذا قط ..

ثم اعتدل ، وشرد بصره لحظة ، قبل أن يستطرد :

- الواقع أننى لم أجد حينذاك مبرراً لبث القلق فى نفس
والدى (رحمه الله) برواية أمر كهذا ، واكتفيت بشعورى
الداخلى بالتظفر والزهو ، لانتصارى على أربعة من قتلة
(الموساد) المحترفين ، فى مواجهة الأولى مع الإسرائيليين ..
كان هذا ، ومازال يكفينى ثمناً .

وهو كتفيه ، وهو يستعيد ابتسامته ، مستطرداً :

- ثم تذكر إن والدى قد ربّنى على أن أهم عامل فى عملنا
هذا هو السرية .. السرية المطلقة .

غمغم (قدرى) بابتسامة عريضة ، وهو يشعر بالزهو
والفخر ؛ لأنه للشخص الوحيد ، فى العالم أجمع ، الذى شارك
(أدهم) من مواجهته الأولى مع الإسرائيليين :
- بالتأكيد يا صديقى .. بالتأكيد .

لوح (أدهم) بيده ، وهو يتجه إلى الباب ، قائلاً :

- والآن هيا .. عد إلى عمك يا صديقى ، فلنا أحب ، فى
مواجهتى القاسية مع (الموساد) ، أن أحمل واحدة من بطاقات
هوياتهم ، التى يدعون أنها غير قابلة للتزوير .

لوح (قدرى) بيده بدوره ، وهو يقول فى حسم :

- ستحملها بإذن الله يا صديقى .. هذا وعد .

قالها ، وقد امتلأت نفسه بالثقة والحماسة ، وعاد يفحص
تلك الهوية الإسرائيلية ، وفى أعماقه يتردد مبدأ قديم ، قام
بتعديله على الفور .

فكل شيء فى الدنيا يمكن صلعه إذا ما امتلك المرء
التكنولوجيا اللازمة ، والمهارة ، والإيمان ، والإرادة اللازمة
للممود والتحدى ..
كل الإرادة .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)